جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بالقاهرة
قسم التاريخ والحضارة

البربر

في إفريقية في العصر الأموي

٤٠-١٣٢هـ/٦٦٠-٧٥١م

رسالة ماجستير

مقدمة من الباحث
علي محمود عبد اللطيف الجندي

إشراف
أ.د. حسين يوسف دويدار
أستاذ التاريخ الإسلامي بالكلية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العاملين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد خاتم النبين ، وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين...

وبعد

فإن دراسة أحوال العناصر أو الشعوب غير العربية التى دخلت فى الإسلام، واستظلت بظله وانضوت تحت لوائه ، تعتبر من الأمور المهمة لمعرفة مدى الأثر الذى أحدثه هذا الدين الجديد فيها حتى أصبح لها دور لا ينكر فى بناء تاريخ الأمة الإسلامية وحضارتها.

ومن هذه العناصر أو الشعوب شعب "البربر" وهم سكان الشمال الإفريقى، الذين تعددت قبائلهم ، ومميزاتهم الخاصة التى تميزوا بها عن غيرهم من الشعوب ، وقد شارك هذا العنصر بعد فتح الإسلام بلاده فى نشر الإسلام فى أماكن أخرى ، وخاصة فى الأندلس ، وكانت لهم إسهاماتهم فى بناء الحضارة الإسلامية على خلاف ما هو شائع من أن البربر لم يكن لهم دور يذكر فى بناء الحضارة مثل "الأتراك".

ومن هنا كانت دراسة أحوال البربر بعد دخولهم فى الإسلام من الأهمية بمكان ، لمعرفة مدى الأثر الذى أحدثه هذا الدين الجديد فيهم ، وبيان الدور الذى قاموا به فى بناء الحضارة الإسلامية ، فضلا عن الفتوحات ، لذا فقد وقع اختيارى على موضوع له أهمية فى هذا الصدد وهو:

"البربر فى إفريقية فى العصر الأموى" حيث ثارت أقوال ، وأقوال عن سياسة الأمويين تجاه العناصر غير العربية ، والتى أطلق عليها "إسم الموالى"

ومن ثم فقد أردت دراسة أحوال عنصر من هذه العناصر الأجنبية ، وهو العنصر البربرى لمعرفة الحقيقة التاريخية فى هذه الأقوال ، وأمثالها ، والوصول إلى شئ تطمن إليه النفس فيما يتعلق بأحوال العناصر غير الأجنبية "الموالى" ، وبالأخص العنصر البربرى فى العصر الأموى من خلال دراسة هذا الموضوع.

وعلى الرغم من الفترة الكبيرة التى مكثها العرب فى فتح بلاد المغرب، والتى بلغت أكثر من سبعين سنة نتيجة لطبيعة هذه البلاد الجغرافية، وتكوين البربر الذين اتصفوا بالقوة ، والبأس ، والعصبية ، وشدة المراس ، ونتيجة لمقاومة الرومان حكام هذه البلاد ، وتحريضهم للبربر ضد الفاتحين الجدد ، إلا أننا نجد هناك دورا كبيرا قد لعبه البربر ،وخاصة بعد اعتناق الكثيرين منهم للإسلام ، حيث شاركوا فى فتح بلاد المغرب ، كما شاركوا فى فتح الأندلس ، وانخرطوا فى سلك الدولة الإسلامية ، وساهم الكثيرون منهم فى وضع لبنات فى صرح الحضارة الإسلامية.

ومن ثم فإن البربر شعب يستحق الدراسة ، وخاصة بعد دخوله فى الإسلام مباشرة ، وانضوائه تحت لواء الدولة الإسلامية لتوضيح الدور الفعال الذى قام به فى الفتوح فى إفريقية والمغرب ، ومساعدتهم للعرب فى فتح الأندلس ، ونشر الإسلام فيها ، لهذا وغيره فقد إخترت هذا الموضوع لدراسة أحوال هذا العنصر ، وبيان أحواله المختلفة فى عصر بنى أمية ، وتمحيص روايات المؤرخين التى كثرت فى هذا الصدد ، لاسيما فيما يتعلق بسياسة ولاة بنى أمية بالنسبة للبربر ، وكذلك العلاقات بين بعض هؤلاء الولاة التى كثرت فيها الأقاويل ، مثل العلاقة بين عقبة بن نافع ، وأبى المهاجر ، وعلاقة أبى المهاجر بكسيلة ، وعلاقة حسان بن النعمان بالكاهنة ، هذا إلى جانب علاقة يزيد بن أبى مسلم بالبربر التى تسببت فى نفور البربر من بعض تصرفاته ، وقد واكب هذه المعاملة غير الطيبة للبربر دخول الخوارج إلى إفريقية ، حيث وجدوا أرضا خصبة لنشر مذهبهم ، وفكرهم ، مما أدى إلى إيقاظ شعور البربر ، ونزعتهم الإستقلالية ، فنتج عن ذلك قلاقل كبيرة سادت معظم أنحاء

إفريقية والمغرب ، لولا حكمه الدولة الأموية ، وتداركها أخطاء ولاتها ، لضاعت هذه المنطقة من أيديها.

هذا إلى جانب تأثير العرب على البربر فى اللغة ، والأخلاق ، والدين، حتى أصبحت لغة البربر الأولى اللغة العربية فى مدة قصيرة من بداية الفتح ، وكان إقبال البربر كبيرا على الدخول فى الإسلام ، حتى دخل معظم قبائل البربر فى الإسلام فى ولاية إسماعيل بن أبى المهاجر فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، وكان ذلك فى بداية القرن الثانى الهجرى ، الثامن الميلادى.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة ، وتمهيد ، وستة فصول ، وخاتمة.

تناولت فى **المقدمة** سبب اختيارى لهذا الموضوع ، مع بيان الخطة التى سرت على نهجها ، وتعرضت لأهم المصادر التى اعتمدت عليها فى دراسة هذا الموضوع.

أما التمهيد : فقد تناولت فيه التعريف بشعب البربر ، وآراء المؤرخين و الكتاب فى تحديد معنى كلمة "البربر" وكلمة "المغرب"، "وإفريقية"، وإنقسام البربر إلى قسمين "برانس" ، "وبتر" وسبب هذا التقسيم ، وأماكن توزيع هذه القبائل، ثم التعريف بلغة البربر ، ومفرداتها قبل الإسلام ، وديانتهم هذا إلى جانب الملامح ، والسمات الخاصة بهم.

أما الفصل الأول وعنوانه **"فتح العرب للمغرب"** فقد تحدثت فيه عن ، فتح عمرو بن العاص للأسكندرية ، وتفكيره فى فتح برقة ، وطرابلس حتى تم فتحها ، ثم وضحت دور عبه الله بن سعد بن أبى سرح فى الفتح ، وصدامه مع والى إفريقية البيزنطى "جرجير" وقتله ، بالإضافة إلى حملة معاوية بن حديج ، وفتحه لعدة مدن بإفريقية ، منها سوسه ، وبنزرت ، ويعد ابن حديج صاحب فكرة إنشاء قاعدة لتثبيت أقدام المسلمين فى إفريقية ، ثم بينت دور عقبة بن نافع ، وانشائه مدينة القيروان ، ودورها المؤثر فى الفتوح، وعلاقته بأبى المهاجر دينار ، وناقشت الروايات التى وردت بشأن هذه العلاقة ، وبينت كيف أساء بعض المؤرخين فهم هذه العلاقة فصورها على

أنها كانت علاقة خصومة ، وعداوة ، وإنتقام ، بالإضافة إلى بيان علاقة عقبة بكسيلة زعيم قبيلة أوربة البرنسية ، ووضحت دور زهير بن قيس البلوى فى الحفاظ على قواته حتى وصول حسان بن النعمان الذى بذل جهودا ضخمة ، ولا سيما بعد أن تمكن من هزيمة الكاهنة ، ورد إعتبار المسلمين فى إفريقية ، فلم يوجه اهتمامه للإنتقام منها ، ولكن وجه جل إهتمامه لوضع نظام جديد تسير عليه إفريقية بعد أن أصبحت ولاية تابعة للدولة الأموية.

أما الفصل الثانى وعنوانه **"أحوال البربر السياسية فى عصر ولاة بنى أمية"** فقد تناولت فيه دور موسى بن نصير فى إكمال الفتح ، ونشر الإسلام فى المغرب الأقصى ، وجهوده فى تدعيم العلاقة بين العرب ، والبربر ، وفى سبيل هذا ، ولى أحد البربر قيادة جيشه ، وهو "طارق بن زياد" ، ثم تناولت أسباب عزل موسى بن نصير بالنقد ، والتحليل ، والرد على الإتهامات الموجهة له ، بالإضافة إلى الرد على الإتهامات الموجهة إلى ابنه عبد العزيز، ثم وضحت دور إسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر فى بسط نفوذ الإسلام بين بقية البربر ، ثم تحدثت عن مرحلة أخرى مغايرة بدأت بيزيد بن أبى مسلم الذى أساء معاملة البربر فقتلوه ، ثم تناولت دور كل من عبيد الله ابن الحبحاب ، وسياسته تجاه البربر ، ثم دور كل من كلثوم بن عياض ، وحنظلة بن صفوان فى ثورة البربر ، واسترداد هيبه العرب مرة أخرى ، ثم تناولت آخر ولاة بنى أمية على إفريقية وهو عبد الرحمن بن حبيب الفهرى ، واستيلائه على السلطة من حنظلة بن صفوان ، وإقراره الأمن والإستقرار فى إفريقية.

أما الفصل الثالث وعنوانه **"الحالة الإقتصادية لدى البربر فى العصر الأموى"** فقد تناولت فيه أولا أماكن **الزراعة** ، وأهم الجبال التى تسبب سقوط المطر ، وأنواع المياه التى يعتمدون عليها فى الزراعة ، كمياه الأمطار، والأنهار ، والآبار ، والعيون ، ثم أهم الأنهار ، كنهر الملوية ، وسبو ، ومجردة ، ثم أنواع التربة سواء كانت سوداء ، أو رملية ، أو حمراء، أو جبلية ، ثم السهول ، بالإضافة إلى طريقة الزراعة ، وأهم المحاصيل الزراعية ، وملكية الأرض ، وأوضاع الفلاحين ، ثم تحدثت عن

حرفة الرعى ، وأهم مناطقه، ونظامه المتبع بين البربر. وتحدثت عن **حرفة الصناعة** ، وبينت أهم الصناعات لدى البربر ، مثل صناعة السفن ، والمنسوجات ، والجلود ، والزجاج ، والبلور ، والصناعات الخشبية ، والغذائية ، وصناعة العطور ، والأوانى الفخارية ، والزبيب ، وصناعة طحن الغلال ، ثم تعليم الحرف الصناعية.

وتحدثت عن التجارة ، وبينت أهم الطرق المستخدمة فى التجارة فى بلاد إفريقية والمغرب سواء كانت ساحلية ، أو صحراوية بالإضافة إلى طرق القوافل ، ودور هذه الطرق فى ربط البربر بعضها ببعض ، ونشر الإسلام ، وزيادة حركة التبادل التجارى ، ثم تناولت أنواع التجارة السائدة مثل تجارة الزيتون ، المنسوجات ، والأقمشة ، وتجارة الحيوانات ، والطيور ، ثم أهم الموانى المستخدمة فى التجارة ، مثل ميناء تونس ، وطبرقة ، **ثم تناولت الأسواق** ، ودور المحتسب فى السوق ، والتعامل فى الأسواق ، والعملة المستخدمة ، كالدينار ، والدرهم ، بالإضافة إلى دارسك العملة ، وتغيير حسان بن النعمان للشعار الموجود على العملة ، ثم الأدوات المستخدمة فى البيوع مثل الصنوع ، ثم أماكن هذه الأسواق ، ودور هشام بن عبد الملك فى تنظيم الأسواق.

أما الفصل الرابع وعنوانه **"الحالة الإجتماعية لدى البربر فى العصر الأموى"** فقد تناولت فيه نظام الحكم داخل قبائل البربر ، وعرفت القبيلة، وطبقاتها ، وشيخها ، ومواصفاته، ثم تحدثت عن العصبية وأنواعها: عصبية الدم ، وعصبية الإنتماء ، وفائدتها ، وهى تمثل العامل المشترك بين العرب والبربر، ثم وضحت عناصر السكان فى إفريقية والمغرب ، وعلى رأسها البربر ، والأفارقة ، والروم ، بالإضافة إلى طوائف النصارى ، واليهود ، هذا إلى جانب الحديث عن مظاهر الحياة الإجتماعية ، مثل المأكل ، والملبس، والمسكن ، ووضع المرأة ، ومكانتها الإجتماعية لدى البربر ، بالإضافة إلى الحديث عن الإحتفالات العامة ، والخاصة لدى شعب البربر فى العصر الأموى.

أما الفصل الخامس وعنوانه **"انتشار الإسلام واللغة العربية بين البربر"** فقد تناولت فيه دور كل من عمرو بن العاص ، وسعد بن أبى سرح فى "غزوة العبادلة" ، ودور جميع ولاة إفريقية والمغرب فى عصر بنى أمية فى نشر اللغة العربية ، وتعليم البربر مبادئ أصول الدين ، ثم الدور الهام الذى قام به عمر بن عبد العزيز ، وإرساله عشرة من كبار التابعين ، وما كان لهم من الأثر الواضح فى ترسيخ ، وتوضيح مبادئ ، وقواعد الدين، ونشره بين البربر. ثم تحدثت عن عوامل إقبال البربر على الإسلام ، وعن مراكز التعليم التى ساعدت فى نشر الإسلام ، وتعليم اللغةالعربية مثل الزاوية، والرباط ، الكتاب ، والرحلة فى طلب العلم ، بالإضافة إلى دور الخوارج فى نشر الإسلام.

أما الفصل السادس وعنوانه **"ثورات البربر فى العصر الأموى"** فقد تناولت فيه أسباب الثورة التى قام بها البربر ضد الأمويين بالتحليل سواء كانت أسباب إقتصادية ، أو إجتماعية ، أو عنصرية ، أو سياسية ، وبينت أيضا دور الخوارج ، ودعاتهم فى قيام الثورة ، ثم تحدثت عن بداية الثورة ، وقصة الوفد الذى ذهب إلى قصر الخلافة فى دمشق ، وعن إشتعال الثورة بقيادة ميسرة المطغرى ، وعن غزوة الأشراف ، ونتائجها ، وتناولت آراء الكتاب ، والمؤرخين فى هذه الثورة ، وقيام الخليفة هشام بإرسال جيش كبير بقيادة كلثوم بن عياض ، ثم تحدثت عن موقعة بقدورة ، وسبب هزيمة كلثوم، وتصدى حنظلة بن صفوان خليفة كلثوم للبربر ، وتمكنه من هزيمتهم فى موقعتى القرن ، والأصنام ، وبينت كيف استطاع عبد الرحمن بن حبيب الفهرى آخر ولاة بنى أمية على إفريقية والمغرب ، السيطرة على ثورات الأقاليم المختلفة سواء كان فى طرابلس ، أو تونس ، أو باجة ، أو غيرها من الأقاليم التى شقت عصا الطاعة على شريعة الخلافة الأموية.

أما الخاتمة: فقد لخصت فيها موضوع البحث ، وأتيت فيها ببعض النتائج التى استخلصتها من خلال دراستى له ، ثم نهيتها بتثبيت للمصادر ، والمراجع ، وفهرس للموضوعات.

ولقد اعتمدت فى دراستى لهذا الموضوع على كل ما أمكن الحصول عليه من المصادر الأصلية ، سواء كانت مصادر تاريخية ، أوجغرافية ، أو كتب تراجم وطبقات ، أو كتب خاصة بالحسبة ، والفلاحة ، واللغة ، والتفاسير ، ... وغيرها.

وكان من أهم المصادر التاريخية التى إعتمدت عليها كتاب:

١- فتوح مصر والمغرب والأندلس لابن عبد الحكم المتوفى سنة ٢٥٧هـ/٨٧١م وهو من أقدم مصادر فتح العرب لبلاد المغرب ، وأهم من نقل عنهم ، ابن عبد الحكم ، ابن لهيعة المتوفى سنة ١٧٤هـ/ ٧٩٠م ، وفقيه مصر الليث بن سعد المتوفى ١٧٥هـ/٧٩١م ، ويزيد بن أبى حبيب المتوفى سنة ١٢٨هـ/٧٤٦م وهو نوبى الأصل من الرواه الثقات لفتوحات مصر والمغرب وأستاذ لهيعة ، والليث بن سعد ، ويحيى بن عبد الله بن بكير المتوفى سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م الذى جمع عددا من السجلات ، والوثائق ، وأهداه لابن عبد الحكم ، ومن أهم مصادر ابن عبد الحكم فى الجزء الخاص بتاريخ المغرب عثمان بن صالح المتوفى سنة ٢١٩هـ/٨٣٤ – ٨٣٥م وقد اعتنى ابن عبد الحكم بالإسناد الذى جرى عليه رواه الحديث ، ولكنه ترك الرواية دون نقد ، بيد أنه خالفهم من حيث موضوع الدراسة ، وتبويب مادته العلمية ، وقد أمدنا بمعلومات مهمة عن فتح العرب لإفريقية، وخاصة ولاة بنى أمية ، وأسباب ثورة البربر التى قادها ميسرة المطغرى عام ١٢٢هـ/٧٤٠م.

٢- وكتاب تاريخ إفريقية والمغرب للرقيق القيروانى المتوفى فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى الحادى عشر الميلادى ، وترجع أهمية هذا الكتاب الذى فقد ، إلى القطعة التى وجدت منه ، والتى تبدأ من أواسط القرن الأول الهجرى، وتنتهى فى القرن الثانى الهجرى ، وقد حققها الأستاذ المنجى الكعبى، ونقل عن الرقيق القيروانى كثيرون ، منهم ابن الأثير ، وابن عذارى ، وابن خلدون ، والنويرى ، وقد أمدنا بمعلومات هامة عن الفتح العربى لبلاد البربر خلال عصر الولاة "**العصر الأموى**".

٣- وكتاب أخبار مجموعة لمؤلف مجهول فى القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى ، وعلى الرغم من أن معظم الكتاب خاص بالأندلس ، إلا أنه

أمدنا بمعلومات قيمة عن ثورة البربر فى إفريقية ، وتفاصيل عدد جيش كلثوم بن عياض ، وسبب هزيمته من البربر.

٤- **وكتاب جمهرة أنساب العرب لابن حزم** المتوفى سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م وهو من أهم كتب الأنساب ، وأوثقها ، وهو المصدر الذى اعتمد عليه ابن خلدون ، وغيره من المؤرخين ، والجغرافيين كثيرا ، وقد أمدنا بمعلومات عن أصول البربر ، وأهم قبائلهم ، وبطونهم.

٥- **وكتاب البيان المغرب فى أخبار المغرب لابن عذارى المراكشى** المتوفى فى أواخر القرن السابع الهجرى ، الثالث عشر الميلادى ، وترجع أهميته إلى اعتماده على الكثير من المصادر القديمة ، والمفقودة ، أو المعاصرة القريبة من الأحداث التاريخية ، ومما يزيد من قيمته أن أصول هذه المصادر التى اقتبس منها قد فقدت.

٦- **وكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، لابن خلدون** المتوفى سنة٨٠٨هـ/١٤٠٥م وتعتبر مقدمته ، وتاريخه من أهم مصادر البحث ، ويمتاز ابن خلدون عن أسلافه ببراعة التنظيم ، والربط ، والدقة فى تبويب الموضوعات ، وكانت مقدمته شرحا ، وتمهيدا يفهم من خلالها التاريخ ، وتعرف وقائعه ، فيعرض فيها نظرياته فى مجالات كثيرة منها التاريخ ، والإقتصاد والإجتماع ، وهى من أهم مصادر البحث لما تضمنته من إشارات كثيرة عن الحياة السياسية ، والإقتصادية ، والإجتماعية ، هذا إلى جانب نظم الحكم.

أما **كتابه العبر** فيرجع إليه الفضل فى إعطاء معلومات مفصلة عن قبائل البربر فى إفريقية والمغرب ، وبصفة عامة فقد أمدنا ابن خلدون بمعلومات غزيرة انفرد بها دون غيره من المؤرخين وأفادتنا فى معظم فصول الرسالة.

٧- وكتاب الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبه المتوفى سنة٢٧٦هـ/٨٨٩م وقد أمدنا بمعلومات انفرد بها عن موسى بن نصير، وفتوحاته فى المغرب ، وخاصة المغرب الأقصى ، وعلاقة موسى بالبربر ، والأعمال التى قام بها فى سبيل تدعيم هذه العلاقة.

المصادر الجغرافية:

ترجع أهمية المصادر الجغرافية إلى أنها تكمل المصادر التاريخية التى أهتمت بالأحداث السياسية ، إلى جانب إمدادنا بمعلومات ذات طبيعة متنوعة منها الإقتصادية ، والإجتماعية ، وما يختص بعادات ، وتقاليد الشعوب. ومن هذه المصادر الجغرافية التى اعتمدت عليها:

١- مخطوطة خريدة العجائب وفريدة الغرائب لأبى عبد الله عمر بن مظفر بن عمر المصرى المكنى "ابن المصرى" المتوفى سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م ويتحدث فيها عن شكل الأرض ، وأقاليمها ، وأقطارها ، وممالكها ، وطرقها، ومسالكها، وموضع كل مملكة ، وقد أفادت البحث بمعلومات هامة عن الحياة الإقتصادية للبربر بجوانبها الزراعية ، والصناعية ، والتجارية.

٢- ومخطوطة أخرى بعنوان رسالة فى الجغرافيا مجهولة المؤلف أمدتنى بمعلومات هامة عن دراسة الحياة الإقتصادية ، وخاصة فى مجال الصناعة ، والتجارة.

٣- وكتاب صورة الأرض لأبى القاسم بن حوقل الذى عاش فى القرن الرابع الهجرى ، العاشر الميلادى ، وبدأ برحلته سنة ٣٣١هـ/٩٤٢م من بغداد ، وعاد إليها بعد ثلث قرن ، زار خلالها بلاد المغرب ، وقد أفاد ابن حوقل الجغرافيين لاسيما ياقوت الحموى فى كتابة معجم البلدان ، وقد أمدنا بمعلومات عن مدن إفريقية والمغرب ، ومابها من قبائل للبربر ، كما أفادت فى دراسة الحياة الإقتصادية لدى البربر.

٤- كتاب المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب للبكرى المتوفى سنة٤٨٧هـ/١٠٩٤م وقد ألف كتابه "المسالك والممالك" ، ولم تبق منه إلا الأجزاء الخاصة بالمغرب ، وقد اعتمد البكرى فى كتابه على مسالك إفريقية ، وممالكها لمحمد بن يوسف الوراق ، وكتاب البكرى من أهم كتب الجغرافيا بالنسبة لموضوع البحث ، فقد أمدنا بمعلومات تاريخية، وجغرافية أفادت فى تراجم المدن التى سكنتها قبائل البربر ، والطرق ،والمسالك المؤدية إلى بعضها ، وأمدنا بمعلومات ساعدت فى دراسة الحياة الإقتصادية ، والإجتماعية عند البربر.

٥- وكتاب نزهة المشتاق فى اختراق الإفاق للإدريسى المتوفى سنة ٥٥٨هـ/١١٦٣م وقد أمدنى بمعلومات أفدت فيها فى دراسة الحياة الإقتصادية ، الإجتماعية عند البربر.

٦- وكتاب معجم البلدان لياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م وهو معجم مرتب على حسب حروف الهجاء ، وقد مهد له بخمسة فصول ، تتناول صورة الأرض ومعنى بعض الإصطلاحات الجغرافية ، وهو موسوعة جغرافية لاغنى عنها ، وقد أمدنا بمعلومات عن المدن التى جاء ذكر معظمها فى فصول الرسالة، هذا إلى جانب تعرضه لذكر أصل البربر ، والحياة الإقتصادية عندهم.

٧- وكتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار لمحمد بن عبد المنعم الحميرى، وهو معجم جغرافى مرتب على حروف الهجاء ، ليسهل الكشف عن اسم الموضوع الذى يريده الباحث ، وهو ليس معجما جغرافيا، بل هو معجم جغرافى تاريخى يصف الأقطار ، وما بها من الأخبار ، والوقائع المتصلة بها وقد اعتمد على الإدريسى ، والبكرى ، واليعقوبى ، واعتمدت عليه فى تراجم بعض المدن التى لم يرد لها ذكر فى المصادر الأخرى.

٨- وكتاب الإستبصار فى عجائب الأمصار لمؤلف مجهول ، عاش فى القرن السادس الهجرى الثانى عشر الميلادى ، ومن مصادره

ابن عبد الحكم ، والمسعودى ، والبكرى ، والإستبصار من المصادر القيمة التى أفادت الباحث فى تناول الحياة الإقتصادية ، والإجتماعية لدى البربر ، والكتاب خليط من الجغرافيا ، والتاريخ ، والعمران ويحتوى على وصف مكة ، والمدينة ، ومصر ، وبلاد المغرب ، والسودان.

كتب التراجم والطبقات:

تتبع كتب التراجم ، والطبقات منهجا قريب الشبه من بعض ، فهى تذكر اسم المترجم ، وكنيته ، ونسبته إلى بلده الذى ولد فيه ، أو الذى كان فيه أصله إذا ما هاجر من بلد مولده ، وتبين شيوخه ، ومن أخذ عنهم ، وعلومه ، ثم تختم الترجمة بتاريخ الوفاة ، ومكانها ، ما كان ذلك متيسرا ، بالإضافة إلى أن هذه المصادر لها أهمية كبرى فى دراسة الأحوال الإقتصادية ، والإجتماعية ، والثقافية، وقد اعتمدت على عدة كتب من أهمها:

١- **طبقات علماء إفريقية لأبى العرب محمد بن أحمد بن تميم** المتوفى سنة ٣٣٨هـ/٩٤٩م وهومن أهم الكتب الخاصة بطبقات رجال المغرب، والصحابة ، والتابعين من العباد ، والزهاد ، والصالحين ، وخاصة خلال العصر الأموى ، وغيره من الطبقات الأولى ، وقد استفدت منه فى الترجمة لكثير من الأسماء التى ورد ذكرها فى البحث.

٢- **رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان ، وإفريقية ، وزهادهم ، وعبادهم ونساكهم ، وسير من أخبارهم ، وفضائلهم ، وأوصافهم للمالكى** ، المتوفى فى منتصف القرن الخامس الهجرى ، الحادى عشر الميلادى ، وقد أمدنا بمعلومات عن الفتح العربى لإفريقية ، والعوامل التى ساعدت على انتشار الإسلام بين البربر ، بالإضافة إلى التراجم لكثير من الشخصيات التى ورد ذكرها فى البحث.

٣- **الحلة السيراء لابن الآبار** المتوفى سنة ٦٥٨هـ/١٢٥٩م الذى يضم تراجم أعلام أهل الأندلس ، والمغرب اعتبارا من أهل المائة الأولى.

٤- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان للدباغ المتوفى سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م أو سنة ٨١٧هـ/١٤١٤م. والكتب الأربعة يكمل بعضها البعض ، رغم أنها جميعا تبدأ بطبقات الرجال من البداية.

وقد اعتمدت أيضا على كتاب **المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب** للونشريسى المتوفى سنة ٩١٤هـ/١٥٠٨م وهذا الكتاب يتعلق بقضايا إجتماعية ، وعلى الرغم من أنه يأتى بعد فترة البحث إلا أنه أمدنا بمعلومات أفادت فى دراسة أوضاع العاملين فى الزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، وفى بعض دراسة المناسبات الإجتماعية كالإحتفالات ، والأعياد لدى البربر ، واعتمدت على كتب الحسبة التى أفادتنا فى دراسة أحوال السوق مثل كتاب **النظر والأحكام فى جميع أحوال السوق ليحيى بن عمر** ، المتوفى سنة ٢٨٩هـ/٩٠١م وهو كتاب يختص بشئون الأسواق ، وما يجرى فيها، هذا إلى جانب كتاب **الحسبة للسقطى ، وابن عبدون.**

كما اعتمدت على كتب ، ومخطوطات خاصة بالفلاحة مثل مخطوطة **الفلاحة للغزى** ، و**الفلاحة الرومية ، لغسطوس ، والفلاحة المنتخبة للتمادنمرى**، وكتاب **الفلاحة لابن بصال** ، وكتاب **مفتاح الراحة لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول** ، وقد أفادت هذه المخطوطات الخاصة بالفلاحة الباحث فى التعرف على أنواع التربة ، وطرق الزراعة ، والتسميد ... إلخ.

كما اعتمدت على بعض كتب التفاسير ، مثل كتاب **جامع البيان عن تأويل آى القرآن للطبرى** المتوفى سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م للتأكد من واقعة رده عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، بالإضافة إلى كتب الفرق ، مثل **الفرق بين الفرق للبغدادى** المتوفى سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م **والملل والنحل للشهرستانى** ، المتوفى ٥٤٨هـ/١١٥٣م ، وتعد كتب الفرق ، والملل من الكتب المتخصصة فى التأريخ لعلماء أهل السنة ، إلا أنها تناولت أيضا تاريخ الإسلام ، ومذاهبه ، ونحله، ومنها الموجودة فى بلاد المغرب مثل الخوارج وغيرها من النحل الأخرى، كما استعنت ببعض قواميس اللغة لتوضيح بعض المفردات مثل قاموس **المنجد فى اللغة** للأب لويس معلوف.

كما أطلعت على كثير من المراجع الحديثة ، مثل كتاب **فتح العرب للمغرب** لحسين مؤنس ، **وتاريخ المغرب الكبير** د/السيد سالم ، محمد دبوز، **وورقات عن الحضارة العربية** حسن حسنى عبد الوهاب ، **ودراسات فى تاريخ المغرب والأندلس** د/أحمد مختار العبادى **وتاريخ المغرب العربى** د/سعد زغلول وغيرهم. ولم نغفل الإطلاع على الدوريات التى أفادتنا فى البحث مثل **دائرة المعارف الإسلامية** ، و**مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد** ، و**مجلة كلية العلوم الإجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود** ... إلخ.

وفى النهاية أتوجه بعظيم التقدير والإحترام إلى أستاذى المشرف

أ.د/ حسين يوسف دويدار أستاذ التاريخ الإسلامى بجامعة الأزهر ، فقد استفدت بتوجيهاته ، ونفعنى كثيرا بملاحظاته ، واتسع صدره ، وقلبه ، ومكتبته للبحث والباحث ، وكان له فضل كبير فى ظهور هذا البحث أمام حضراتكم ، فله جزيل الشكر والإمتنان.

كما لا يفوتنى أن أتوجه بالشكر إلى كل من ساهم معى فى إخراج هذا البحث كالأستاذ/ **عبد المعز على سعد حسين** أستاذ الجغرافيا بالأزهر ، والأستاذ/**محمود أبو جريدة** أستاذ اللغة العربية بالأزهر ، كما أشكر من قام بإعداد هذا البحث كتابة ، وطبعا ، وتصويرا ، وتجليدا.

التمهيد

الباحث

شعب وقبائل البربر دراسة عامة

- تعريف البربر.
- أقسام البربر.
- الدين عند البربر.
- اللغة عند البربر.
- سمات البربر.

التمهيد

تعريف البربر:

البربر (١) شعب سكن الشمال الإفريقى منذ فترة كبيرة ، وعلى امتداد هذه الفترة كون له سمات خاصة به ، وانتشر فى كل أنحاء المغرب.

---

(١) أصل كلمة بربر وما دار فى تفسيرها ، هناك اختلاف كبير فى تفسير هذه الكلمة:

قيل: إنها مشتقة من كلمة البربر ، أى اختلاف الأصوات غير المفهومة ، كما يقال بربر الأسد إذا زأر بأصوات غير مفهومة ، وقد أطلق العرب كلمة بربر فى عهدهم على الأمة التى تسكن الساحل الإفريقى ، لأنهم يتكلمون بلغة ليست لهم ، والعرب يطلقون كلمة بربر على الأصوات المتجمعة غير المفهومة لهم[ابن خلدون العبر : جـ ٦ ؛ ص ١٧٦ سنة ١٩٨١م، بيروت • د/السيد سالم : تاريخ المسلمين فىالمغرب والأندلس ، ص ١٨ اسكندرية بدون تاريخ. الزاوى: تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ص٦ الطبعة الثانية سنة ١٩٦٣م،دار المعارف ، مصر]

ومن ذلك قول الشاعر: بربرت كنعان سقتها: من بلاد الضنك للخصب العجيب

أى أرض سكنوها ولقد: فازت البربر بالعيش الخصيب

[ابن خلدون: مصدر سابق ، جـ ٦ ، ص ١٨٤ . الناصرى السلاوى: الإستقصا ، جـ ١ ، ص ٥٣ سنة١٩٥٤م الدار البيضاء]

وقيل : إن أفريقش بن قيس بن صيفى لما فتح بلاد المغرب ، وسمع رطانه أهلها، تعجب من ذلك وقال "ما أكثر بربرتكم" [البلاذرى:فتوح البلدان ، ص ٢٧٠،مطبعة لجنة البيان العربى لاظوغلى ، بدون تاريخ-ابن خلدون:مصدر سابق ، جـ ٦ ، ص ١٧٥]

وقيل : إن البربر من أصل عربى ينتسبون إلى رجل من حمير يسمى بر بن قيس هاجر إلى المغرب فلم يفهم لغة أهلها ، فسماها بربره ، وسماهم البربر [ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ١٧٥]

وقيل : إن هذا الأسم أطلقه الرومان على سكان المغرب ، لأنهم كانوا يعتبرونهم غرباء على حضارتهم ، فسموهم بربار [د/السيد سالم : مرجع سابق ، ص ١٨]

وقيل : إنه لفظ إغريقى ، كان اليونان يطلقونه على كل من لا يتكلم الإغريقية فيسمونه باربارو ى [د/حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٣ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠م القاهرة]

وقيل : إن العرب لاحظوا ، أن لغة البربر يكثر فيها استعمال حرف الباء ، والراء فقالوا ما هذه البربرة (البارابار) Bor Bri [د/سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٨٠ اسكندرية]

وقيل : إن هذه الكلمة مصدر لكلمات ... مثل البربرى وهم لا يستعملون هذا التعبير بل يرونه مستهجنا ، ويسمون أنفسهم "الرجال الأحرار" كما يسمون أنفسهم نسبة إلى قبائلهم كالمصامدة ، والزواوة .. إلخ [د/عبد المنعم عبد العال : لهجة شمال المغرب ، ص ٣٤ سنة ١٩٨٦م دار الكاتب العربى للطباعة ، والنشر القاهرة]

وفى هذا يقول ابن خلدون عنهم "هذا الجيل من الآدميين سكان المغرب القديم، ملئوا البسائط ، والجبال من تلوله ، وأريافه ، وضواحيه ، وأمصاره ، وهم أمم لاتحصى ، ينسب كل إلى موضع القبيل الذى تنزله" (١)

وكلمة البربر تطلق على جماعات مختلفة فى خصائصها ، ولا علاقة لها بلون البشرة ، وهم أجناس متعددة كونت شعبا متحدا منذ أقدم العصور ، قدموا إلى هذه البلاد من منطقة البحر المتوسط ، عن طريق مجموعتين ، المجموعة الأولى إستقرت فى شمال إفريقية ، حيث مال لونها إلى البياض ، والأخرى استقرت فى الجنوب حيث مال لونها الى السواد.

والراجح أن كلمة البربر أطلقها اليونانيين على كل من لا يتكلم الإغريقية ، وإنتقلت الى الرومان ثم أخذها العرب عنهم ، أما البربر أنفسهم فلا يطلقون على أنفسهم هذه التسمية بل يعرفون أنفسهم بأسماء شعوبهم وقبائلهم.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الآراء اجتهادات من المؤرخين ، أما القول الفصل فى هذه النقطة فلم يتضح ، ولم يظهر بعد الدليل المؤكد لإثباتها ، وتعتبر هذه الآراء محاولة لتسجيل التنوع الحالى ، وتفسيره ، وتحاول أن تسقطه على الأزمنة القديمة، وعلى هذا فالتسمية بالبربر لا علاقة لها بالجنس، وإنما علاقتها باللغة.(٢)

وذكر البعض أن معنى البربرى فى اللغة / المتوحش أو الهمجى [لويس معلوف : المنجد فى اللغة. ، ص ٢٢ الطبعة السابعة عشر ، **بدون تاريخ، بيروت**]

(١) ابن خلدون : العبر ، جـ ٦ ، ص ١٧٦.
- ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ١٦١ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م بيروت.
- د / عبد المنعم عبد العال : لهجة شمال المغرب ، ص ٣١ .
- محمد بركات البيلى :البربر فى الأندلس منذ الفتح الإسلامى حتى عصر الإمارة ٩٢هـ / ٣١٦هـ ٧١١ / ٩٢٩م ... رسالة دكتوراه غير منشورة بآداب القاهرة سنة ١٩٨٢م. مكروفيلم رقم (c o2-0649)

(٢) د/حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٣ .
- د/أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى ، جـ ٤ ، ص ١٢١ الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٩م القاهرة.

وكان استقرار البربر فى بلاد المغرب (١) منذ عهد بعيد، "والمغرب إسم إضافى يدل على مكان من الأمكنة بإضافته إلى جهة الشرق".

---

(١) **المغرب** : عبارة عن إقليم مستعرض يسير من الشرق إلى الغرب دون أن يكون له عمق عمرانى كبير، ويعتبر المغرب وحدة جغرافية متصلة بعضها ببعض ، تمتد من برقة شرقا إلى البحر المحيط "الأطلنطى" غربا ، والبحر الرومى "المتوسط" الذى ينتهى إلى سواحل الشام شمالا ، والصحراء الكبرى بين السودان ، وبلاد البربرجنوبا هذا فى الغالب.

ولكننا نجد من يدخل مصر ضمن تقسيم بلاد المغرب ، كابن خلدون ، وابن حوقل ، ومن يدخل جزيرة الأندلس ضمن هذا التقسيم كياقوت الحموى.

وبما أن المغرب وحده جغرافية كبيرة ، فقد قسم الى ثلاثة أقسام هى:

القسم الأول : "المغرب الأدنى" وقاعدته القيروان ، وسمى أدنى لأنه أدنى إلى بلاد العرب ومركز الخلافة ، ويمتد من غرب مصر حتى تاهرت بالجزائر ، ويشمل الأن ، "برقة، وطرابلس ، وتونس ، وعمالة قسنطينة".

القسم الثانى : "المغرب الأوسط" وقاعدته تلمسان ويمتد من تاهرت حتى جبل سبتة ، ووادى مولديه ، ويشمل الأن جبال القبائل وعمالة الجزائر ووهران إلى ملوية.

القسم الثالث : "المغرب الأقصى" وقاعدته فاس فى مراكش ، ويمتد حتى البحر المحيط ، ويشمل الآن من وادى ملوية إلى البحر المحيط.

[المحيط الأطلنطى] ثانى أكبر المحيطات ٨٢٤٣٩٧٠٠ كم٢، يقع بين الأمريكتين ، وقارتى أوربا ، وإفريقية ، يتصل بالمحيط الهادى عبر قناه بنما ، وبالبحر المتوسط بواسطة مضيق جبل طارق ، أهم أذرعة الغربية خليج هدسن بكندا ، وخليج المكسيك ، والبحر الكاريبى ، وأهم أذرعة الشرقية بحر الشمال ، خليج بسكاى ، والبحر المتوسط وخليج غينيا، أقصى المسافات عبره دكار، ومنبعج البرازيل. [محمد شفيق غربال:الموسوعة العربية الميسرة ، جـ ٢ ، ص ١١٦٥ بدون تاريخ ، بيروت]

ومن الجدير بالذكر أن العرب فى وقت لاحق لم يألفوا هذا التقسيم غيرالمحدد بمضامين جغرافية حيث أنه لا توجد حواجز طبيعية تحدد بين الأقالم الثالثة ... هذا تعتبر بلاد المغرب مستقلة عن بقية أجزاء القارة ، وتنقسم إلى جزءين **الأول من** : برقة ، وطرابلس "ليبيا" ، وتعتبر امتدادًا لمصر من الناحية الجغرافية.

الثانى : تونس ، والجزائر ، والمغرب هذه الأقسام الثلاثة عرفت بعده أسماء منها إفريقية الصغرى تميزا لها عن بقية القارة الإفريقية ، وأيضا : بلاد أطلس توكيدا لسطحها الجبلى ، وعلى الرغم من أن الجبال تعتبر عائقا ، أو مانعا طبيعيا إلا أن الوضع هنا يختلف ، فالجبال عملت على ارتباط دول المغرب بعضها ببعض.

- ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ٥٣.
- ابن خلدون : العبر ، جـ ٦ ، ص ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠١.
- الناصرى السلاوى : الإستقصا ، جـ ١ ، ص ٥٣. =

كما يقول ابن خلدون(١) وبلاد المغرب تسمى "إفريقية" مع اختلاف الآراء في تفسير هذه الكلمة (٢)

والبربر قدموا إلى بلاد المغرب من أمكان مختلفة (٣)

- ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦٤ ، بدون تاريخ ، بيروت.
- على بهجت : قاموس الأمكنة ، ص ١٣٢ ، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م القاهرة.
- الجزنائى : زهرة الآس فى بناء مدينة فاس ، ص ٤ سنة ١٣٤٠هـ / ١٩٢٢م الجزائر.
- الأنصارى : نخبة الدهر ، ص ٢٣٤.
- جوستان لوبون : حضارة العرب ، ص ٢٤٣ ، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى الحلبى.
- أحمد أمين : ظهر الإسلام ، جـ ١ ، ص ٢٩١ سنة ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م القاهرة.
- محمود شيت خطاب : عقبة بن نافع القهرى ، ص ١٦ الطبعة الثالثة سنة ١٩٧١م القاهرة.
- د/حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٠.
- د/ يسرى الجوهرى : جغرافيا العالم الإسلامى ، ص ٢٧٩ ، منشأة المعارف سنة ١٩٨١م اسكندرية.
- د/ محمد زيتون : القيروان ودورها فى الحضارة الإسلامية ، ص ١١٠ ، الطبعة الأولى سنة١٩٨٨م ، القاهرة.
- د/ السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٢١ ، سنة ١٩٦٦م.
- محمد أحمد حسونة : أثر العوامل الجغرافية ، ص ٥١ : ٥٤ ، سنة ١٩٦٠م، مصر.

(١)- ابن خلدون : العبر ، جـ ٦ ، ص ١٩٣ .

(٢) بلاد المغرب تسمى أفريقية مع اختلاف الآراء:

فهناك من يرى أنها "إفريقية" بمعنى ضاحية السماء [الأنصارى : مصدر سابق ، ص ٢٣٤]

ومن يرى أنها ترجع الى "إفرى" الفينيقية ثم حرفت إلى إفريقية وأخذها العرب عنهم [د/السيد سالم : تاريخ المسلمين وأثارهم فى الأندلس ، ص ١٧]

ومن يرى أنها نسبت الى أفريقش بن صيفى الحميرى ، أو أفريقش بن أبرهه الرأش [ابن الفقيه : مختصر البلدان ، ص ٧٨ ، طبعة ليدن ، سنة ١٣٠٢هـ]

ومن يرى أنها سميت إفريقية نسبة إلى الأفارقة قوم فاروق بن مصر بن حام بن نوح ، وهو أول من نزلها بولده [ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ ٦ ، ص ١٧٥ . الأنصارى . مصدر سابق ، ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ . ابن الفقيه . مصدر سابق ، ص ٧٨]

أما إفريقية ، أو أفريقيا الأن هى إحدى القارات الكبرى ، والثانية من حيث المساحة تمتد ما بين خطى عرض ٤٠ شمالا و٤٠ جنوبا ، تبلغ مساحتها ٣٠,٣ مليون كيلو متر مربع ، أطلق العرب لفظ إفريقية على شمال القارة [أحمد عطيه الله: القاموس الإسلامى : ، جـ ١ ، ص ١٤٠ ، سنة١٣٨٦هـ / ١٩٦٣م القاهرة]

(٣) يورد ابن خلدون فى كتابة العبر من أراء لمجموعة من المؤرخين المسلمين مثل ابن الكلبى والجرجانى ، والطبرى ، والمسعودى ، والبكرى ، وخلاصتها أن البربر من الشام ، وأنهم طردوا من فلسطين عندما قتل داود ملكهم جالوت.

وقال بعضهم مثل ابن عبد البر القرطبى ، والصولى أنهم من مصر من أبناء مصرائيم بن حام، مصريم ابن حام ، وأبناء قبط من حام.

يقول جوستاف لوبون (١) إن المهاجرين السود الشعور أتوا من نهر الفرات ، ومن شبة الجزيرة العربية ، وهناك رأى آخر لجورج بارتون وخلاصته : أن البربر هم خلاصة الحاميين ذوى البشرة الفاتحة اللون (٢) وأن موطنهم الأصلى شمال إفريقية على مر العصور ، ولم يهاجروا منه ، لكن أحد الباحثين (٣) يورد رأيا لجون جنتز يقول فيه: إن منشأ الجنس البربرى يعتبر سرا غامضا ، ومن الجدير بالذكر أن معظم روايات العرب ذات طابع أسطورى ، ولكنها تحمل فى ثناياها بعض الحقيقة التى تعبر عن هجرة البربر إلى الشمال الإفريقى ، وهى هجرات فينيقية (٤) إلى قرطاجنة(٥)

=وتذكر بعض الروايات أن طوائف البربر أدعت أن أصلهم جميعا من اليمن ، وأنهم أبناء النعمان بن حمير بن سبأ.

وأراد مالك بن المرجل فيما نقله ابن خلدون أن يوفق بين هذه الروايات ، فقال إنهم من أصول متعددة من قبط ، وعماليق ، وحمير ، وكنعانية ، ومضرية ، وقريشية اجتمعت فى الشام.

لكن ابن خلدون نفى معظم هذه الروايات ، وأثبت أن البربر أبناء كنعان بن حام بن نوح ، وهو ما تضمن رأى الطبرى ، وابن المرجل. [انظر ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ ٦ ، ص ١٨٢، ١٨٥ . ابن أعثم الكوفى الفتوح ، جـ ٢ ، ص ١ الطبعة الأولى دار الندرة ، بدون تاريخ ، بيروت . ياقوت الحموى:معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٣٦٨ ، جـ ٥ ، ص١٦١. الأنصارى:نخبة الدهر،ص٦٧ . الجزنائى : زهرة الأس ، ص ٦ . ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٩٥،الطبعة الخامسة،سنة ١٩٨٢م ، دار المعارف ، القاهرة]

(١) جوستان لوبون: حضارة العرب ، ص ٢٤٤.

(٢) **الحاميون** : هم أبناء حام بن نوح ، وينتمون إلى الجنس الأبيض شعرهم مسترسل لون بشرتهم أبيض [د/ عبد المنعم عبد العال : لهجة شمال المغرب ، ص ٣٦]

(٣) د/ عبد المنعم عبد العال : مرجع سابق ، ص ٣٦ .

(٤) **الفنيقيون** : هم قوم يتكلمون اللغة السامية ، وقديما ، ومنذ فجر تاريخ الشرق الأوسط احتلوا الشاطئ الشرقى من البحر المتوسط ، واستقروا فى فينيقيا ، ثقافتهم تكاد تكون مماثلة لثقافة ولغة الكنعانيين فى فلسطين ، وفى سنة ١٢٥٠ ق.م استطاعوا السيطرة على التجارة ، وأعمال الملاحة فى البحر المتوسط ، وكانت لهم أسفار حول القارة الإفريقية وتجارة منها ، خشب الأرز اللبنانى ، والأوانى الزجاجية ، والفخارى ، والأوانى النحاسية ، أسسوا عدة مدن منها طنجة ، وقرطاجنة فى القرن التاسع قبل الميلاد ، يرجع إليهم الفصل فى إختراع حروف الكتابة ، عبدوا آلهة ومنها اله الخصوبة ، وكانوا يسمونه "يعل" [محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة ، جـ ٢ ، ص ١٣٥٦ . د/كوثر عبد الرسول وآخر: إفريقية ، ص ٣١٠ ، سنة ١٩٦٦م، بيروت]

(٥) **قرطاجنة** : بالفتح ثم السكون ، وطاء مهملة ،وجيم ونون مشددة ، قيل إن اسم هذه المدينة عبارة عن جزءين : الأول من قرطا ، وأضيف إليها جنة لطيبها ، ونزهتها ، وحسنها ، وهى مدينة قديمة فينيقية من نواحى إفريقية ، كانت مدينة عظيمة شامخة البناء ، وأسوارها من الرخام الأبيض ، لها من العمد الرخام المتنوع الألوان مالا يحصى ، وقد بنى المسلمون من رخامها لما خربت عدة مدن ، ولم يزال الخراب منذ زمن عثمان بن عفان ، وهى تقع على ساحل البحر ، بينها وبين تونس اثنا عشر ميلا ، وعمرت تونس من أنقاضها ، وعندما ولى حسان بن النعمان إفريقية علم ٧٣هـ / ٦٩٢م قال أى مدينة بإفريقية أشد؟ قيل له ليس=

التى ظلت عاصمة المغرب إلى مجئ العرب (١) وهذا ينفى الرأى القائل بإفتراض وجود هجرات من البحر المتوسط (٢) عبر مضيق جبل طارق (٣)

والبربر يتمتعون بصفات ، وقدرات ترجع إلى الأصول الحامية الأولى حين حملتها الهجرات البشرية أصلا من اليمن ، وعمان إلى شرق ، وشمال إفريقية ، منها القدرات البدنية القديمة التى تجعلهم قادرين على القيام بمهام حربية ، وتحمل المشاق. (٤) وقد احتفظ البربر بنزعتهم الحامية ، والسامية رغم محاوت الرومان المستمرة ، واستخدامهم الوسائل الحربية ، والمدنية المشروعة ، وغير المشروعة لطبع المغرب بالطابع الرومانى ، ولكنهم لم ينجحوا فى هذا ، حيث لم يكن لهم فاعلية فى تعديل هذا الإتجاه (٥)

وخلاصة القول: أن اتصال البربر الحضارى قد أوجد نوعا من الإختلاط فى جنس البربر بين فروق حامية ، وأخرى سامية ، وهذا لا يعنى أن جنس البربر كله كما يرى بعض الباحثين مجموعة عناصر طارئة على هذا الوطن، أتت بهم الهجرات البشرية من المشرق نتيجة لظروف سياسية خاصة (٦)

= مثل قرطاجنة ، فنازلها ، وقاتل أهلها قتا لاشديدا ، ثم طلبوا الأمان فأعطاهم إياه ، ثم غدروا فرجع إليها حتى ملكها [ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٣٦٧ ، ٣٦٨ سنة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م بيروت • ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٢٩سنة ١٣٥٠م تونس.
د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ٢٠ . د/ كوثر عبد الرسول وآخر : إفريقيا ، ص ٣١٠]

(١) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٨٢.

(٢) **البحر المتوسط** : هو اسم قديم ، وله أسماء كثيرة منها : البحر المالح تمييزا له عن بحر النيل، أو نهر النيل ذى الماء العذب ، ويطلق عليه البحر الأخضر تمييزا له عن المحيط الأطلنطى الذى يسمى البحر المحيط أو البحر الأعظم أو بحر الظلمات [دائرة المعارف الإسلامية ، جـ ٣ ، ص ٣٨٨ ، سنة ١٩٣٣م ، دار الشعب القاهرة]

(٣) **مضيق جبل طارق** : عبارة عن رأس صخرى يقع فىالطرف الجنوبى لشبة جزيرة أيبر لم يكن إتساعة قديما يزيد على أربعة أميال ، وعرضه ثلاثة أرباع الميل ، وأعلى ارتفاع له فى بعض الأجزاء منه يصل إلى ٤٢٠ متر ، عرف عند اليونانيين القدامى بإسم "أعمدة هرقل" ولما جاء الفتح الإسلامى عام ٩٢هـ / ٧١١م إلى هذه المنطقة أطلق عليه العرب أسماء عديدة منها مضيق المجاز ، أو خليج الزقاق أو بحر الزقاقى ، أو مضيق جبل طارق ، وهى التسمية المشهورة بها حاليا. [د/ أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٤ ، بدون تاريخ ، اسكندرية . أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى ، جـ١، ص ٥٨٠ • ابراهيم زرقانة : العائلة البشرية ، ص ٢٨١ ، مكتبة الآداب بالجماميز ، بدون تاريخ]

(٤) د/ رشيد الناضورى : تاريخ المغرب الكبير ، ص ٢٨٦ ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٦٦م، القاهرة.

(٥) د/ رشيد الناضورى : المرجع السابق ، ص ٣٤٢ .

(٦) موسى لقبال : المغرب الإسلامى ، ص ٤٧ الطبعة الأولى ، سنة ١٩٦٩م، قسنطينة.

ومن الجدير بالذكر أن سكان المغرب العربى لم يعدموا على إمتداد تاريخهم هجرات سامية وافدة ، نجح أصحابها فى خلق ظروف التعايش والإندماج بالوسائل المختلفة مع البربر أبناء البلادالأصليين لدرجة ذوبان هذه العناصر فى البربر. (١)

يقوى ذلك الموقع الجغرافى الذى لا تقوم فيه حواجز طبيعية كبرى تفصل بين مصر ، وبلاد الشام وشبة الجزيرة العربية وبين هذه البلاد ، يؤمد هذا ، النجاح الذى حققته هجرة القبائل العربية التى خرجت من مصر فى القرن الخامس الهجرى "الحادى عشر الميلادى" مثل قبائل بنى هلال ، وبنى سليم (٢) يؤكد إمكانية قيام وإندماج هذا النوع فضلا على أن الهجرات الفينيقية من ساحل الشام ، تلك التى أدت إلى إنشاء مستعمرات فينيقية تم فيها الإندماج بين سكان البلاد الأصليين ، والعناصر الطارئة من الفينيقيين تكاد تكون أمرا معترفا به لدى كثير من المؤرخين (٣)

أقسام البربر:

١- **القسم الأول** : البربر الحضر : وهم الذين يسكنون النواحى الخصيبة الشمالية ، يطلق عليهم "البرانس".

٢- **القسم الثانى**: البربر الوبر : وهم الذين يسكنون المناطق الصحراوية الجنوبية ، ويطلق عليهم "البتر" (٤) وقد نفى أحد الباحثين هذا التقسيم ، وكانت

---

(١) محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ١ ، ص ٣١ ، الطبعة الأولى،عيسى الحلبى سنة ١٩٦٣م ، القاهرة.

(٢) دائرة العارف الإسلامية : جـ ٣ ، ص ٥٠٦ **قبائل بنى هلال** : قبائل بدوية يمنية إنتقلت إلى مصر فى ولاية عبيد الله بن الحبحاب لم يستطيع اخضاعهم الأمويين ، ولا العباسيون ، ولا الفاطميون ، فكثر فسادهم فى الأرض ، وبالعباد [الميلى : تاريخ الجزائر ، جـ ٢ ، ص١١٥ سنة ١٣٥٠هـ، المطبعة الجزائرية ، قسنطينة] خرجت من مصر متجة إلى بلاد المغرب فى سنة ٤٣٣هـ / ١٠٤١م دون أن تجد عوائق طبيعية تمنعها من مواصلة السير [دائرة المعارف الإسلامية : جـ ٣ ، ص ٥٠٦]

(٣) دائرة المعارف الإسلامية : جـ ٣ ، ص ٥٠٢.
جوستاف لوبون : حضارة العرب ، ص ٤٤٧ .

(٤) **البتر** : نسبوا إلى ماذغيس بن بر ، **والبرانس** إلى برنس بن بر ، ويرجع البعض تقسيم البربر إلى برانس ، وبتر إلى إنقسام العرب إلى قحطانيين ، حيث كانت قحطان عاربة تسكن اليمن ، وتتمتع بنظام إجتماعى ، وسياسى فيه نوع من الإستقرار ، وإلى عدنانيين حيث كانت عدنان مستعربة تنتشر فى مكة إلى ما حولها من بادية الحجاز فى حياة بدائية تفتقد إلى=

حجته هى التداخل الواضح بين قبائل البربر المختلفة ، فمثلا نجد البربر الحضر مختلطون مع بربر البدو، فبعض قبائل البرانس تعيش فى جوف الصحراء عيشة بدوية مثل صنهاجة الصحراء (١) وكذلك نجد قبيلة زنانة البترية التى يقول عنها ابن خلدون "إنها أكثر القبائل البربرية حضارة ، وعمرانا" ويمكن تحليل هذا النفى كالأتى:

أولا: قبيلة زناتة جعلها ابن خلدون فرعا قائما بذاته.

ثانيا: أن هناك قبائل كثيرة ينطبق عليها مصطلح بدو ، فالقياس هنا يكون بحسب الأكثرية ، أو الأغلبية.

ثالثا: إن الفروق بين القسمين هى فروق إجتماعية ، وثقافية توجد بين سكان الحضر ، وسكان البادية ، ولا يمنع من صحة هذا أن يكون بعض الحضر قد تبدوا ، أو يكون بعض البدو قد تحضروا (٢) ويرى المستشرق "وليم مارسيه" أن تسمية البرانس والبتر إنما جاءت تبعا لنوع الثياب المعروف فى المغرب ، فالثوب الوطنى المشهور فى البلاد كان البرنس (٣) وهو غطاء الرأس المخروطى الشكل الذى مازال مستعملا إلى الأن ، ويطلق عليهم لفظ "البرانس" أما من كانوا يلبسون هذا الرداء قصيرا ، ودون غطاء الرأس فأطلقوا عليهم لفظ "البتر" بمعنى أبتر أو ناقص. (٤) وهذا التفسير ليس صحيحا على إطلاقة ، إذ أن الملثمين ، وهم من الفرع الصنهاجى الذى يعتبر عمدة البرانس لم يعهد هذا فى ملبسهم ، وعلى الرغم من هذا فإن نوعية الثياب تخضع إلى حد كبير للظروف الطبيعية ، والإجتماعية ، والإقتصادية والثقافية،

= النظام ، والإستقرار ومن ثم فقد قسموا البربر عندما فتحوا بلادهم إلى قسمين مشابهين لهم [ابن خلدون : العبر ، جـ ٦ ، ص ١٩٩ . د/ السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير، جـ ٢، ص١٣٥ سنة ١٩٦٦م . د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب ، جـ ١ ، ص ٨٨ ، ٨٩]

(١) د/ سعد زغلول : مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ٨٨ ، ٨٩ .

(٢) ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ ٦ ، ص ١٩٩ .
د/ حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٣١ سنة ١٩٥٧م، القاهرة.

(٣) **البرنس** : هو كل ثوب يكون غطاء الرأس جزء منه متصلا به قلنسوه طويلة ، كانت تلبس فى صدر الإسلام [لويس معلوف : المنجد فى اللغة ، ص ٣٦]

(٤) د/ حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٨ ، بتر – بترة بترا : قطعة والأبتر هو المقطوع [د/ سعد زغلول : مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ٣٤ ، لويس معلوف : مرجع سابق ، ص ٢٥]

وبالتالى فإن هذا التحليل يرجع الأمر إلى مجموعة الظروف التى تتولد هى الأخرى عن التقسيم إلى حضر وبادية ، حيث يعتبر هذا التقسيم فى عمومه فاصلا بين بئتيين مختلفتين من الناحية الثقافية ، والظروف الإجتماعية، والإقتصادية ، بالإضافة إلى أن تقسيم البربر تقسيم قبلى محض يقوم أساسا على الوشائج ، والروابط القبلية (١)

وعلى الجانب الآخر يشير الدكتور / حسن محمود إلى وجود خلاف عميق بين قبائل البربر البرانس ، والبتر (٢) ويرى البعض أن تقسيم البربر إلى برانس ، وبتر لا يعرف مصدره (٣) ويعتقد البعض الأخر أنه من إبتداع النسابة العرب (٤) إلا أنه يحتمل أن يكون هذا التقسيم قد جاء عن طريق البربر أنفسهم ثم تطور بعد اتصالهم بالعرب (٥) أو أنه جاء عن طريق العرب أنفسهم عندما قسموا شعب البربر على نمط تقسيمهم ، حيث إن العرب ينقسمون إلى قسمين رئيسيين هما : **قحطان** ، **وعدنان** ، كذلك جاء تقسيم البربر إلى قسمين رئيسيين أيضا هما البتر ، والبرانس.

ويذكر ابن خلدون ، وابن حزم (٦) أنه يوجد بين النسابين خلاف هل هما لأب واحد "برنس" ، "وما دغيس" فذكر ابن حزم عن أيوب بن أبى يزيد

---

(١) البيلى : البربرفى الأندلس ، ص ٩ .

(٢) يعتبر البعض أن الخلاف بين البربر خلاف جنسى محض ، وأن هذا الخلاف باق إلى اليوم وأن القرية المغربية لازال فيها هذان العنصران المتباغضان أبدا ... بيد أن هذا التفسير ينطوى على كثير من المبالغة لأن البرانس ، والبتر قد إمتزجوا عبر التاريخ على نحو نماذج القبائل العربية ، على أنها فرعان لشجرة واحدة [د/حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٩٠]

(٣) د/ عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، جـ ٢ ، ص ٥٠ ، الطبعة الرابعة. بدون تاريخ.

(٤) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٨٧ . د/ السيد سالم : تاريخ المسلمين وأثارهم فى الأندلس ، ص ١٩.

(٥) ابن خلدون : العبر ، جـ ٧ ، ص ٧.

(٦) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ١٧٦ ، ١٧٧ . ابن حزم : جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩١، ٤٩٥ .

ابن حزم ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م ، **أبو محمد على بن حزم القرطبى** مؤرخ ، وفقيه ، ومحدث، وأديب ، شغل عدة مناصب سياسية فى الأندلس ، مما يسر له فرصة الإطلاع على ما كتبه سابقوه من المغاربة من أمثال محمد بن يوسف الوراق الحافظ لأخبار المغرب ، له مؤلفات عديدة منها ، فضل الأندلس ، رسالة فى أصول الفقة ... إلخ .ويعد كتاب جمهرة أنساب العرب أهم كتب الأنساب ، وهو المصدر الرئيسى الذى إعتمد عليه ابن خلدون ، وغيره من المؤرخين فى تحقيق أنساب القبائل البربرية.=

صاحب الحمار أنهما لآب واحد على ما حدثه عنه يوسف الوراق ، وقال سالم بن سليم المطماطى ، وهانى سرور ، والكومى ، وكهلان بن أبى لوا ، وهم نسابه البربر ، إن البرانس بتر ، وهم من نسل مازيغ بن كنعان ، والبتر بنوبر بن قيس بن عيلان ، وربما نقل ذلك عن أيوب بن أبى يزيد ، إلا أن رواية ابن حزم أصح لأنه أوثق" وكان من نتيجة هذا التطور ، أن ظهر تداخل كبير بين قبائل البربر سواء كانوا بترا ، أو برانس فمثلا قيل عن زواوة البترية إنها من كتامة البرنسية (١) بالإضافة إلى وزداجة البرنسية فهى من بطون زناتة البترية (٢) ونتيجة أخرى للتطور فقد وجدت قرابة قريبة بين الجماعتين (٣)

يقول ابن خلدون : "أما شعوب هذا الجيل ، وبطونهم فإن علماء النسب متفقون على أنهم يجمعهم جذمان عظيمان ، وهما : برنس ، وماذغيس" (٤) ويلقب ماذغيس بالأبتر فلذلك يقال لشعوبه "البتر" ويقال لشعوب برنس البرانس (٥) فذهب بعضهم إلى أنهم لأب واحد ، وهو بر الذى يعتبر جد

=[محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة ، ص ١٣ . د/ سنوسى يوسف : زناتة والخلافة الفاطمية ، ص ١٨ ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٦م، مصر]

ابن خلدون ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون مؤرخ ، وفيلسوف إجتماعي ينتهى نسبه إلى وائل من حجر من عرب اليمن ، أقامت أسرته فى تونس حيث ولد، ونشأ ، وتعلم بها ، تنقل فى بلاد المغرب والأندلس ، اشتغل بالسياسة ، وانتقل إلى مصر واتصل بسلطانها برقوق ، هدا المركز الإجتماعى ، والسياسى أتاح له الإطلاع على أمهات تاريخ المغرب ، فظهرت موهبته ، وعبقريته مما ساعده على الإستفادة من هذه المصادر ، ثم انقطع للتدريس ، والتأليف ، فأتم كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر ، وللمنهج التاريخى عند ابن خلدون ، قواعد للبحث فى تلك الوقائع ، وأهمها إن الوقائع يرتبط بعضها ببعض إرتباط العلة بالمعلول. [محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة ، جـ ١ ، ص ١٤ . د/السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ . د/ سنوسى يوسف : مرجع سابق، ص ٢٤ ، ٢٥]

(١) ابن خلدون : العبر ، جـ ٦ ، ص ١٢٦.

(٢) ابن خلدون :المصدرالسابق ، جـ ٦ ، ص ١٢٤ .

(٣) محمود شيت خطاب : عقبة بن نافع القهرى ، ص ٢٣.

(٤) **برنس ، وماذغيس** ، وهما من نسل مازيغ بن كنعان بن حام نوح [دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ١ ، ص ٢٨ . د/ السيد سالم : تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى ، ص ٤٩ ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ ، اسكندرية .

(٥) ابن خلدون : العبر ، جـ ٦ ، ص ١٧٦ ، والبرانس نسبة إلى برنس ، وهو غطاء للرأس أبيض اللون ، وقد يكون أسود أو سماوى.

والبتر نسبة إلى الرداء الأبتر الذى لا غطاء له [د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١، ص ٩ . البيلى : البربر فى الأندلس ، ص ٨] =

البربر جميعا، وذهب أخرون إلى أن لكل من الجماعتين جدها الخاص بها (١)

وقد تشعب كل قسم من البرانس والبتر إلى قبائل عظيمة وشعوب عند النسابين "فالبرانس" يجمعهم سبعة أجذام هى:

صنهاجة ، ومصمودة ، وأوربة ، أزداجة ، وعجيسة ، وكتامة ، وأوريغة ، وأضاف إليهم سابق بن سليم وأصحابه ، لمطة ، وهسكورة ، وجزولة ، "كزولة".

ويتفرع من قبائل البرانس فروع كثيرة فمن أزداجة مسطاطة ، ومن مصمودة غمارة بنوغمار بن مصطاف بن مليل بن مصمود ، ومن أوريغة هوارة وملد ومغر. وقلدن ، فمن هوار بن أوريغ مليلة وبنوكهلان ، ومن ملس أوريغ سطط وورفل وأسيل ومسراته ، ويقال لهم جميعا لهانه بنو لهان ابن ملد ، ويقال إن مليلة منهم ، ومن مغر بن أوريغ ماواس وزمور وكبا ومصراى ، ومن قلدن بن أوريغ قمصانه ، وورسطيف ، وبيانه وفل مليلة (٢)

وتنتشر قبائل البرانس فى معظم بلاد المغرب ، ولكن قبائلهم تتوغل فى قلب قارة إفريقية حتى منحنى نهر النيجر ، ومصب نهر السنغال ، ومعظمهما ينزل فى مواضع متحضرة (٣) فنجد قبيلة صنهاجة التى تعتبر أكبر قبائل البربر حتى يذكر أنها تحتوى على ثلث البربر ، وموطنها بين المغرب الأوسط وإفريقية (٤) وخاصة فى المنطقة الجبلية الممتدة

= لكن الدكتور / السيد سالم يرى أن هذا تفسير لغوى لا يقوم على أساس متين ، فليس لزاما على البترى أن يكون عاريا من البرنس ، وليس شرطا أن يكون البرانسى مرتديا له [تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ١٩]

(١-٢) ابن خلدون : العبر، جـ ٦ ، ص ١٧٦ : ١٧٨.

(٣) د/ السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ١٣٨ . دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٣٨ .

(٤) ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ ٦ ، ص ١٥٢.

من بجاية (١) إلى جنوب مدينة الجزائر ، وإلى جوار قبيلة صنهاجة استوطنت قبيلة عجيسة البرنسية الجبال المشرفة على مدينة المسيلة (٢) ومنهم من سكن بالمغرب الأقصى حول تلمسان (٣) وسجلماسة (٤) ، والسوس الأقصى قرب سبتة (٥) ، وأيضا في الطريق من تاهرت (٦) إلى أودغست (٧)

---

(١) **بجاية** : بكسر الباء ، وفتح الجيم تقع على ساحل البحر المتوسط بين إفريقية ، والمغرب الأقصى [ياقوت : معجم البلدان : ، جـ ١ ، ص ٣٣٩]

(٢) **المسيلة** : بسكر الميم ، وسكون المثناه من تحت هى مدينة المحمدية [أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ١٣٨ ، سنة ١٨٥٠م، باريس]

(٣) **تلمسان** : بكسر التاء ، واللام ، وسكون الميم وفتح السين ، وبعضهم يقول تنمسان بالنون عوضا عن اللام ، وهى عبارة عن مدينتان متجاورتان سورتان ، وبينهما رمية حجر ، إحداهما مدينة قديمة تسمى "آقادير" والأخرى حديثة تسمى تافرزت ، وتعتبر تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ، ودار مملكة قبيلة زناتة ، لها خمسة أبواب ، فيها أنها رجارية ، ومزارع كثيرة ، تشتهر بأجود أنواع الخيول [ابن حوقل صورة الأرض ، ص ٨٨ . البكرى : المغرب ، ص ٧٦ ، ٧٧ ، سنة ١٩١١م، الجزائر . ياقوت : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص٥١، ٥٢ . الباجى : الخلاصة النقية ، ص ٦ ، الطبعة الثانية ، سنة ١٢٨٣هـ ، تونس]

(٤) **سجلماسة** : بكسر السين ، والجيم ، وسكون اللام ، وفتح الميم ، تقع فى جنوبى المغرب ، وطرف بلاد السودان ، بينها وبين فاس عشرة أيام من ناحية الجنوب ، وهى مدينة كثيرة الخضر ، والجنات ، وأهم غلاتها الكمون ، والحناء ، تسكن هذه المنطقة قبائل بربرية تنتسب إلى زناتة ، وصنهاجة ، وهوارة ، أهلها أغنياء بسبب التجارة مع السودان [أبو الفداء:مصدرسابق، ص ١٣٦ . ياقوت : مصدرسابق، جـ ٣ ، ص ١٩٢ . البكرى : مصدرسابق، ص ١٤٨ ، حسن الوزان : وصف إفريقية ، ص ٤٩٣ ، ١٣٩٩هـ ، الرياض]

(٥) **سبتة** : بكسر السين ، أو فتحها ، وسكون الباء تقع على المحيط الأطلنطى ، وعند نهاية البحر المتوسط ، وهى مدينة كبيرة مسورة بسور صخر محكم البناء ، بها مرسى تحط به السفن وتقلع ، وهى داخلة من البر وفى البحر ، يسكن بها بربر من قبيلة مصمودة.
[ابن حوقل :مصدرسابق ، ص ٧٩ . أبو الفداء : مصدرسابق ، ص ١٣٢ ، ١٣٣ ، الإدريسى : نزهة المشتاق ، جـ ٢ ، ص ٢٥٨ ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة حسن الوزن: مصدر سابق ، ص ٣١٩ . ياقوت : مصدرسابق، جـ ٣ ، ص ١٥٩]

(٦) **تاهرت** أو تيهرت : بكسر التاء ، وهى اسم لمدينتين أحدهما على ربوه يحيط بها سور، أسست قبل الإسلام ، افتتحها عقبة بن نافع ثم ضعف أمرها ، وخربت ، فى قبلتها لواتة ، وهوارة ، وفى غربها زواغة ، وبجنوبها مطماطة ، وزناتة ، ومكناسة ، وأسس مكانها تيهرت الفرنسية المدعوة اليوم "تيارت"
الثانية **تيهرت** الحديثة أسسها عبد الرحمن بن رستم ١٤٤هـ ، ٧٦١م غربى المدينة القديمة بخمسة أميال. [البكرى : مصدرسابق، ص ٦٧ ، ياقوت : مصدرسابق، جـ ٥ ، ص ٨ . القلقشندى صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١١١ ، ١١٣. ابن حوقل : مصدرسابق ، ص ٨٦ . الميلى: مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ٣٨]

(٧) **أودغست** : بفتح الألف ، وسكون الواو ، وفتح الدال ، والغين ، تقع منحرفة محازاة للسوس الأقصى ، كأنهما مع سجلماسة مثلث طويل الساقين أقصر أضلاعه من السوس إلى أودغست، وهى فى صحراء بلاد المغرب يسيرمنها المسافرون إلى سجلماسة ، وغانة ، وهى مدينة صعبة الحياة قليلة الماء ، أمطارها صيفية يزرعون القمح ، والذرة ، وبها النخل.
[ابن حوقل : مصدر سابق ، ص ٩١ . ياقوت : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٢٢٥ ، ٢٧٨ ، أبو الفداء : مصدر سابق ، ص ١٣٧]

مساكن كثيرة لصنهاجة ، كما سكنوا مع بربر جبل الورن (١) وأكبر بطون صنهاجة قبيلة زناجة التى تعيش فى جبال أطلس جنوبى تازة .(٢)

قبيلة مصمودة : وموطنهم فى المغرب الأقصى ، وجبال درن ،ويحتلون المسافة من سبتة إلى طنجة (٣) ومن بطونها قبيلة برغواطة ، وغمارة. (٤)

قبيلة أوربة : سكنت فى جنوب الريف فى منطقة وليلى القديمة ، وهى منطقة فاس الحالية، ومنهم من كان إزاء تاهرت ، ومنهم جماعة بجبال نفوسة ، ولهم منازل فى طرابلس (٥) إلى ما يقارب مدينة سرت الواقعة على الساحل بليبيا بالإضافة إلى بجاية (٦) قبيلة مصمودة ، وبرغواطة ، وغمارة ، ومعهم عوالم من صنهاجة ، ومطغرة ، وأوربة ، فديارهم تقع جنوبى المغرب الأقصى وجنوبى مدينة مراكش ، وهو ما بين وادى ملوية من جهة الشرق ، وجبال درن من جهة الغرب (٧)

---

(١) **جبل الورن** : عبارة عن سلسلة جبال فى المغرب تبدأ من البحر المحيط فى أقصى السوس حتى يصل جبل نفوسة ، وتعرف هذه الجبال بأطلس العليا [الإدريسى : صفة المغرب ، ص ٢٢٦ سنة ١٨٩٤م ليدن . ياقوت معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٤٥٢]

(٢) د/ السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ١٣٧ .

(٣) **طنجة** : لفتح الطاء ، وسكون النون ، وفتح الجيم ، مدنية فينيقية قديمة مبنية من الحجارة ، تعرف بالبربرية "وليلى" تقع على ساحل البحر المحيط (المحيط الأطلنطى) يعمل أهلها بالزراعة ،وخاصة الحبوب ، والحنطة ،وبها الفواكهة ، كالعنب ، والكمثرى ، وهى دار مملكة ملوك المغرب ، بينهما وبين القيروان مسيرة ألف ميل بها ساكن قبيلة صنهاجة وهى محط للسفن [البكرى : المغرب ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ . ياقوت : مصدر سابق ، جـ ٤ ، ص ٤٣ . ابن عذارى : البيان المغرب جـ ١ ، ص ٢٦ ، سنة ١٩٤٨م، بيروت ، لبنان . القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٧٠ ، سنة ١٩١٥م ، القاهرة . الذهبى : دول الأسلام ، جـ١، ص٥٦ ، سنة ١٩٨٨م، قطر . الإدريسى : نزهة المشتاق ، جـ ٢ ، ص ٥٢٩]

(٤) ابن خلدون : العبر ، جـ ٦ ، ص ٢٠١ ، ٢٠٦ ، ٢١١ .

(٥) **طرابلس**: بفتح أوله ، وباء ولام مضمومتان ، يقال طرابلس وطرابليط ، وهى مدينة فينيقية ، ومعناها بالرومية ، أو الإغريقية ، ثلاث مدن عليها سور جليل البنيان ، وهى على شاط البحر بها جامع ، وأسواق حافلة [ياقوت : مصدر سابق ، جـ ٤ ، ص ٢٨ . د/ محمد زيتون:القيروان ، ص ٢٠]

(٦) اليعقوبى : البلدان ، ص ٢٤٦ .
الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٢١ ، الطبعة الثانية ١٩٦٣م، دار المعارف ، مصر.

(٧) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ٢٠١ .
- د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٩٧ .

أما عن القسم الثانى من أقسام البربر"**البتر**" فيجمعهم أربعة أجذام هلى أداسة ، ونفوسة ، وضريسة ، وبنولوا الأكبر ، كلهم بنو زحيك بن ما ذغيس، أما أداسة بنو أداس بن زحيك ، فبطونهم معظمها فى هوارة فكان أداس أخالهوارة ، وداخل نسب بنيه كلهم فى هوارة ، وهم سقارة وأندارة وهنزولة وضريسة ، وهيداغة ، وأوطيطة ، ومعظم هؤلاء كلهم بنوا أداس بن زحيك بن ما ذغيس ، وهم اليوم فى هوارة (١)

أمالوا الأكبر فمنه بطنان عظيمان ، وهما نفزاوه بنوا نفزاو بن لوا الأكبر ، ولواته بنولوا الأصغر بن لوا الأكبر فخلفه أبوه حملا قسمى به فمن لواته أكوزة ، وعتروزة ، وبنو فاصلة بن لوا الأصغر ، ودخل نسب سدراته فى مغراوة (٢)

وتوجد هذه القبائل فى السهول المرتفعة ، والمنخفضة ، وعلى الهضاب التى تمتد من طرابلس إلى تازة ، كما أنهم ينتشرون بكثرة فى إقليم النخيل ، الممتد من غدامس إلى السوس الأقصى ، كما أنهم ينتشرون داخل سهول إفريقية ، وعلى سفوح جبال أوراس ، وإقليم التل قرب طرابلس (٣)

ومن الجدير بالذكر أن قبائل البربر البتر الرئيسية أربعة منها :

قبيلة لواته أو لوا ، وبطونها نفزاوه ، ومنها قبيلة ورفجومه ، وكانت تسكن المناطق الجنوبية من بلاد تونس ، وفى جبال أوراس (٤) وفى زمن الفتح كانت تسكن مدنية برقة (٥)

---

(١) ابن خلدون : العبر ، جـ ٦ ، ص ١٧٩.

(٢) الناصرى السلاوى : الإستقصا ، جـ ١ ، ص ٦٦ . ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ ٦ ، ص١٧٩ .

(٣) ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ ٦ ، ص ١٩٣ : ٢٠٤ .
- د/ حسن محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٣٣ .

(٤) ابن خلدون: مصدر سابق ، جـ ٦ ، ص ١٩٣: ٢٠٤.
- محمود ناجى : تاريخ طرابلس الغرب ، ص ١١٣ ، ١١٤ ، منشورات الجامعة الليبية كلية الأداب ، بدون تاريخ . د /حسن محمود : مرجع سابق ، ص ٣٣.

(٥) الزاوى: تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٢١.
برقة: بفتح الباء ، وسكون الراء ، وفتح القاف ، وهى تقع بين الأسكندرية ، وإفريقية "القيروان"، كانت تسمى قبل الفتح الإسلامى انطابلس ، وهى كلمة رومية ، معناها بالعربية خمس مدن ، دمر العرب أسوارها لأغراض حربية ، عاصمته برقة ، الآن بنى غازى ، =

ومنها قبيلة طريسة ، ولها بطون منها مطغرة ،ومديونة ، ولماية ، ومغيلة ، ومكناسة ، وزناتة ، وزواغة ، كانت بالمغرب الأوسط ، ومنهم أيضا في المغرب الأقصى مما يلي ديار غمارة مع صنهاجة ، وغيرهم (١) **ومنها قبيلة نفوسة** ، من أكبر بطون البربر البتر ، وتسكن بجهات طرابلس إلى قرب القيروان ، ويسكنون أيضا فى الجبل المعروف باسهم "جبل نفوسة" الواقع جنوبى طرابلس (٢) ، ويسكن بعضهم فى مدينة قابس (٣) مع قبائل شتى (٤)

الرابعة قبيلة أداسة يقال أنهم من هوارة ، وهوارة معظمهم من الخوارج (٥)

الديـــن عنـــد الـــبربر:

لم يكن للبربر عقيدة ثابتة ، أورسالة سماوية ، كما كان لليهود والنصارى ، نظرا لأنهم أمة واحدة مختلفة الأصول متسعة الأماكن ، فقد كانت لهم معتقدات شتى ، سواء كانت مجوسية ، أو يهودية ، أو مسيحية ،

=وتعرف بالجبل الأخضر وهى مدينة برية ، بحرية ، جبلية ، وبها تربة حمراء ، وهى أول منبر ينزله القادم من مصر إلى القيروان ، وبها من التجارة ، وكثرة الغرباء لما فيها من التجارة ، وأهم سلعها الجلود ، والصوف ، والعسل ، والزيت هذا إلى جانب أنها متلقى التجارة الواردة من المشرق ، والمغرب ، وتعتبر برقة الإقليم الوحيد الذى ظل من سنة ٢٣ - ٢٧هـ / ٦٤٧-٦٤٣م داخل سيادة العرب لأن عمرو بن العاص ترك عقبة بن نافع مع حامية من المسلمين ، وقد عرف عقبة خبر الحرب فى هذه المناطق ، وعرف أيضا طرقها ، ومسالكها ، فكان دائم التردد على القبائل البربرية يراقبها ، مما جعل برقة نقطة انطلاق للجيش فى مسيرته الطويلة إلى طرابلس. [ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦٩ . الأدريسى : صفة المغرب ، ص ٣١١. نقولا زيادة : ليبيا فى العصور الحديثة ، ص ٣٤ سنة ١٩٦٦ ، القاهرة . د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ١٧ ، أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى ، جـ ٢ ، ص ٦١٠]

(١) ابن خلدون : العبر ، جـ ٦ ، ص ٢٠١ . الطاهر الزاوى : تاريخ الفتح ، ص ٢٢

(٢) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٩٣ ، ١١١ .

(٣) محمود ناجى : مرجع سابق ، ص ١١٥ .

قابس : بفتح القاف ، وألف وباء موحدة ، مدينة من مدن إفريقية ، تقع بين طرابلس ، وسفاقس على ساحل بحر الروم ، على مسافة ثلاثة أميال منه ، وهى مدينة مسورة بها بساتين ، ومزارع إشتهرت بالحناء ، والموز ، والحرير ، وقصب السكر ، بها أجود أنواع التمور ، أهلها لهم زى خاص بهم [ابن خلدون : مصدر سابق، جـ ٦ ، ص ٢١٩ . القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٠٤ . محمد زيتون : مرجع سابق ، ص ٥٩]

(٤) البكرى : المغرب ، ص ١٧ ، ١٨ .

(٥) ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ ٦ ، ص ٢٨٣ .

أما الديانة اليهودية : فقد دخلت إلى البربر منذ زمن مبكر مع الفينيقيين ، ثم مع المهاجرين اليهود أيام الإضطهاد الرومانى (١) وإن لم يكن لهم من المنزلة التى أراد نسبتهم إليها (٢).

وأما الديانة المسيحية : دخل البربر فى الدين المسيحى فى أواخر القرن الثانى للمسيح إلى القرن السابع (٣) وإنتشرت عن طريق الرومان الذين احتلوا الساحل الشمالى لبلاد البربر، بالإضافة إلى رهبان من مصر ، ومن الجدير بالذكر أن انتشار المسيحية بين قبائل البربر فى الشمال كان كبيرا ، نظرا لإتصالهم ، واحتكاكهم بالرومان ، هذا ولم تتغلغل الديانة المسيحية فى هذه المناطق التى انتشرت بها، بسبب سياسة الظلم ، والتعسف الذى أعطى الفرصة للبربر للقيام ضد الحكم الرومانى ، بل أكثر من هذا ، فقد أقبلوا على اعتناق أراء مخالفة تتعارض مع عقيدة الكنيسة فى روما ، مما أدى إلى عدم وحدتهم ، واستمر هذا الأمر نفسه بعد الفتح الإسلامى (٤) ... ويعد انتشار الديانة المسيحية قليلا كلما اتجهنا داخل الصحراء لآن معظم قبائل البربر فى هذه المنطقة بدو رحل ينتقلون وراء المراعى ، والغذاء ، والماء ، ولم يتمكن الرومان من السيطرة عليهم ، أو الإتصال بهم ، ولم يكتب للجماعات النصرانية فى إفريقية الشمالية أن تعيش طويلا بعد دخول البلاد فى الإسلام(٥) ، علىالرغم من بقاء المسيحية فى مصر(٦)

---

(١) حسن الوزان : صف إفريقية ، ص ٧٧ . د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ١١٦ . عثمان الكعاك : البربر ، ص ٤٨ ، الطبعة الأولى ، بدون تاريخ.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية : جـ ٣ ، ص ٥١٤.

(٣) عثمان الكعاك : مـــــرجع سابق ، ص ٥٠.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية : جـ ٣ ، ص ٥١٤ .

(٥) حسن الوزان : وصف إفريقية ، ص ٧٧ . د/حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٢٨، مكتبة الآداب بالجماميز ، بدون تاريخ.

(٦) انتونى سلاوى : الجغرافية الإجتماعية لإفريقيــة ، ص ٤٥ ، دار النهضــة العربيــة ، بدون تاريخ ،مصر.

اللغة عند البربر :

البربر شعب له لغته التى تنسب إليه ، ويتخاطب بها الكثير من أفراده، ويستعملونها فى حياتهم اليومية يسمونها "أوال أما زيع" أى اللغة النبيلة ، ويطلق عليها العرب اللغة البربرية ، وهى عبارة عن لغة قائمة بذاتها بها الحروف ، والمفردات ، والقواعد الخاصة بها ، وقد أصبحت اللغة البربرية ممزوجة بكثير من الألفاظ العربية مثل كلمة الجمل (١) هذا فضلا عن الذين نسوا لغتهم، وصاروا لا يعرفون إلا اللغة العربية (٢)

وقد حدد جوستاف لوبون (٣) المناطق التى توجد فيها لغة البربر ولهجاتها بقوله "لا يتكلم أحد بالبربرية فى غير الجبال أو البقاع البعيدة من المدن ، حتى إن الجبال بها لهجات عربية محرفة عن أصولها باستثناء مراكش حيث تسودها اللغة البربرية (٤)

ولغة البربر كانت تكتب فى العصور القديمة ، ولايزال هناك نوع من الكتابة ، أو النقش البربرى موجود عند قبائل الطوارق (٥) فى الصحراء الغربية (٦) ، وهذا يدل على أن للبربر لغة خاصة بهم ، على عكس ما ذهب

---

(١) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ١١٣ .
(٢) حسن الوزان : وصف إفريقية ، ص ٤٧.
(٣) جوستاف لوبون : حضارة العرب ، ص ٢٤٧ .
(٤) حسن الوزن : مصدر سابق ، ص ٤٨ .
(٥) **الطوارق** : شعب مسلم يطلق عليهم أحيانا لفظ "الملثمين" ، لأن الرجال منهم يضعون على وجوههم لثاما أزرق ، أو أسود معظم الوقت ، بينما يذهب النساء بغير لثام ، أوحجاب ، يسكنون غربى الصحراء الكبرى بين الجزائر والمغرب جنوبا ، يشتغلون بتربية الإبل بالإضافة إلى قليل من الغنم ، والماعز ، يعتمدون فى معاشهم على ألبان ماشيتهم ، واللحم ، والحبوب ، يحتقرون الزراعة ، ويتركونها للعبيد ، أما نظام القبيلة فيتكون من طبقتين : الاولى البنلاء ، والثانية العبيد ، يعرفون نظام الرياسة فلكل قبيلة شيخها ، والنظام القبلى عندهم يعكس بعض ملامح النظام الإجتماعى ، فمركز الرجل تحدده الام ، فابن الأمة يعتبر عبدا ولو كان أبوه نبيلا ، ومع إن الرياسة غير وراثية فإنها تنتقل فى العادة من الشيخ إلى ابن أخته ، وتتمتع المرأة بشأن لا بأس به عند الطوارق ، وتكاد تكون مطلقة الحرية فى مخالطة الرجال ، والإشترال أحيانا فى مجالس القبيلة ، كما أن لها حق اختيار الزوج [محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة ، جـ ٢ ، ص ١١٦٥]
(٦) د/ سعد زغلول : مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ١١٠.

إليه أحد الباحثين (١) ، وبأنها لم تشتق من الفينيقية (٢) بل هى لغة حامية قريبة من لغة المصريين القدماء التى لا تزال موجودة فى بلاد النوبة ، وفى بعض الكنائس القبطية فى مصر (٣) وتقبل لغة البربر معظم الألفاظ الدخيلة فتبربرها، ولها عدة خصائص منها ... الإبتداء بالساكن وهذه غير موجودة بالعربية مثل كلمة "تزاليت" بمعنى للصلاة "تمارت" للحية "تفويت" للشمس "وتفاوت" للنار ، ومن خصائصها أيضا إجتماع ساكنين.

من جانب آخر يبدأ الإسم بتاء التأنيث لا فى آخره ، مثل "تيزيوين ، تيوحديين" بمعنى الفتيات الحسان ، وقد يكون المؤنث مختوما بتاء ، ولكن لابد من تاء فى أوله ، لأنها علامة التأنيث فيها كقولهم "تاقطون" للمرأة "تامروت" للبندقية. وتضم اللغة البربرية معظم العناصر التى تتركب منها اللغة العربية ، فيها الإسم ، والفعل ، والحرف ، فالأسماء مثل "أجنا" للسماء ، و"إترى" للنجم وتثنيها "إيتران" ومعناه اثنان من النجوم. أما الفعل فينقسم إلى ماضى ، ومضارع ، وأمر فالماضى يبتدئ بالياء مثل "يسوء" بمعنى شرب المضارع يبدأ بالهمزة مثل "أديسو" ، والمصدر "أسوا" بمعنى يشرب الأمر قد يبدأ بالهمزة ، أوبدونها مثل "أش" يعنى كل (٤)

والحروف البربرية عبارة عن نقط ترسم مع بعض الحروف لتأكيدها ، والحروف نوعان : مفردة ، ومركبة ، فالمركبة عبارة عن حرفين متداخلين فينطق الحرف المركب فى حرفين ، والحرف الأصلى يوضع بداخله الثانى ، وهو الذى يرسم فى وسطه ، والحرف الموجود فى الوسط ينطق بعد الأول فمثلا يرسم داخل حرف الباء ، حرف التاء ، فيكون حرف مركب ، وهذا الرسم يقرأ بت ، من جانب آخر تبتدأ الكتابة من اليمين حتى إذا انتهى السطر كتبوا تحته سطرا آخر مبتدئا من اليسار فيختتم فى اليمين ، ويبداوأن السطر الثالث من اليمين إلى أن تتم الكتابة وهكذا.

---

(١) ذهب "نقو لازيادة" إلى أن البربر لا يملكون لغة مكتوبة يستطيعون التخاطب بها واستعمالها ["ليبيا فى العصور الحديثة ، ص ٣٦"]

(٢) جوستاف لوبون : حضارة العرب ، ص ٢٤٧ .

(٣) دبوز : تاريخ المغرب الكبير، جـ ١ ، ص ٤٩ .

د/ أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى ، جـ ٦ ، ص ٥٨١ .

(٤) دبوز : مرجع سابق، جـ ١ ، ص ٤٩ ، ٥٠.

وقد تأثر البربر بالعرب ، وبالكتابة العربية التى تعلموها فصاروا يلتزمون اتجاها واحد فى الكتابة ، وهو الإتجاه العربى من اليمين إلى اليسار(١) أما عن سبب بقاء لغة البربر فى بعض المناطق المختلفة ، فهو ارتباطها باللغة العربية ، لأن كثير من الكلمات البربرية مشتقة من أصول عربية كالجمل(٢)

وقد أدى تفرق قبائل البربر فى السهول ، والجبال، والواحات إلى تعدد لهجاتهم (٣) فنجد أن لصنهاجة لهجة ، ولكتامة ، ونفوسة ، وغيرها من قبائلهم العديدة لهجاتهم الخاصة بهم فى الوقت الحاضر (٤)

وقد حافظ البربر على لغتهم خارج المدن على الأقل ، ومع كثرة فتوح الأجانب لها (٥) وخاصة الوندال ، والإغريق ، والرومان ، فكانوا يطوعون الكلمات الغربية على لغتهم بحث يكون وجودها أمرا مقبولا ، فكانت عملية بربرة الكلمات عند البربر سهلة ، بحيث إذا أرادوا أن يبربروا كلمة مقتبسة زادوا لها تاء مفتوحة فى أولها ، وتاء ساكنة فى آخرها ، فمثلا إذا أرادوا بربرة كلمة الدار قالوا "تدارت" وكلمة الحانوت قالوا تاحنوت وهكذا (٦)

---

(١) دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ١ ، ص ٦٦ ، ٦٧ ، ولسوء الحظ لم نعثر على نموذج لمثل هذه الكتابة فى المخطوطات التى إطلعنا عليها أو المصادر والمراجع.

(٢) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ١١٢.

(٣) ذكر البعض أن اللهجات البربريةكثيرة ، ومتعددة ، منها ... **اللهجة الميزابية** ، وتوجد فى الصحراء بجنوب الجزائر ، ومنها ... **لهجة الشاوية** فى جبال أوراس ، ومنها ... **لهجة القبائل** فى جبال جرجرة بالجزائر هذا إلى جانب **اللهجة الزناتية** المنتشرة فى ليبيا وتونس والجزائر بإستثناء منطقة القبائل ، بالإضافة إلى **اللهجة المصمودية** ، وهى موجودة ببلاد السوس بالمغرب ، وأخيرا ، **اللهجة الصنهاجية** المنتشرة فى معظم بلاد القبائل [دبوز : مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ٥٠ ، ٦٠ . د/ محيى الدين عميمور : البعض يسعى لتجميع شظايا لغوية ، ص ٦ ، مقال بجريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٥/٩/٢٦م]

(٤) د/ محيى الدين عميمور : البربرية والأمازيغية بين الحقائق والمغالطات ، ص ٦ مقال بجريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٥/٦/٣٠.

(٥) جوستاف لوبون : حضارة العرب ، ص ٢٤٤.

(٦) دبوز : مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ٦١.

مفردات الحروف البربرية ومايقابلها فى العربية (١)

الحروف المفردة البربرية	مقابلها فى العربية	الحروف المركبة البربرية	مقابلها فى العربية
• ا	الهمزة		
◫ ⦶	يب	+⊟	يبت
+ ÷	يت	#	يزت
⌐\ Λ ⊔	يد	□	
⌶ ⋊	يج	⊞	يرت
#	يض	+⊡	يست
X ω	يز		
□ O	ير	∔	يفت
□ O	بس	⊢⋈	يجت
.|. ⁚|⁚	يث	⊢+⊣	يلت
⊐⊏	بق		
⌶][	يف	+⊣	يمت
||	يل	+	ينت
]	يم		
|	ين	+ⵛ	يشت
. :	يك	·İ·	ينك
⋮	يغ		
ⵛ	يش		
⁞	يه	⊏+ +⊐	يضت
⊣ ⊦	يط		
: :	يخ		
:	يو	⊢+⊣ ⌶	يفت
ꝫ Σ ٦	يى		

١- دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ١ ، ص ٦٢ . د/ محيى الدين عميمور: البعض يسعى لتجميع شظايا لغوية ، مقال بجريدة الأهرام ، بتاريخ ٢٦/ ٩/ ١٩٩٥ .

ومن الجدير بالذكر أن الإستعمار الفرنسى أراد إحياء اللغة البربرية كلغة ثانية فى الجزائر ، وفى سبيل ذلك ، بدأت فرنسا الإهتمام باللهجات البربرية ، وخاصة فى معهد الدراسات الشرقية بباريس فى عام ١٣٣٢هـ ، ١٩١٣م ، فأنشئت الأكاديمية البربرية ، هذا إلى جانب إرسالها البعثات التنصيرية التى إتخذت من التخفى ، والتموية طريقا لها ، فتخلى رجال الكنيسة عن ملابسهم السوداء ليلبسوا ملابس البربر المحلية ، وقد وجهوا عناية خاصة لمنطقة شرق الجزائر ، حيث توجد لهجة القبائل ،ويرجع سبب اختيارهم لهذه المنطقة ، أن هذه المنطقة بها رجال علم ، وفضل ووطنية كانوا سباقين للعمل على حماية الدين الإسلامى ، واللغة العربية مثل الشيخ "حداد" والسيدة "فاطمة نسومر" التى دوخت الجيش الفرنسى ، وكان هدف السلطات الفرنسية منذ احتلال الجزائر عام ١٢٤٦هـ ، ١٨٣٠م هو عزل اللغة العربية عن الحياة العامة فى التعليم والإدارة ، فأنشئت ثمانية وعشرين بيتا ثقافيا (قصر ثقافة) منتشرة على نطاق واسع فى المدن الجزائرية الثانوية الأهمية ، وفى أعماق الريف ، وعلى حدود الصحراء الكبرى (١) كما أنشأ الإستعمار الفرنسى المدارس البربرية ، وحرم فيها دراسة اللغة العربية ، هذا إلى جانب تشجيع اللهجات المحلية الدارجة ، وهذه سياسة تهدف إلى تحطيم اللغة العربية الفصحى التى تشكل عامل الوحدة الرئيسى للوطن العربى ، ومما يزيد الأمر خطورة ، أن سكان الجزائر موزعين على مساحة كبيرة تتجاوز المليون والربع مليون كم٢ ، وأن هناك عدد من اللهجات العربية التى تختلف فيما بينهما ، كما تختلف لهجة القاهرة عن لهجة صعيد مصر الجوانى، وقد استعملت فرنسا بعض من وقف صراحة ضد الإسلام مثل "كاتب ياسين" فهو أديب ، ومفكر ، وكاتب جزائرى "مفرنس" أى مرتبط ، ومؤمن بالفكر ، والثقافة الفرنسية ، فأعدت له ندوات تليفزيونية ، وأخذت تقدم على لسانه صورة للمشاهدين يتم إرسالها إلى الرأى العام بالجزائر ، بهدف إنقاذ الأقليات المسحوقة "أى البربر" من إرهاب المتطرفين ، بالإضافة إلى استعداء العالم على الإسلام ، والمسلمين. وتعتبر فرنسا أن اللغة العربية منافسة للغتها الفرنسية ، وتعوق تحويل الجزائر من دولة وطنية إلى دولة تابعة لهم ،

---

(١) د/ نازلى معوض أحمد : العلاقات بين فرنسا والجزائر ، ص ٢١٠ سنة ١٩٧٨ ، الهيئة العامة للكتاب ، مصر.

بحكومة تكون مجرد سوق للنفايات ، والتجارب الفرنسية (١) على الجانب الآخر كان الشمال الإفريقى يفتقد للغة قوية كاللغة العربية ، لأن الحياة القبلية متعددة اللهجات ، وقبل الإسلام لم تكن توجد صلة قوية بين القبائل ، فأدى ذلك إلى عزل القبائل بعضها عن بعض ، وكل منها قانعة بلهجاتها ، فلما جاء الإسلام انتشرت اللغة العربية بسبب الدعاة ، والمعلمين ، فخلق ذلك رباطا قويا بين القبائل (٢)

سمات البربر:

للبربر سمات مختلفة ، فكل منطقة لها سمات خاصة بها ، وبصفة عامة ، يمتاز البربر بطول القامة ، وقوة الأبدان ، والوجه الطويل ، والأنف المقعرة. ، أما البشرة فهى بصفة عامة تميل إلى اللون الفاتح (٣)

وإجمالا توجد بين البربر البشرة البيضاء ، وشبه البيضاء ، والسمراء التى تميل إلى اللون البنى ، أوالبنى المائل للحمرة ، ونستطيع القول أنه توجد ثلاثة أقسام نستطيع أن تميز بها سكان شمال إفريقية:

القسم الأول : طويل القامة ، ويمتاز بتناسق الملاح فى الوجه ، والأنف بالإضافة إلى طول الرأس ، ويوجد بالمنطقة من وسط تونس ، ويمتد انتشاره حتى غرب الجزائر (٤)

القسم الثانى : متوسط القامة ويمتاز بالرأس الطويل ، والشفاه الممتلئة ، والأنف المتوسطة وهذا النوع ينتشر بصفة عامة بين قبائل البربر ، وليس له

---

(١) د/ محيى الدين عميمور : سياسة الإستعمار أثارت الأحقاد ، ص ٦.
(٢) د/ أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى ، جـ ٤ ، ص ١٢٨ .
(٣) انتوى سلاوى : الجغرافيا الإجتماعية الإفريقية ، ص ٣٩ .
- أحمد صقر : مدينة المغرب العربى فى التاريخ ، جـ ١ ، ص ٦٢ سنة١٩٥٩م، تونس.
(٤) د/ يسرى الجوهرى : جغرافيا العالم العربى ، ص ١٣٠سنة ١٩٨١م، منشأة المعارف اسكندرية.

مناطق محددة (١)

القسم الثالث : قصير القامة ، ويمتاز هذا النوع بأنه عريض الأكتاف ، والرأس، والوجه وضيق الخصر ، وقصير الأنف نسبيا (٢) ويوجد بين جماعات بنى مزاب بالجزائر ، وسكان جزيرة جربة ، أما عن لون البشرة فتوجد ثلاثة أنواع من لون البشرة لدى البربر:

النوع الأول : البشرة البيضاء ، وتوجد بين البربر من أصحاب الشعور ، الشقراء ، والعيون الزرقاء ، ولكن هذا النوع قليل الوجود ، ونجده بصوره جلية بين أهل الجبال ، وفى المغرب الأقصى ، وخاصة بين قبائل الريفيين (٣)

النوع الثانى : البشرة شبه البيضاء ، وتوجد بصفة عامة بين سكان الشريط الساحلى الشمالى لبلاد البربر، وبصفة خاصة فى الجزائر ، والسفوح الشمالية لجبال أطلس ، ويميل هذا النوع بصفة عامة إلى اللون البنى أو البنى المائل للحمرة ، وبصفة خاصة يكون اللون أبيض مشربا بحمرة ، والنمش نادر الوجود ، والشعر مجعد ، أو مموج ، أما اللحية فهى أقل كثافة من شعر الرأس ، أما لون العين فأخضر ، أوبنى فاتح ، ويعتبر هذا النوع من البربر ، البرانس السائد بين بعض سكان منطقة البحر المتوسط ، ويشبهون فى ملامحهم سكان البحر المتوسط (٤)

النوع الثالث : البشرة السمراء ، وتنتشر بين بربر الجنوب "البتر" ، وخاصة فى شرق تونس ، وشرق الجزائر فى قسنطينة ، وحول مدينة الجزائر ، وقد أقبل هؤلاء البربر من الجنوب من قلب القارة الإفريقية ، ويتميزون بسمرة

---

(١) د/ يسرى الجوهرى : جغرافيا العالم الإسلامى ، ص ١٣٠.
(٢) مبارك الميلى : تاريخ الجزائر فى القديم والحديث ، جـ ١ ، ص ٥٠ .
- د/ يسرى الجوهرى : مرجع سابق ، ص ١٣١.

(٣) د/ حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٤.
(٤) د/ يسرى **الجوهرى** : مرجع سابق، ص ١٣٠.
- د/ حسين مؤنس : مرجع سابق ، ص ٢٤.
ملامح سكان البحر المتوسط: . الشعر أسود ، ويكون أحيانا مموج أو مجعد ، والبشرة تميل إلى السواد ، القامة متوسطة الطول والجبهة أيضا ، والأنف عريض أحيانا ، وعظام الخدود عريضة بعض الشئ ، وأحيانا يكون بارز الفكين قليلا. [د/ ابراهيم زرقانه : العائلة البشرية، ص ٢٨٦ ، ٢٨٧]

البشرة ، وقد امتزجوا بالسكان الأصليين فى المغرب ومن امنزاجهم نشأ الجنس البربرى (١)

(١) دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ١ ، ص ٧٦ .
د/ يسرى الجوهرى : جغرافية العالم الإسلامى ، ص ١٣٠.
د/ حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٤.

الفصل الأول

الباحث

فتح العرب للمغرب

- عمرو بن العاص وفتح العرب لإفريقية.
- دور عبد الله بن سعد فى فتح إفريقية.
- حملة معاوية بن حديج على إفريقية.
- دور عقبة بن نافع فى الفتوحات.
- دور أبو المهاجر فى الفتح.
- ولاية عقبة الثانية وفتح المغرب الأقصى.
- زهير بن قيس البلوى وموقفه من البربر.
- جهود حسان بن النعمان فى الفتوح.

الفصل الأول

فتح العرب للمغرب

بعد أن أخذ الإسلام فى الإنتشار ، والإستقرار فى شبه الجزيرة العربية، بدأ المسلون الأوائل يفكرون فى خطة طموحه لفتح الأمصار المجاورة لهم ، لنشر الدين الإسلامى ، وإدخال أهل هذه البلاد الجديدة فيه ، وتعليمهم اللغة العربية. فبدأوا بفتح العراق ، وفارس ، وبلاد الشام ، ثم كان الإمتداد الطبيعى للفتوحات أن تتجه صوب مصر ، لسببين : **الأول** تأمين فتوح المسلمين فى بلاد الشام ، أما **الثانى** : فهو تتبع فلول الروم ، وطردهم من مصر ، ومن الساحل الشمالى أيضا.

توجه عمرو بن العاص (١) من الشام إلى مصر ، فاستولى عليها ثم كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب يستأذنه(٢) فى الزحف إلى عاصمة

---

(١) **عمرو بن العاص** : هو أبو عبد الله ، عمرو بن العاص بن وائل السهمى القرشى ، أحد عظماء العرب ودهاتهم ، كان يسكن مكة مدة ، أسلم فى هدنة الحديبية ، هاجر ، وكان من أمراء الجيوش فى الجهاد فى الشام زمن عمر بن الخطاب الذى ولاه فلسطين ، ثم مصر فافتحها ، عزله عثمان بن عفان عن مصر سنة ٢٥هـ / ٦٤٥م ، ولما كانت الفتنة بين على ابن أبى طالب ، ومعاوية بن أبى سفيان كان عمرو مع معاوية فولاه على مصر سنة ٣٨هـ / ٦٥٨م واستوطنها إلى أن مات بها ليلة عيد الفطر سنة ٦١هـ / ٦٨١م [أبو حاتم محمد بن أحمد التميمى : مشاهير علماء الأمصار والأعلام فقهاء الأقطار ، ص ٩٣ تحقيق مرزوق على ابراهيم ، الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ / ١٩٩١م المنصورة • ابن قنفذ : الوفيات ، ص ٦٠ ، ٦١ تحقيق عادل نوينهض، الطبعة الأولى، سنة ١٩٧١م بيروت، • البلاذرى يذكر وفاة عمرو بن العاص سنة ٤٢ ، ٤٣هـ / ٦٦٣م يوم عيد الفطر بمصر ، "فتوح البلدان ، ص ٢٦٩" ، مطبعة لجنة البيان العربى ، بدون تاريخ • ويذكر د/ السيد سالم أن عمرو بن العاص توفى سنة ٤٤هـ / ٦٦٤م تاريخ المسلمين وآثارهم فىالأندلس ، ص ٣٢ . محمود شيت خطاب : قادة فتح سوريا ومصر ، ص ١٢٣ ، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م دار الفتح بيروت]

(٢) **الإذن** هنا معناه : وقوف الخليفة على ما وصل إليه قواده من حركة الفتوح ، وللخليفة وجه نظر فى حركة هذه الفتوح من حيث استمرارها أم لا؟ إذا رأى الخليفة استمرار الفتوح فلابد من إرسال إمدادات لمواصلة حركة الفتح ، فكان جنود عمرو بن العاص عند وصوله إلى مصر حوالى ٣٥٠٠ ، ٤٠٠٠ ، فلما أذن الخليفة لعمرو بمواصلة الفتح ، وصل عدد جنوده بعد الإمدادات التى وصلته حوالى ١٢٠٠٠ جندى [د/حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى ، جـ ١ ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، الطبعة الثالثة عشر، سنة ١٩٩١م بيروت والقاهرة]

مصر الإسكندرية ، ففتحها فى ذو القعدة سنة ٢١هـ / سبتمبر سنة ٦٤٢م (١)

أخذ عمرو بن العاص يفكر فى المدن المجاورة لمدينة الإسكندرية بعد التغلب عليها ، لأنه كان يدرك من وجهه نظره الحربية ، أن بقاء هذه المناطق فى أيدى الروم تشكل تهديدا لمصر ، فأراد أن تكون مصر فى مأمن من غارات الروم ، فأرسل بعثة استكشافية إلى برقة ، وكان قائدها عقبة بن نافع عام ٢٢هـ / ٦٤٢م (٢) لاكتشاف المناطق المجهولة ، فلا تبدأ الحرب بتوجيه جيش كبير ، وإنما يحتاج الأمر إلى أن تتقدم الطلائع حتى يسير فى الطريق المستهدف (٣) وكانت نتيجة هذه البعثة ، أن تشجع عمرو بن العاص على العمل السريع للسير إلى برقة (٤)

فتح برقة وطرابلس:

بعد أن فرغ عمرو بن العاص من فتح الإسكندرية سار بنفسه على رأس الجيش لفتح برقة التى لم يجد صعوبة فى فتحها ، حيث صالحه البربر على ثلاثة عشر ألف دينار يدفعونها إليه جزية فى كل سنة (٥) وترجع سهولة فتح برقة لعدة عوامل:

أولا: أن البربر قد أرهقتم كثرة الضرائب التى فرضها عليهم الرومان ، ورغبوا فى التخلص منهم.

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ، ص ١٥٢ تحقيق د/ أكرم العمرى ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ ، بيروت. الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٣٠ ، ٣١ .
نقولا زيادة : ليبيا فى العصور الحديثة ، ص ٣٢ .

(٢) عبيد الله بن صالح : نص جديد عن فتح العرب للمغرب ، ص ١٩٧ : ٢٠١.
- نقولا زيادة المرجع السابق ، ص ٣٢ .
- على عبد السلام : عقبة بن نافع ، ص ٥٣ ، رسالة دكتوراه بمكتبة بجامعة الأزهر ، تحت رقم ٧٢٤ ، ٩٥٣.

(٣) على عبد السلام : المرجع السابق ، ص ٥٣.

(٤) نقولا زيادة : مرجع سابق ، ص ٣٢.

(٥) الزاوى : مرجع سابق ، ص ٣١ .

ثانيا: أن البربر عندما سمعوا عن المبادئ ، والقيم التى يتمتع بها هؤلاء الفاتحون الجدد ، والتى جاء بها دينهم ، كان هذا باعثا لهم على التخلص من حكم الرومان (١)

ثالثا : إدراك البربر أن هؤلاء الفاتحين الجدد قد قهروا دولتى الفرس والروم فما كان للبربر أن يقفوا فى وجههم (٢)

رابعا : خبرة العرب بفنون القتال فى الصحراء ، هذا إلى جانب الجيش الكبير الذى صحب عمرو بن العاص ، وبساطة تجهيزه للحرب ، بالإضافة إلى الطريق الساحلى بين مصر وبرقة ، والذى استطاع عمرو اجتيازه بسهولة مع جيشه ، ويعتبر هذا الطريق حلقة وصل بين المدن المصرية وبرقة (٣)

وقد رحبت قبائل لواته البترية بقدوم المسلمين إليها على الرغم مما عرف عن هذه القبائل من شدة البأس ، والمقاومة الشديدة لأى محتل أجنبى ، يرجع ذلك إلى أن قبائل برقة ، وطرابلس لم تظل على قوتها حتى نهاية العصر البيزنطى (٤) بسبب الظلم الواقع من حكام الروم المتمثل فى الضرائب الكبيرة التى أفقرتهم ، فأدى هذا إلى إضعاف قبائل لواته ، ونفوسة، وهوارة آخر الأمر فاستكانت إلى الهدوء (٥)

كما يرجع أيضا إلى أن العرب لم يكونوا غزاة محتلين ، وإنما ناشرين للإسلام ، وقيمة من العدالة ، والحرية ، والمساواة ، وغير ذلك من مبادئ ، وإلى رغبة هذه القبائل فى التخلص من مظالم الرومان.

---

(١) روى أن البربر اتصلوا بعمرو وهو على الأسكندرية يعرضون عليه طاعتهم. [نقولا زيادة : ليبيا فى العصور الحديثة ، ص ٣٣]
(٢) نقولا زيادة : المرجع السابق ، ص ٣٣ .
ـــ الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٣٠ .
(٣) مصطفى عبد الله : المجمل فى تاريخ لوبيا ، ص ٦٢ ، بدون تاريخ ، إسكندرية .
(٤) د/ عبد المنعم عبد العال : لهجة شمال المغرب ، ص ٣٤ .
(٥) د/ حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٥١ .
ـــ د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ١٨ ، ١٩ .
ـــ د/ عبد المنعم عبد العال : مرجع سابق ، ص ٣٩.

وقد فتح عمرو بن العاص برقة صلحا باستسلام أهلها للمسلمين فى أواخر سنة ٢٢هـ / أوائل ٦٤٣م وهى أول ما استولى عليه من بلاد المغرب (١)

وقد صالح عمرو أهل برقة على دينار لكل حالم (٢) فبلغت قيمة الجزية التى فرضت على أهلها ثلاثة عشر ألف دينار كانت تدفع عن طيب خاطر ، وطوعية (٣) على أن برقة لم يدخلها جاب من قبل العرب ، وقد تعهد البربر أن يبيعوا أولادهم وفاء لدفع الجزية (٤)

ومن الجدير بالذكر أن الإسلام لا يجبر أهل الذمة على بيع الأبناء نظير دفع الجزية ، ويبدو لى أن عمرو بن العاص كان أعلم الناس بذلك ، ويوضح لنا د/ محمد زيتون (٥) هذه الظاهرة بقوله "الظاهر أن هذه كانت عادتهم فى أداء ما عليهم من ضرائب بالنسبة للروم فوافق عليها عمرو بن العاص" ، ويؤيد ذلك د/ حسين مؤنس (٦) حيث يشير إلى أن البربر اقترحوا ذلك أى بيع الأولاد لدفع الجزية – مبالغة منهم فى إظهار حسن نيتهم ، وأن بيع الذراى للوفاء بالجزية كان أمرا شائعا عند البربر فى ذلك الحين ، وعليه فإن عمرو لم يفرض عليهم ذلك من تلقاء نفسه ، وإنما الأغلب أن البربر هم الذين أشاروا بذلك عليه فوافقهم ، حيث لم يكن لدى أكثرهم من المال ما يستطيعون منه دفع الجزية.

واتبع هذه الطريقة أيضا عقبة بن نافع عند مسيرة فى بلاد البربر ، يأخذ جزية من مال ، وأخرى من العبيد ، وقد ظل العمل بهذا الأمر إلى أن أبطله عمر بن عبد العزيز ٩٩ -١٠١هـ / ٧١٨ - ٧٢٠م فى نهاية القرن

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ص ٤٤ ، الطبعة السادسة ، سنة ١٩٨٦م ، بيروت .
- د/ حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣١ .
(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٨.
(٣) الناصرى السلاوى: الإستقصا ، جـ ١ ، ص ٦٥ ، لكن هناك من يقول إن قيمتها ثلاثة عشر ألف درهم [نقولا زيادة : ليبيا فى العصور الحديثة ، ص ٣٣]
(٤) الناصرى السلاوى: مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٣٣.
(٥) د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ١٩.
(٦) د/ حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٢٥٦.

الأول الهجرى ، عندما كتب فى أمر اللواتيات "أن من كانت عنده لواتية فليخطبها إلى أبيه ، أو فليردها إلى أهلها (١)

ومما هو جدير بالذكر أن فتح برقة قد حرم الروم من قاعدة أمنية قد يهددون منها مصر فى الوقت المناسب (٢) باعتبارها أقرب مكان لهم من مصر يستطرون عليه فخرب العرب أسوار هذه المدينة لأغراض حربية (٣)

وقبل أن يتوجه عمرو بن العاص إلى طرابلس ، أرسل جيشا من المسلمين إلى زويلة (٤) بقيادة عقبة بن نافع ، فسار إلى الجنوب الغربى حتى وصلها ، وتم فتحها صلحا على يديه فى أواخر عام ٢٢هـ / ٦٤٣م (٥)

وفى أثناء مرور المسلمين بلبدة (٦) ، لم تحدث مناوشات مع سكانها ، لما كانوا فيه من ضعف ، وفقر واستكانه (٧) وبعد أن تم عمرو بن العاص فتح برقة ، اتجه ببصره إلى طرابلس ، وخاصة بعد أن استعد الروم بها ، واستعانوا بقليل من البربر ، وخاصة قبائل نفوسه الذين دخلوا مع أهل طرابلس فى دين النصرانية (٨)

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٣٣ ، يوضح لنا أحد الدارسين أهمية أخذ صغار لواته من البنين والبنات لتربيتهم فى كنف العرب بأنه يحقق عدة أهداف :-

الهدف الأول : دينى حيث يتم تنشئهم على العقيدة الإسلامية.

الهدف الثانى: إجتماعى فيتم تربيتهم على العادات ، والتقاليد العربية ، والتزاوج معهم ، ونشر مبادئ الإسلام ، بينهم .

الهدف الثالث: سياسى نتيجة طبيعية للهدف الأول ، والثانى يعنى هذا توثيق أوامر الصلة والمحبة بين العرب والبربر ، وفى ذلك توحيد لدولة العرب [د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى، جـ ١ ، ص ٨٢]

(٢) محمود شيت خطاب : عقبة بن نافع الفهرى ، ص ٧٦.

(٣) الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٣٢.

(٤) **زويلة** : مدينة من مدن فزان القديمة ، وتقع إلى الجنوب الشرقى من مدينة مرزق بحوالى ١٥٠ كم، وتبعد عن طرابلس إلى الجنوب الشرقى بحوالى ٧٧٠كم [الزاوى : المرجع السابق، ص ٣٥]

(٥) الزاوى : المرجع السابق ، ص ٣٥ .

(٦) **لبدة** : مدينة عظيمة بناها الفينيقيون أوائل القرن العاشر قبل الميلاد ، وتقع شرق مدينة طرابلس بنحو ٩٠كم وقد أكل البحر جزء كبير منها ، لم تكن مصورة من ناحية البحر [الزاوى : المرجع السابق ، ص ٣٩،٤٠،٤٧]

(٧) الزاوى : المرجع السابق ، ص ٣٩ ، ٤٤ .

(٨) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٨ .

سار عمرو إلى طرابلس ، وافتتحها عام ٢٣هـ / ٦٤٣م (١) ، وتعتبر حصون طرابلس أقوى من حصون برقة ، وحاميتها أكثر عددا ، لذلك امتنعت على العرب ، والمسلمين شهرا ، فحاصروها ثم اقتحموها ، ودخلوها ،ولم يفلت الروم إلا بما خف فى المراكب (٢)

وعند محاصرة عمرو لمدينة طرابلس بعث إلى ودان (٣) .جيشا بقيادة بشر بن أبى أرطاة الفزارى (٤) ففتحها عام ٢٣هـ / ٦٤٣م ، وبعد أن غادرها بشر إرتد اهلها ، لأنه لم يترك بها أحد من المسلمين ، حيث كان يستطلع المنطقة فى بداية الفتح ، وبقوا على ردتهم ، إلى أن تم فتحها على يد عقبة بن نافع سنة ٤٦هـ / ٦٦٦م. (٥)

وبعد أن انتهى عمرو من فتح طرابلس ، وما حولها ، وطرد حاميات الروم ، وإخضاع معظم قبائل البربر ، كهوارة ، ولواتة ، ونفوسه (٦) أرسل إلى الخليفة عمر بن الخطاب يستأذنه فى مواصلة الفتح ، والتقدم إلى بقية بلاد إفريقية قائلا "إنا قد بلغنا طرابلس ، وبينها وبين إفريقية – تونس -- تسعة أيام"

---

(١) د/ حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣١ .

(٢) الناصرى السلاوى : الإستقصا ، جـ ١ ، ص ٦١ .
– البكرى : المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ١٢.

(٣) **ودان** : بفتح الدال ، وهى مدينة قديمة من مدن البربر الجنوبى ، تقع على بعد ٧٦٩كم إلى الجنوب الشرقى لطرابلس ، وإلى الجنوب من سرت بحوالى ٢٨٠كم ، بها قلعة حصينة ، لها دروب ، يعتمد أهلها فى غذائهم على التمر ، ولهم زرع يسير [ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ٤٢٠ ، ٤٢١ ، **البكرى** : مصدر سابق ، ص ٤٢ ، الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٦٠]

(٤) **بشر بن أبى أرطاة القرشى الفزارى "العامرى"** ، يقال بسر ، وبشر ، ويقال ابن أبى أرطأة أو ابن أرطأة بدون أبى ، هو أبو عبد الرحمن بشر بن أبى أرطأة ، صحب النبى (ص) روى عنه ، شهد فتح مصر ، واختط بها ، ودخل إفريقية غازيا شهد فتحها مع عبد الله بن سعد وأقام بها ، كان من شيعة معاوية ، توجه فى أيامه ، وبأمر منه إلى الحجاز ، واليمن سنة ٤٠هـ / ٦٦٠م ، حدث له وسواس فى آخر عمره بعد مقتل عثمان بن عفان (ض) حزنا عليه ، توفى بالشام ، وقيل ببرقة ، سنة ٥٦هـ / ٦٧٥م. [المالكى : رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ٥٥ ، تحقيق حسين مؤنس ، الطبعة الأولى ، سنة١٩٥١م، القاهرة . أبو العرب : طبقات علماء إفريقية وتونس ، ص ٧٦ ، تحقيق على الشابى ، ونعيم حسين اليافى ، سنة١٩٨٦م، طبعة تونس . أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى ، جـ ٢ ص٦١٠]

(٥) الناصرى السلاوى : الإستقصا ، جـ ١ ، ص ٦١ .
- البكرى : مصدر سابق ، ص ١٢ .
- الزاوى : مرجع سابق ، ص ٦١ .

(٦) د/ عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، جـ ٢ ، ص ٥٥ .

فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لنا فى نزولها فعل" (١) فرد عليه فيها عن فتح إفريقية ، ويأمره بالوقوف عند طرابلس ، وقال "إنها المفرقة الغادرة" أى التى تغدر بغزاتها ، فإمتثل ، وعاد إلى مصر مكرها ، بعد أن استخلف عليها عقبة بن نافع عام ٢٥هـ / ٦٤٥م. (٢) "إنظر شكل رقم (١)

أما عن سبب رفض الخليفة عمر بن الخطاب طلب عمرو بن العاص باستكمال فتوحه ، فإنه يرجع إلى إنشغال الخليفة بالفتوح فى المشرق ، ورغبته فى عدم تفريق قوة المسلمين ، وخشيته عليهم من الفتح فى بلاد بعيدة لا يعرفون عنها الكثير.

وكان الهدف من فتح برقة ، وطرابلس ، تأمين حدود مصر من غارات الروم ، بالإضافة إلى خوف الخليفة عمر على المسلمين عندما علم أن ملوك البربر كثيرون ، وأهلها فى عدد عظيم ، وأكثر ركبوهم الخيل. (٣)

والواقع أن فتح مصر سهل الطريق أمام العرب لفتح برقة ، وطرابلس، فقد اتخذ عمرو بن العاص طريقتين لهذا الفتح ، **الطريق الأول** : ساحلى من برقة إلى صبراته (٤) .

الطريق الثانى : صحراوى متجه إلى الجنوب ويضم شروس (٥) ، وزويلة ، وودان ، وسواكن (٦) وإستغرقت مدة الفتح فيها ثلاث سنوات

---

(١) الناصرى السلاوى : الإستقصا ، جـ ١ ، ص ٦٥ .
- د/ عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، جـ ٢ ، ص ٥٥.

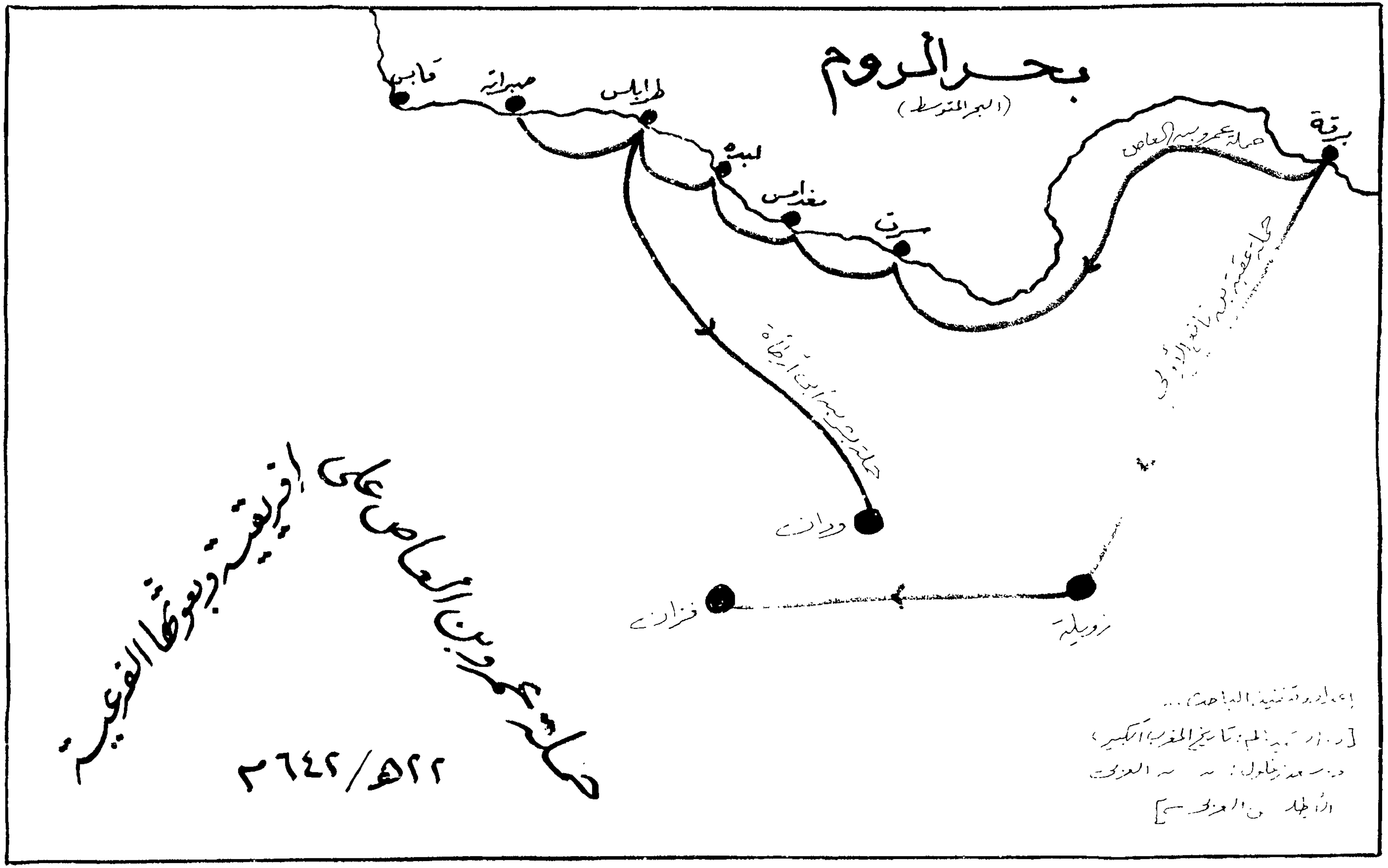
(٢) د/ حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب بالأندلس ، ص ٣١ .
- محمود شيت خطاب : عقبة بن نافع الفهرى ، ص ٧٨.

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٨ .

(٤) **صبراته** : مدينة قديمة ذات آثار كبيرة تقع غربى مدينة طرابلس بحوالى ٦٧كم على ساحل البحر المتوسط [الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٥٢]

(٥) **شروس**: ذكر أنها مدينة جليلة قديمة ، أهلها أباضية ، ليس بها جوامع ، تضم حوالى ٣٠٠ قرية ليس لهم أمراء يرجعون إليه ، وإنما لهم شيوخ. [مجهول: الإستبصار ، ص ١٣٣ ، تحقيق د/ سعد زغلول ، سنة ١٩٥٨م، جامعة الأسكندرية]

(٦) **سواكن** : بفتح السين والواو ، وكسر الكاف ، بلد مشهور على ساحل البحر الأحمر قرب عيذاب ، وهى مرفأ للسفن التى تقدم من جده وأهلها بجاه سود نصارى ، وهى مدينة عامرة فى ساحل بلاد البجاه ، وبلاد الحبشة ، فيها متاجر ، ويخرج منها رقيق البجاه والحبشة ، ويخرج منها أيضا اللؤلؤ الجيد. [ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٣١٤]
يذكرها الأستاذ / الزاوى سوكن بدون ألف بين الواو ، والكاف [مرجع سابق ، ص ٦١]


حملة عمرو بن العاص على إفريقية وبعوثها الفرعية
٢٢هـ/٦٤٢م
بحر الروم
(البحر المتوسط)
قابس
صبراتة
طرابلس
لبدة
مغداس
سرت
برقة
حملة عمرو بن العاص
حملة عقبة بن نافع الأولى
حملة بسر بن أبي أرطأة
ودان
فزان
زويلة
إعداد وتنفيذ الباحث

من٢٢ – ٢٥هـ/ ٦٤٢ – ٦٤٥م وكل هذه البلاد تم فتحها عنوه بالحرب ، إلا برقة ، وزويلة فقد فتحنا صلحا (١)

دور عبد الله بن سعد بن أبى سرح فى فتح إفريقية:

بعد استشهاد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وتولى عثمان بن عفان رضى الله عنه الخلافة ، أراد أن يضع سياسة جديدة تهدف إلى مزيد من الفتوح الجديدة لنشر كلمة الإسلام ، ومن هذه المناطق "بلاد البربر" فولى أخاه من الرضاع عبد الله بن سعد أبى سرح سنة ٢٥ / ٦٤٥ (٢) على مصر بعد عزل عمرو بن العاص عنها.

وقد أمر عثمان بن عفان عبد الله بن سعد بغزو إفريقية فى هذه السنة، ولدفع عملية الفتوح بعث الخليفة عثمان لابن سعد جيشا كبيرا ، وعلى الرغم من هذا الجيش الكبير الموجود مع ابن سعد ، إلا أنه لم يستطيع التوغل فى إفريقية لكثرة أهلها (٣) ولعل طلب عبد الله بن سعد بن أبى سرح الإذن من عثمان فى غزوا إفريقية ليكفر عن ماضيه عندما غير فى القرآن الكريم عند كتابة الوحى للرسول صلى الله عليه وسلم (٤)

---

(١) الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٦١.

(٢) **عبد الله بن سعد أبى سرح** : هو أبو يحيى الحسام بن الحرث بن حبيب بن جذيمة بن نضر ابن مالك بن حسن بن عامر بن لؤى القرشى ، كان أخو عثمان فى الرضاعة ، وكاتب الوحى للنبى (، ص) ، ارتد عن الإسلام ، يوم فتح مكة آمنه عثمان بعد أن أهدر الرسول (،ص) دمه ، أسلم ، وحسن اسلامه ، شهد فتح مصر ، وكان صاحب ميمنة عمرو بن العاص فى فتحها ، ولاه عثمان ولاية مصر عام ٢٧هـ / ٦٤٧م ، وفيها غزا إفريقية وأسس مسجدا بالقيروان يعرف باسمه ، اختلف فى مكان وفاته ، قيل بإفريقية ، والرملة ، وعسقلان واختلف فى زمن وفاته فقيل سنة ٣٦ ، ٣٧هـ / ٦٥٦ – ٦٥٧م وقيل تأخر إلى أيام معاوية ومات عام ٥٩هـ / ٦٧٨م [ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٨ . ابن تعزى بردى: النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة ، الجزء الأول ، ص ٧٩ ، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م، القاهرة . محمد الباجى : الخلاصة النقية فى إمراء إفريقية ، ص ٣، المالكى : رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ٥٤ ، ٥٥ . أبو العرب : طبقات علماء إفريقية وتونس ، ص ٧٥ . المقرى : نفح الطيب : جـ ٣ ، ص ٦٢ ، ٦٣ سنة ١٩٣٦م مطبعة عيسى الحلبى. مصر .

(٣) ابن الأثير : ا لكامل ، جـ ٣ ، ص ٤٥ .

(٤) كان عبد الله بن سعد بن أبى سرح يكتب الوحى للرسول (ص) فكان إذا أملى عليه الرسول (ص) "سميعا عليما" كتب ابن سعد "عليما حكيما" وإذا قال الرسول (ص) "عليما حكيما" كتب ابن سعد "سميعا عليما" وإدعى ابن سعد أن الوحى ينزل عليه ، وقال إن كان محمد يوحى إليه ، فقد أوحى إلى ، وإن كان الله ينزل القرآن ، فقد أنزلت مثل ما أنزل الله ، ولحق=

ومن الجدير بالذكر أن عثمان بن عفان كان أمام موقفين من طلب ابن سعد ، الموقف الأول وهو الرفض ، والثانى : الموافقة على طلبه ، وفى الحقيقة نجد أن عثمان رضى الله عنه كان مترددا فى البداية لأن عمر بن الخطاب رفض هذا الفتح ، ومن الصعب على عثمان أن تغيير هذا الموقف بسهولة ، ولكنه كان يميل إلى إجابة ابن سعد إلى طلبه كى يعزز موقف أخيه فى الرضاع (١)

بالإضافة إلى مواصلة الفتوح لنشر الإسلام فى مناطق أخرى غير التى فتحت قبل ذلك ويتضح لنا عزم عبد الله بن سعد على غزو إفريقية ، أنه لما ولى أمر مصر كان يبعث المسلمون فى جرائد الخيل يغيرون على أطراف إفريقية فيصبون كثيرا من الأنفس ، والأموال.(٢)

بالإضافة إلى قرب الروم من حوز (٣) المسلمين ، فكتب بذلك ابن سعد إلى الخليفة عثمان يستأنه فى غزوها كما يشير ابن عبد الحكم ، وابن عذارى (٤)

ولا أعتقد أن سبب غزو ابن سعد لإفريقية هو الحصول على الأموال والغنائم فقط ، وإنما هو نشر الإسلام ، وإدخال أهل هذه البلاد – البربر – فى هذا الدين ، فى المقام الأول ، ونظرا لأهمية هذه البلاد لدى الخليفة ، فقد عقد لها المشورة فيمن عنده من الصحابة (٥) ثم أرسل جيشا يضم كثير من

=بالمشركين ، ولما دخل الرسول (ص) مكه ، وأمر بقتله وأباح دمه ، ولم ينجيه من القتل إلا عثمان بن عفان أخاه فى الرضاعة ، وقد أنزل المولى عز وجل فى شأنه عبد الله بن سعد قوله "ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شئ" إلى قوله "تجزون عذاب الهون" (سورة الأنعام آية ٩٣) [الطبرى : جامع البيان عمن تأويل القرآن ، جـ ١١ ، ص ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، تحقيق محمود ومحمد شاكر ، وأحمد محمد شاكر ، سنة١٩٥٧م، دار المعارف ، مصر. ابن عطيه : المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ، جـ ٥ ، ص ٢٨٥ : ٢٨٧ ، تحقيق عبد الله الأنصارى ، السيد عبد العال السيد ابراهيم ، محمد العنانى ، الطبعة الأولى ، رجب سنة ١٤٠٣هـ / ابريل ١٩٨٣م ، الدوحة . ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٩ . وعبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، جـ ٢ ، ص ٥٦]

(١) د/ حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٧٩ .

(٢) ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٩.

(٣) **الحوز** : معناها مطلق التصرف فى الشئ دون مشاركة الغير [أبو العرب طبقات علماء إفريقية وتونس ، ص ٦٥]

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٨٣-طبعة ليدن.
- ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٩ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ص ٤٥ .

الصحابة حتى قدموا أرض مصر على عبد الله بن سعد (١) ومما هو جدير بالذكر أن هذا الجيش كان يقدر بحوالى عشرين ألفا يريدون إفريقية (٢) فلما انتهى بهم المطاف إلى برقة لقيهم عقبة بن نافع ، ومن معه من المسلمين ، وتوجهوا إلى طرابلس ، فانتصروا على من بها من الروم والبربر ، ثم توجه ابن سعد بجيشه نحو إفريقية – تونس – وبث السرايا فى كل آفاقها.

كان أول صدام مباشر بين المسلمين ، وبين الروم والبربر ، عندما التقى ابن سعد قائد جيش المسلمين مع "جرجير" (٣) وكان صاحب إفريقية من طرابلس إلى طنجة قبل الإسلام ، وكان مستقر ملكه فى قرطاجنة ، وكان هرقل ملك الروم قد ولاه إفريقية ، وكان يحمل إليه الخراج كل سنة ، وعندما سمع جرجير بخبر المسلمين استعد لملاقاتهم فجمع جموعة حتى بلغ عسكره حوالى مائة وعشرين ألف (٤) .

والتقوا بمكان يسمى "عقوبة" (٥) بينه وبين "سبيطلة" (٦) يوم وليلة ، ولعل اختيار هذا المكان للقتال دون قرطاجنة ، يرجع إلى أن الروم أرادوا إيقاع العرب بين القاعدتين حتى لا يهاجم العرب عاصمتهم "قرطاجنة".

---

(١) استحلف عبد الله بن سعد على مصر : عقبة بن عامر الجهمى سنة ٢٥هـ / ٦٤٥م [الكندى : الولاة وكتاب القضاة ، ص ١٣ ، ١٤ تحقيق رفن كست سنة ١٩٠٨م بيروت . التميمى : مشاهير علماء الأمصار ، ص ٩٤]

(٢) ابن أعثم الكوفى : الفتوح ، جـ ٢ ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ .
ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٩ . الباجى : الخلاصة النقية ، ص ٩.

(٣) **جرجير** "جريجور يوس"حاكم إفريقية البيزنطى "بطريق الروم" من قبل الإمبراطور هرقل ، ثم قسطنطنين الثانى من بعده ، وعمد جريجور يوس إلى الإنفصال عن الدولة البيزنطية سنة ٦٤٧م ونقل عاصمته من قرطاجنة إلى سبيطلة فى سنة ٦٤٨م وهو العام الذى غلبه فيه **عبدالله بن** سعد [د/ السيد سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ٣٠ . يسميه ابن أعثم الكوفى جرجين : الفتوح ، جـ ١ ، ص ١٣٥]

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ص ٤٥ . الباجى : مصدر سابق ، ص ٤.

(٥) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٨٨.

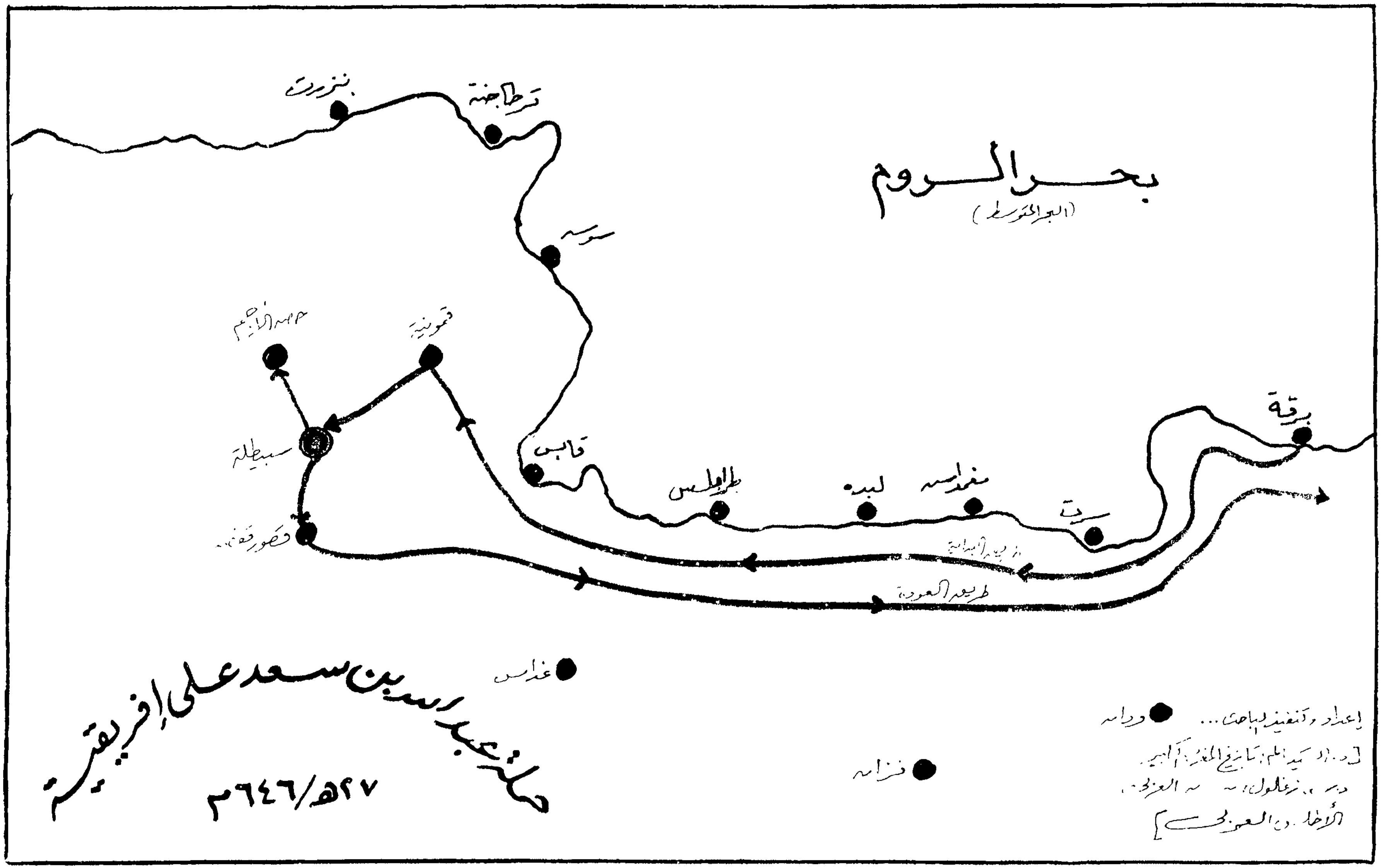
(٦) **سبيطلة** : بضم السين ، والطاء ، وفتح الباء ، وسكون الباء ، مدينة من مدن إفريقية ، كانت دار الملك بها اتخذها جرجير عاصمة له بعد خروجه عن طاعة الرومان بدلا من قرطاجنة بينها وبين القيروان سبعون ميلا [ياقوت : معجم البلدان حـ ٤ ، ص ٣٣ . ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٨ . د/ السيد سالم : مرجع سابق ، ص ٣٠ . د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ٢٨]

استعد الطرفان لبدء القتال ، وفى أثناء ذلك أرسل عبد الله بن سعد يدعوا جرجير إلى الإسلام ، أو الجزية ، فتكبر ، وامتنع عن قبول أيهما ، فدارت معركة شديدة بين الطرفين حتى جاء المدد من عند الخليفة عثمان ، وعندما انقطع خبر المسلمين عنه ، أرسل عبد الله بن الزبير ، وبعض أفراد البيت الأموى (١) فلما وصل هذا المدد إليهم كثر التسبيح ، والتكبير بين المسلمين فهاجموا سبيطلة ، ودمروها ففت ذلك فى عضد جرجير ، وكان ابن الزبير عندما ما وصل إلى إفريقية لم ترقة الخطة التى تحرك بها ابن سعد لملاقاه الأعداء ، لأنه رأى فيها من إتاحة الفرصة لأخذ الراحة الكافية لمقاومة المسلمين ، إذا كان يقاتلهم كل يوم إلى وقت الظهيرة ، ثم يعود الجيشان إلى أماكنهم حتى مجئ اليوم التالى ، فأشار ابن الزبير على ابن سعد ، بتقسيم جيش المسلمين إلى مجموعتين .. **الأولى** تسير لمحاربة العدو أول النهار .. أما **الأخرى** فتستعد لمواصلة الحرب ، ومباغته العدو عندما يأوى فى الليل للراحة. عند ذلك أخذ عبد الله بن الزبير من كان مستريحا من جنود المسلمين وقصد الروم ، فلم يشعروا بهم ، حتى خالطوهم ، وحملوا حملة رجل واحد ، وكبروا فلم يتمكن الروم من لبس سلاحهم حتى غشيهم المسلمون (٢)

نجحت خطة ابن الزبير ، وقتل جرجير ، وانهزم الروم (٣) وفروا إلى حصون إفريقية (٤) وواصل المسلمون زحفهم حتى بلغوا سفوح الجبال ، وغنموا غنائم كثيرة ، فكان نصيب الفارس ثلاثة آلاف دينار ، ونصيب الراجل ألف دينار (٥) على ضوء ذلك طلب الروم والبربر الصلح مع المسلمين ، وشرطوا لابن سعد ثلاثمائة قنطار من الذهب ، على أن يذهب ويخرج من بلادهم (٦) فقبل منهم ذلك ، ولم يول عليهم أحد ولم يتخذوا قيروانا(٧) إنظر الشكل رقم (٢)

---

(١) ومنهم مروان بن الحكم وبعض المهاجرين [ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٨] – د/ عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، جـ ٢ ، ص ٥٦]
(٢) د/ حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٥٦.
(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ص ٤٦ .
(٤) الناصرى السلاوى : الإستقصا ، جـ ١ ، ص ٦٧.
(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٨٤.
(٦) الناصرى السلاوى : مصدر سابق جـ ١ ، ص ٦٨.
(٧) ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ١٨٤.


بحر الروم
(البحر المتوسط)
بنزرت
قرطاجنة
سوسة
قابس
طرابلس
لبدة
مغمداس
سرت
برقة
قمونية
سبيطلة
قصور قفصة
طريق البداية
طريق العودة
غدامس
ودان
فزان
حملة عبدالله بن سعد على إفريقية
٢٧هـ/٦٤٦م
إعداد وتنفيذ الباحث...

وبمقتل جرجير يكون العرب قد وجهوا ضربـة قويـة أذلـت الـروم فـى إفريقية ، وأدت إلى انتهاء المقاومة الرئيسية لعبد الله بن سعد الذى فتح بـلادا كثيرة فى إفريقية حتى سهلها ، وجبلها كما يقول ابن تغرى بردى (١)

لكن فى سنة ٣٥هـ /٦٥٥م نقص أهل إفريقية العهـد ، فأعـاد عبـد اللـه ابن سعد الكرة مرة أخرى ،وفرض النظام فى ربوعهم ، وأقرهم على الإسلام أو الجزية (٢) ثم عاد إلى مصر ، وكان مقامة بأفريقيـة سـنة وثلاثـة أشـهر (٣) وبعد أن أتم ابن سعد فتح طرابلس لم يترك فيها حامية قوية تستطيع أن تدافـع عن المدينة ، واكتفى آنذاك بفرض الجزية على أهلها (٤)

حملة معاوية بن حديج على إفريقية سنة ٤٥هـ / ٦٦٥م

وعندما علم هرقل بذلك أراد أن يـأخذ منهـم مثلمـا أعطـوا للمسـلمين ، ولكنهم رفضوا إعطاء الجزية مرة أخرى لهرقل ، وقالوا نحن نؤدى مـا كـان يؤخـذ منـا ، وينبغـى عليـه أن يسـامحنا لمـا نالـه المسلمون منـا (٥) فحـاربهم البطريق "أوليمة" الذى أرسله هرقل ليجمع له المال (٦) وهزم الملك الذى تولى عليهم بعد جرجير ويسمى جناها أوهياهيا (٧) وطرده البطريق إلى الشام فذهب إلى معاوية بن أبى سفيان ، ووصف له بـلاد الـبربر ، وطلـب منـه أن يرسـل معه جيشا من العرب ، فأرسل معه معاوية بن حديـج السـكونى (٨) فـى جيش

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ١ ، ص ٨٠.
(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ص ٥٣.
(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٤٦.
(٤) كـارل بروكلمـان : تـاريخ الشـعوب الإسـلامية ، ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، الطبعـة الأولـى ، بـدون تاريخ، بيروت .
(٥) ابن الأثير : مصدر سابق ، جـ ٣ ، ص ٤٦ .
(٦) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٧.
(٧) الناصرى السلاوى : الإستقصا ، جـ ١ ، ص ٦٨.
(٨) **معاوية بن حديج السكونى** ، وقيل الخولانى : شهد فتح مصر مـع عمـرو بـن العـاص ، وفد بالفتح على عمر بن الخطاب ، ذهبت عينه فى غزوه النوبة مع ابن سعد ، اختـط مدينـة عند القرن ، وسماها قيروان قبل تأسيس عقبة مدينـة القيـروان ، ولـى إمـارة مصـر لمعاويـة ، وليزيد، من بعده أقام بها مدة إقامته بإفريقية ، حفـر آبـار عند بـاب تونـس مـن ناحيـة الجبل بالقرب من مصلى الجنائز. تسمى آبار خديج ، قيل صحب النبـى (ص) وروى عنـه ، وقيـل ليسـت لـه صحبـه ، حـدث عـن عمـر بـن الخطـاب وعـن أهـل مصـر ، وبهـا توفـى سـنة ٥٢هـ/٦٧٢م قبل ابن عمر [ابن الأثير : مصدر سابق ، جـ ٣ ، ص ٤٦ . ابـن عذارى : مصـدر سـابق ، جـ١، ص ١٧ : ١٩ . النـاصرى السـلاوى : مصـدر سـابق، =

ضخم سنة ٤٥هـ/٦٦٥م (١) ، فلما وصل إلى الأسكندرية توفى جناها (٢) ومضى ابن حديج ، إلى إفريقية فى جيش كبير قوامه عشرة آلاف جندى.

فنزل عند قمونية (٣) على الجانب الأخر ، أرسل قيصر الروم جيشا كبيرا بقيادة البطريق أوليمه (٤) فى ثلاثين ألف مقاتل (٥) عن طريق البحر للدفاع عن إفريقية ضد المسلمين الذين استطاعوا هزيمته ، وتم محاصرة حصن جلولاء (٦) ، وهدم سوره ، وغنم المسلمون ما فيه (٧) ثم بث ابن حديج

= جـ ١،ص٦٨المالكى : رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ٦٠ ، الباجى : الخلاصة النقية ، ص ٤ ، أبو العرب : طبقات علماء إفريقية وتونس ، ص ٧٦ ، الزاوى : تاريخ الفتح العربى : فى ليبيا ، ص ٧٤ . د/محمد زيتون: القيروان ، ص ٣٣ ، أحمد عطيه الله : القاموس الإسلامى ، جـ ٢ ، ص٥٥]

(١) تاريخ ابن خياط ، ص ٢٠٧ . الناصرى السلاوى : الإستصقا ، جـ ١ ، ص ٦٨ . ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٧.

(٢) يذكر البعض سبب قدوم ابن حديج إلى إفريقية ، فيقول "استغل البربر الخلاف الذى نشأ بين على ومعاوية ، بسبب الخلافة ، ورفعوا راية العصيان بإعلان استقلالهم ، وقد أمر معاوية بن أبى سفيان ، معاوية بن خديج بتسكين هذه الثورة ، لكن هذا الرأى ضعيف لأن الخلاف بين على ومعاوية كان قد انتهى سنة ٤١هـ/٦٦١م ، تتنازل الحسن لمعاوية عن الخلافة ومدة أربع سنوات تعتبر كافية لإستتباب الأمر لمعاوية. (انظر : محمود ناجى : تاريخ طرابلس الغرب ، ص ١٢٧)

(٣) **قمونية** : بالفتح وبعد الواو نون ثم ياء خفيفة : مدينة بإفريقية ، كانت تقع موضع القيروان قبل أن تمصر، حدها من الجنوب قسطيلية ، والشمال سوسة ، ومتصلين بالبحر ، وهى المدينة المعروفة بسوس المغرب ، وتعتبر قلب أفريقية البيزنطية [ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ص ٤٦ . ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٤٥٢ . الناصرى السلاوى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٦٩ ، ص ٤٥]

(٤) ذكر الأستاذ محمود ناجى أن هذا البطريق اسمه "سيسه فورو" ولا أدرى من ابن أتى بهذا الإسم [طرابلس الغرب ، ص ١٢٧]

(٥) ابن الأثير : مصدر سابق ، جـ ٣ ، ص ٤٦ ، ٤٧ .
ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ١٧.
الناصرى السلاوى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٦٩ ، ص ٤٥]

(٦) **جلولاء** : أو جلو لا مدينة قديمة بالمغرب تبعد عن القيروان بأربعة وعشرون ميلا منها تحمل الفواكه إلى القيروان فى كل وقت فتحها عبد الملك بن مروان ، وهى مدينة حصينة عيها سور [البكرى : المغرب ، ص ٣٢ ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٩ ، ياقوت : مصدر سابق ، جـ ٥ ، ص ١٥٦]

(٧) ابن الأثير : مصدر سابق ، جـ ٣ ، ص ٤٧ . ابن عذارى: مصدر سابق ، جـ ١ ، ص١٧.

السرايا فى مختلف البلاد ، ومنها بعثه عبد الله بن الزبير إلى سوسه (١) ، على الرغم من إرسال ملك الروم بطريقا يقال له (نجفور) فى ثلاثين ألف مقاتل للدفاع عن سوسه ، لكن ابن الزبير تمكن من فتحها ، وهزم الروم (٢) فعادت طرابلس وملحقاتها للمسلمين ، وفقد الروم الأمل فى هذه الأرجاء ، فإنسحبوا تاركين البربر لحالهم ، ولم يتمكنوا بعد ذلك من استعادة السيطرة على هذه الجهات مرة أخرى (٣)

من ناحية أخرى بعث ابن حديج رويفع بن ثابت الأنصارى (٤) ، فقام بحملة قصيرة عبر بها البحر إلى جزيرة "جربة" (٥) ففتحها ، ثم عاد إلى طرابلس التى كان أميرا عليها.

استقر معاوية بن حديج فى منطقة جبل القرن ، وجعلها مقرا له ، وبنى بها مساكن سماها قيروانا ، وبها آبار تسمى باسمه ، ثم عاد ابن حديج بعد ذلك إلى مصر بعد أن ترك آثار حسنة (٦)

---

(١) **سوسة** : بضم السين ، وسكون الواو ، ثم فتح السين ، وهاء ، وهى من مدن إفريقية على الساحل جنوبى تونس لها سور حصين ، وماء عذب ، وفيها أسواق حسنة ، وغلات واسعة. أكثر أهلها حاكة ينسجون الثياب الرفيعة ، وتنسب إليها العمائم وهى جيدة المتاع [أبو الفداء: تقويم البلدان ، ص ١٤٥ . ابن حوقل:صورة الأرض ، ص ٧٤ . ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٢٨١] لكن صاحب الإستقصا: يذكر أن الروم هزمت عن حصن الأجم ، والذى افتتح جلولاء هو عبد الملك بن مروان [الناصرى السلاوى ، جـ١ ، ص ٦٨]

(٢) الناصرى السلاوى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٦٨.

(٣) محمود ناجى : تاريخ طرابلس الغرب ، ص ١٢٨.

(٤) **رويفع بن ثابت** الأنصارى بن السكن بن عدى بن حارثة ، وقيل ابن خارجة الأنصارى بن مالك بن النجار ، صحابى جليل ، شارك فى فتح مصر ، وسكنها ، ولاه ابن حديج على طرابلس سنة ٤٦هـ/٦٦٦م غزا جزيرة جربه من طرابلس ، وفتحها سنة ٤٧هـ/٦٦٧م توفى ببرقة ، وهو أمير عليها سنة ٥٣هـ/٦٧٣م فى ولاية مسلمة بن مخلد على إفريقية من قبل معاوية بن سفيان [الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٧٨ ، ٧٩]

(٥) **جربه** : بالفتح ، ثم السكون ، والباء موحده خفيفة ، وقيل بكسر الجيم ، وهى جزيرة مجاورة للسان قرب قابس يسكنها البربر ، غزاها رويفع من ثابت ، ويبدو أنها كانت مأهولة بالسكان، لأن المسامين غنموا منها كثيرا [ياقوت : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ١٣٨ . د/حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ١٢٦]

(٦) **من آثار ابن حديج الحسنة** أنه استطاع فتح جلولاء ، وسوسه ، وبنزرت ، وإن لم يخض معارك فاصلة ، كما كان هو صاحب فكرة إنشاء قاعدة ينطلق منها الجيش الإسلامى لتحقيق أهدافه ، بدون أن تكون هناك مسافات شائعة تستنفذ جهده وتضعف من قوته [د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ٣٢ ، ٤٣]

فى إفريقية (١) ويذكر المؤرخون أن معاوية بن حديج غزا إفريقية ثلاث مرات، الأولى سنة ٣٤هـ/٦٥٤م وأوغل فيها حتى مشارف صقلية (٢) والثانية كانت سنة ٤١هـ/ ٦٦١م ، والثالثة سنة ٤٥هـ/٦٦٥م وكانت حربا كلها (٣)

ومما هو جدير بالذكر أن ضعف الناحية الدفاعية عند الروم فى إفريقية، يرجع إلى شغل معاوية بن أبى سفيان لهم فى آسيا الصغرى بالدفاع عن أنفسهم (٤) مما أتاح الفرصة لابن حديج للعمل على فتح هذه البلاد.

عقبة بن نافع ودوره فى الفتوح ونشر الإسلام ٥٠هـ/٦٧٠م

وفق معاوية بن أبى سفيان فى اختيار عقبة بن نافع لولاية إفريقية عام ٥٠هـ/٦٧٠م (٥) حيث كان عقبة من أوائل المسلمين الذين دخلوا إفريقية مع ابن خالته عمرو بن العاص من سنة ٢٣ : ٤٣هـ/٦٤٣ - ٦٦٣م ، وظل مقيما

---

(١) الناصرى السلاوى : *الإستقصا* ، جـ ١ ، ص ٦٩.

(٢) **صقلية** : بثلاث كسرات ، وتشديد اللام ، والياء أيضا والبعض يقول بالسين ، وأكثر أهل صقلية يفتحون الصاد واللام : وهى من جزائر بحر الروم ، مقابلة لإفريقية ، وهى مثلثة الشكل بين كل زاوية وأخرى ، مسيرة سبعة أيام ، بين الجزيرة وبر إفريقية مائة وأربعون ميلا إلى أقرب مواضع إفريقية المسمى إقليبية ، وهى جزيرة كثيرة البلدان ، والقرى ، والأمصار [ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٤٧٣ ، ابن عذارى:البيان المغرب ، جـ ١ ص٣٥]

(٣) ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ١٤ ، ١٦.
كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ١٢٧.

(٤) د/ عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، جـ ٢ ، ص ٥٥.

(٥) **عقبة بن نافع** بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن طرف بن الحارث بن فهر ، ولد قبل وفاة الرسول (ص) بسنة واحدة ، صحابى بالمولد ، وهو آخر من ولى المغرب من الصحابة ذهب إلى إفريقية تحت قيادة عمرو بن العاص ، أمير مصر ، وفى صحبه والده ، ونافع بن عبد القيس ، سار لحرب النوبة مع عبد الله بن سعد ، وهو فى بداية حياته ، تولى قيادة جيش من جيوش المسلمين فى فتح زويلة عام ٢١ ، ٢٢هـ/٦٤٢م وفى سنة ٤١هـ/٦٦١م أرسله عمرو بن العاص إلى إفريقية ، فانتهى إلى قبيلة لواتة ، ومزاته ، فأطاعوا ، ولكنهم مالبثوا أن شقوا عصا الطاعة فغزاهم فى نفس العام ، فقتل منهم الكثير - ثم سار إلى غدامس ففتحها فى سنة ٤٢هـ/٦٦٢م ، وفى عام ٤٣هـ/٦٦٣م افتتح كورا من بلاد السودان ، وودان ، تولى قيادة إفريقية بعد معاوية بن حديج ، ثم عزله معاوية بن أبى سفيان، ورده إليها ابنه يزيد عام ٦٢هـ/٦٨٢م أقام برقة ثم بنى القيروان ، كان حريصا على الجهاد والمغازى ، وصل بها إلى المحيط ، وفى طريق عودته قتل ٦٣هـ/٦٨٣م وجميع أصحابه عند الزاب بتهوذه. [تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٢٠٤ ، ٢١٠ . ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ١٩ . ابن الأثير : أسد الغابة ، جـ ٤ ، ص ٥٩ ، ٦٠ ، تحقيق محمد ابراهيم البنا وأخرون ، كتاب الشعب ، بدون تاريخ . الناصرى السلاوى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٦٩ . د/ عبد المنعم عبد العال : لهجة شمال المغرب ، ص ٤٠ . بروكلمان : مرجع سابق ، ص ١٢٧]

بها حوالى ربع قرن من الزمان ، مما جعله من أعلم الناس ببلاد البربر التى تم فتحها ، فقد عمل تحت قيادة أكثر من قائد من قواد المسلمين (١) حتى اختاره معاوية بن أبى سفيان ليبدأ مرحلة جديدة فى الفتوحات وتثبيت أقدام المسلمين فى بلاد البربر ، وإخضاع القبائل البربرية التى جبلت على المكايد، والحرب والصراع (٢) وكان معاوية يعد الحملات الناجحة التى شنها المسلمون فى المرحلة الأولى على إفريقية ، والتى كانت تهدف إلى العمل على نشر الإسلام، ومعرفة طبيعة هذه البلاد ، والحصول على المغانم والسبى ، وقد أراد أن يكون وجود المسلمين دائما ، وثابتا فى هذه المنطقة ، فأسند إلى عقبة بن نافع هذه المهمة لما عرف عنه من شجاعة ، وقوة ، وجلد فى حرب البربر ، وقد رسم عقبة لنفسه خطة سعى إلى تحقيقها ، وكانت تختلف عن الذين سبقوه وأمده معاوية بجيش كبير يقدر بحوالى عشرة آلاف فارس (٣)

اتخذ عقبة طريقة داخل البلاد مباعدا الساحل ليخضع بعض القبائل الثائرة مثل مزاته ، وهى من فرع لواته (٤)

كما أعاد سيطرة المسلمين على المدن الساحلية مثل طرابلس ، وفزان(٥) وأسلم على يدية كثير من البربر ، وقد عمل على إدخالهم فى جيوشه حتى تتاح لهم الفرصة لتعليمهم مبادئ الإسلام ، وقد أصبح هؤلاء البربر بعد أن حسن اسلامهم ، نواه للجيش الذى حمل على عاتقة القضاء على الحكم الرومانى فى شمال إفريقية جملة واحدة (٦) ولما كان البربر قوما شديدى المراس ، قد جبلوا على التمرد ، والثورة ، وليس هناك أمان على المسلمين

---

(١) منهم عمرو بن العاص ، عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، معاوية بن حديج الكندى.

(٢) د/ أحمد السيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ، ص ٥،دار المعارف،مصر،بدون تاريخ .

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٥ .

(٤) د/ عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، جـ ١ ، ص ٥٧.

(٥) **فزان** : بفتح أوله ، وتشديد ثانيه وأخره نون : ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس الغرب ، قيل سميت بفزان بن حام بن نوح عليه السلام ، بها نخل ، وتمر كثير ، ومدينتها زويلة السودان والغالب على أهلها السواد [ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٢٩٥]

(٦) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ١٢٧ .

أن ينزلوا بين أظهرهم (١) فقد رأى عقبة بعد انتصاراته على البربر أن يقيم للمسلمين قاعده دائمة يتمركزون بها ، وينطلقون منها للفتح ويأمنوا على أهليهم ، وأموالهم من ثورة أهل البلاد "البربر" فقال لجنده "إن إفريقية إذا دخلها أمام أجابوه إلى الإسلام ، فإذا خرج منها رجع من كان استجاب منهم لدين الله إلى الكفر ، فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عز الإسلام إلى آخر الدهر (٢)

اختار عقبة مكان هذه القاعدة ، بحيث تكون بعيدة عن الساحل ، حتى لا تدركها مراكب الروم فتهلكها (٣) وغير متوغلة فى الداخل حتى يستطيع الإبل والدواب الوصول إليها ، والرعى فيها بسهولة ، وتكون فى مأمن من خطر الروم والبربر (٤)

وبدأ عقبة فى بناء مدينة القيروان سنة ٥٠هـ/٦٧٠م (٥) لتكون قاعدة أمامية للفتوح العربية فى المغرب ، وذلك جريا على السياسة التى بدأها المسلمون فى الفتوحات فى المشرق ، فقد أنشاؤا عدة مدن مثل البصرة والكوفة فى العراق ، وكان موقع القيروان يساعدها على الإتصال بمختلف البلاد ، وأن تتلقى المدد من مصر ، فالمدينة بموقعها الإستراتيجى تختلف عن غيرها من المدن لأنها لا تختلف فى نهاية الطريق الممتد من مصر إلى إفريقية ، مما جعل منها مدينة شبة اصطناعية (٦) اختار عقبة مكانا قريبا من

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٤٧٦ : ٤٧٨.
(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٩.
(٣) ياقوت : مصدر سابق، جـ ٤ ، ص ٤٢١ .
- ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ١٩.
(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٠ .
- د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ١٨٤ .
(٥) تاريخ ابن خياط ، جـ ١ ، ص ٢١٠ ، الناصرى السلاوى : الإستقصا ، جـ ١ ، ص ٦٩ ، ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٢٠ ، الباجى : الخلاصة النقية ، ص ٥ .
القيروان معناه : معسكر أومدينة وقيل موصع اجتماع الجيش والناس ، وقيل محط أثقال الجيش ، أو الجيش نفسه والقيروان بفتح القاف وسكون الباء ، وفتح الراء مدينة من مدن إفريقية ، وهى بعيدة عن الساحل على مسافة ستة وثلاثين ميلا عن البحر ، وحوالى مائة ميل عن تونس ، ثم وصف القيروان بأنها أكثر مدن المغرب تجارة وأسواقا ، وأحسنها منازل ، كان فيها ديوان جميع المغرب وإليها تجبى أموالها وبها دار السلطان ، وهى مدينة مسورة هدمت عدة مرات، وأعيد تشييدها [ياقوت : مصدر سابق ، جـ ٤ ، ص ٤٧٦ : ٤٧٨ . ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٤ . الباجى : مصدر سابق ، ص ٥]
(٦) د/ سعد زغلول : مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ١٨٤ .

السبخة (١) لبناء مدينته الجديدة ، فنظف المسلمون المكان من الأشجار الكثيرة، والحشائش ، والأشواك ، وبدأ عقبة فى بناء مقر دار الإمارة ، ثم أخذ فى بناء المسجد الجامع يقول ابن عذارى (٢) "فاختط عقبة أولا دار الإمارة ، ثم أتى إلى موضع المسجد الأعظم فاختطه" وهذا يأتى على خلاف الطريقة التى اتبعت فى بناء المدن العربية فى صدر الإسلام من بناء المسجد أولا ثم دار الإمارة ، ويرجع هذا إلى الخلاف الذى حدث بين الناس فى تحديد القبلة مما دفع عقبة إلى أن يبدأ بدار الإمارة أولا.

وقد بلغت مساحة مدينة القيروان كما قدرها **ابن عذارى** (٣) نحو ١٣,٦٠٠ ذراع أى حوالى ٧٠٠٠ متر ، أما **ابن الأثير** (٤) فيقدرها بحوالى ٣٦٠٠ باع أى ٥٨٠٠ متر ، فالمساحة على **الرأى الأول** تشمل مسكان العسكر والقبائل ، أما المساحة على **الرأى الثانى** فتشمل دار الإمارة والمسجد الجامع ، ومكان حفظ الذخائر فقط ، وبنى لها سورا كبيرا بلغ مقداره اثنى عشر ميلا (٥)

استغرق بناء مدينة القيروان حوالى أربع سنوات (٦) وبعد أن أكمل عقبة بنائها عزل عنها سنة ٥٥هـ/٦٧٥م (٧) حيث استعمل معاوية بن أبى سفيان مسلمة بن مخلد الأنصارى (٨) على مصر وإفريقية ، وهو أول من جمع له المغرب كله (٩)

---

(١) **السبخة** : تقع فى مكان متوسط بين الساحل ، والهضبة القريبة من السفوح الصالحة للرعى، [ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٢٠٦. د/حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ١٤٣]

(٢-٣) ابن عذارى: البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٠ ، ٢١.

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢٣٥.

(٥) الناصرى السلاوى : الأستقصا ، جـ ١ ، ص ٦٩ ، الميل يساوى ثلاثة ، أو أربعة آلاف ذراع [أبو الفداء: تقويم البلدان ، ص ١٥]

(٦) لكن ابن خياط يذكر أن عقبة أقام بها ثلاث سنوات ، تاريخ ابن خياط ، ص ٢١٠.

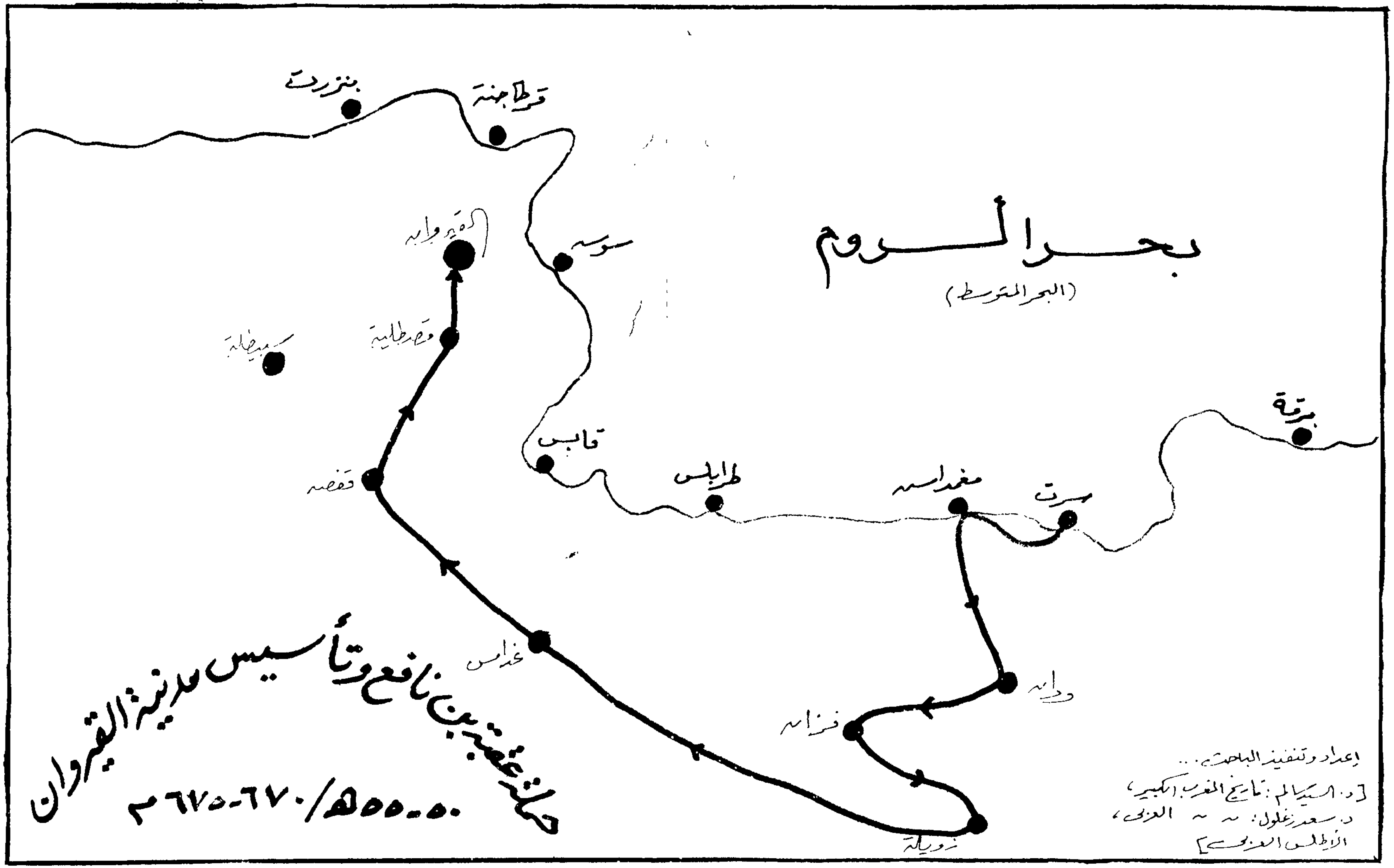
(٧) ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٢١.

(٨) مسلمة بن مخلد بن الصامت "الزرقى" الأنصارى ، ولد فى السنة الأولى للهجرة ، ولاه معاوية بن أبى سفيان مصر ، وهو أحد قتله محمد بن أبى بكر ، قتل أبوه يوم بعاث ، سكن مصر ، ومات بها وهو وال عليها سنة ٦٢هـ/٦٨٢م [ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٦٦ ، ٤٣٥]

(٩) ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٢١.

ويرجع المؤرخون سبب عزل عقبة إلى الشدة التى استخدمها فى معاملة البربر ، بدليل أن أبا المهاجر دينار الوالى الجديد لإفريقية من قبل مسلمة ، سار على سياسة مغايرة لها تماما (١) ، لكن يرى البعض ، أن اعتناء عقبة ببناء مدينة القيروان قد جعله يهمل فى جمع الضرائب ، الأمر الذى دعا معاوية بن أبى سفيان إلى عزله (٢) ويبدو أن هذا الرأى فيه تجن كبير على عقبة ، لأن بناء المدينة لم يتم دفعة واحدة ، فقد استغرق بناؤها حوالى أربع سنوات ، كانت المدينة تعمر ، وتتسع شيئا فشيئا خلال تلك الفترة ، ولم يوجد كل نشاطه للبناء فقط ، لكنه كان يوجه السرايا لحفظ الأمن فتأتى بالمغانم ، والأسلاب (٣) بل على العكس فإن بناء المدن يحتاج إلى كثير من الأموال ، وهو ما يجعل الكثيرين يضطرون إلى فرض الكثير من الضرائب مما ينفى هذا الرأى ، والراجع أن معاوية ولى مسلمة على إفريقية بعد أن كان واليا على مصر فقط حتى تكون الصلة وثيقة ، والأمر واحد بالنسبة للفتوحات ، والإهتمام بها فى بلاد المغرب ، وحتى لا يكون هناك تلكؤ ، أوتنازع فى الإختصاصات ، أو تقاعس فى تلبية الأوامر.

وقد هيأ تأسيس مدينة القيروان فى إفريقية على يد عقبة بن نافع مركزا حصينا اتخذه المسلمون قاعده لنشر الإسلام فى المغرب ، وقد تدفقت قواتهم منها إلى الجهات الأخرى ، لكن عقبة لم يستطع اتمام فتح إفريقية نظرا لطبيعتها الجبلية التى تتحصن فيها القبائل البربرية من البرانس ، وتتخذها معاقل تحميهم من غارات العرب (٤) أنظر الشكل رقم (٣)


بحر الروم
(البحر المتوسط)
بنزرت
قرطاجنة
القيروان
سوسة
سبيطلة
قفصة
قابس
طرابلس
غدامس
سرت
برقة
ودان
فزان
زويلة
حملة عقبة بن نافع وتأسيس مدينة القيروان
50-55هـ/670-675م
إعداد وتنفيذ الباحث..
[د. السيد سالم: تاريخ المغرب الكبير،
د. سعد زغلول: " " العربي،
الأطلس العربي]

دور أبى المهاجر دينار فى الفتوحات ٥٥-٦٢هـ/٦٧٥-٦٨٢م

ولى مسلمة بن مخلد الأنصارى والى مصر وإفريقية ، أبو المهاجر دينار (١) بعد أن عزل عقبة عن إفريقية ، فقد كافأه بولاية إفريقية ، حيث جعله نائبا له فى المغرب ، لأنه كان شديد القرب منه ، كما ذكر ابن عذارى(٢) حيث قال : "أبو المهاجر كواحد منا صبر علينا فى غير ولاية ، فنحن نحب أن نكافئه ، ونصطنعه" إلا أن الرواة يمرون سريعا على أعماله ، ولا يذكرون إلا ما فعله بعقبة ، لكننا نجد أن أبا المهاجر قد قام بأعمال تجدر الإشارة إليها منها:

أنه أول مسلم وطئت خيله أرض المغرب الأوسط "الجزائر" ، معنى هذا ، أنه ضم مناطق جديدة إلى دولة الإسلام ، وتدفق أهل هذه المناطق فى الإسلام ، وكان نشر الإسلام يسير جنبا إلى جنب مع الفتوح ، ومن هذه الأعمال أيضا ، دخول كسيلة زعيم قبيلة أوربة البربرية (٣) فىالإسلام مما حقق مكاسب كبيرة ، لأن كسيلة لم يسلم بمفرده ، لأنه زعيم فى قومه ، فقد دخل معظم قومه فى الإسلام ، بالإضافة إلى رغبته القوية فى الفتوح ، ونشر الإسلام التى جعلته لا يعقد معاهدة مع الروم على أن يتركهم وشأنهم ، على الرغم من عجزه من الإستيلاء على قرطاجنة ، فما كان منه إلا أن ساومهم على أن يأخذ جزءا من بلادهم ، وهذا يدل على أن أبا المهاجر كانت لديه النية الصادقة فى الإستلاء على عاصمتهم ، وهزيمتهم ، وطردهم من المغرب.

---

(١) **أبو المهاجر دينار** ... لا يعرف عن ماضيه إلا أنه كان مولى لمسلمة بن مخلد ، اشتهر بكنيته وهى "أبو المهاجر" أكثر من اسمه وهو "دينار" تولى إفريقية سبع سنوات من سنة ٥٥ – ٦٢هـ/٦٧٥ – ٦٨٢م [ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٢ • الناصرى السلاوى : الإستقصا ، جـ ١ ، ص ٧٧ ، د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ١٨٨ ، الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٧٨]

(٢) ابن عذارى :مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٢٢.

(٣) **كسيلة** : بضم ، أو فتح الكاف ،.يبدو أن اسم كسيلة بصيغة التصغير من اختراع النساخ ، أما الأصح أن يقرأ كسيلة على وزن كبيرة [عبيد الله بن صالح : نص جديد عن فتح العرب للمغرب ، ص ٢١٠] ويسمى قصيلة (Koceila) بالقاف [أحمد فكرى: مسجد القيروان ، ص ٧ ، سنة ١٣٣٥هـ/١٩٣٦م ، مطبعة المعارف ، مصر] كان نصرانيا [تاريخ خليفة بن خياط، جـ ١ ، ص ٢٥١] ويدعى كسيلة بن لمرم ، ويضبطه "ابن الأثير" ، بفتح الكاف، وكسر السين ، لمرم بفتح اللام ، والراء [أسد الغابة ، جـ ٢ ، ص ٦٠]

ويرجع مرور الرواة السريع على أعمال أبى المهاجر إلى مكانه الفهريين من أقارب عقبة ، حيث كان لهم مركز ممتاز فى مصر ، والمغرب، والأندلس ، وكان منهم رواه ، وإخباريون أغفلوا ذكر أعمال أبى المهاجر، ومكانه بنى أبى المهاجر ، لم تكن ترقى إلى مرتبة الفهريين (١)

خرج أبو المهاجر سنة ٥٥هـ/٦٧٥م من مصر قاصدا إفريقية ، فعزل عقبة بن نافع ، ولم يكتف بهذا ، ولكنه استخف به ، وكره النزول ، والإقامة فى مدينة عقبة القيروان ، بل أخلاها وتركها ، ونزل على بعد ميلين منها وجعل تيكروان (٢) عاصمة للمسلمين بدلا من قيروان عقبة (٣)

---

(١) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٨٩ .

(٢) **تيكروان** : تعرف بدكرور أو تكرور ، وهى تقع شمال القيروان بميلين [المالكى : رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ٢٠ . أبو العرب:طبقات علماء إفريقية ، ص ٥٧]

(٣) **هناك تهم ملصقة بأبى المهاجر ضد عقبة منها** :

... أنه أساء عزل عقبة ، ووضعه فى الحديد مكبلا.

... وكره أن ينزل الموضع الذى اختلطه عقبه.

... وبنى مدينة له ، وعمل على عمرانها، وأمر الناس أن تحرق القيروان ، ويعمروا مدينته.

[ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ص ٢٣١ . ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٢ . الناصرى السلاوى : الإستقصا ، جـ ١ ، ص ٧١]

وثبت براءة أبى المهاجر من هذه التهم كالآتى:

بالنسبة للإساءة ، فلم يكن أبو المهاجر إلا منفذا لسياسة قائه مسلمة بن مخلد ، فماذا يكون بين مولى صغير كدينار ، وفاتح عظيم كعقبة من الأمور ، إنما تكون هذه الأمور بين مسلمة وعقبة ، وكلاهما وال وبينهما من التنافس إلى السبق والشرف على الولاية ، والغنيمة، والخطوة لدى الخليفة ، هذا بالإضافة إلى موقف أبى المهاجر طوال حملة عقبة بعد ولايته الثانية فمعظم المصادر تؤكد أن أبا المهاجر لم يبخل بتقديم النصح ، وتحذير عقبة من كسيلة ، فإن دل هذا على شئ فإنه يدل على الأخلاق التى كان يتمتع بها أبو المهاجر ، مما يجعله بريئا من هذه التهم.

اما تخريب القيروان ، فلو صح هذا الرأى لمكث عقبة فى إصلاحها وردها إلى ما كانت عليه وقتا طويلا ، وما حدث هو أن أبا المهاجر نقل الناس والمصالح الهامة فى المدينة إلى جهة قريبة منها ، بالإضافة إلى أن أبا المهاجر لم يكن لديه الوقت لبناء مدينة جديدة ، وإنما نزل فى قرية بربرية على مقربه من القيروان ، وبما أنها قرية بربرية فإنه لم يترك عليها من يحميها من العرب ، لأن سياسته كانت تعتمد على المزج ، والتقريب بين العرب والبربر ، فترك عليها من يحيمها من أهلها البربر الذين دخلوا فى الإسلام ، ووكل لهم هذه المهمة ، ولو كان قد أقام مدينة جديدة كالقيروان لترك عليها من يحميها من المسلمين [أبو العرب : مصدر سابق ، ص ٥٧ ، د/ حسن مؤنس: فتح العرب للمغرب ، ص ١٧١ ، ١٩٨ . د/ سعد زغلول: **مرجع** سابق ، جـ ١ ، ص ١٩٠] من جانب آخر نجد أن مسلمة بن مخلد الأنصارى هو الذى سعى فى عزل عقبة ، لكى تصبح ولاية إفريقية تابعة له ، وتم له ذلك فى سنة ٥٥هـ/٦٧٤ - ٦٧٥م فولى عليها مولاه [المالكى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص٢١]

علم أبو المهاجر بوجود جموع من الروم وبربر أوربة (١) وزحفهم نحو المسلمين لطردهم من هذه المناطق ، فجمع جموعة وزحف إليهم ، وتمكن من الإنتصار عليهم قرب تلمسان.

وظل أبو المهاجر يفتح كل ما يمر عليه حتى انتهى إلى منطقة العيون، المعروفة بإسمه (٢) وتم حفر هذه العيون من أجل إصراره على استكمال الفتح لمنطقة تلمسان ، وإزالة خطر التحالف بين الروم والبربر.

وكان لتباين سياسة أبى المهاجر عن سياسة عقبة ، تأثير كبير لدى البربر ، فنجد فى سياسة أبو المهاجر المرونة ، والملاطفة ، والملانية ، فقد صالح كسيلة زعيم قبيلة أوربة ، بل إنه أحسن إليه وأكرمه حتى تمكن من أن يبرم معه صداقة قوية كانت نتيجتها دخوله فى الإسلام ، وكذلك قبيلته ومساندته ، فتمكن أبو المهاجر من الإستيلاء على تلمسان

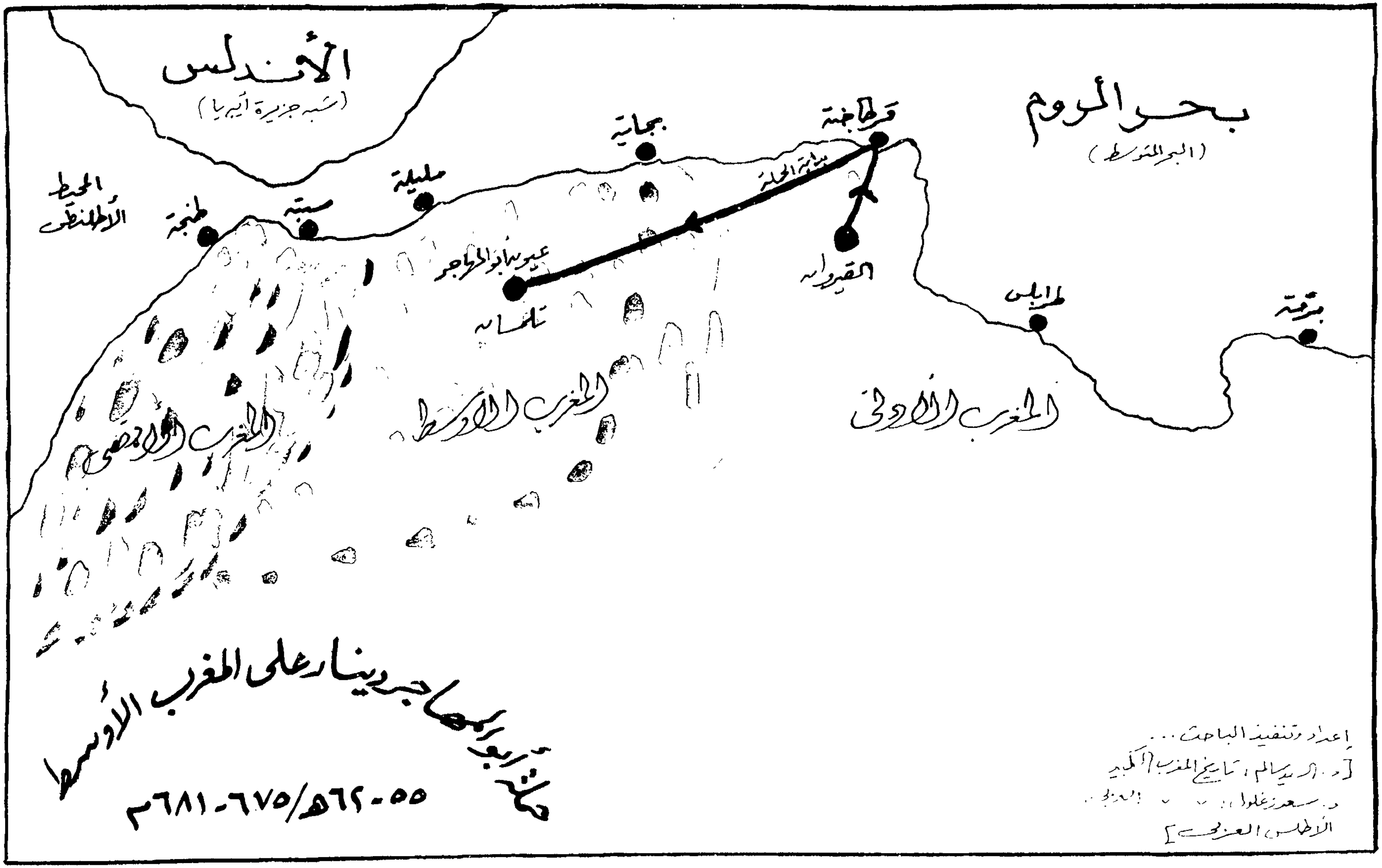
ومن الجدير بالذكر أن أبا المهاجر إتجه لفتح أكبر معاقل الروم "قرطاجنة" ٥٩هـ/٦٧٩م (٣) وضرب الحصار عليها حتى صالحه الروم على أن يجعلوا للمسلمين جزيرة شريك (٤) مقابل رفع الحصار عن قرطاجنة ، ثم رجع أبو المهاجر إلى المكان الذى اتخذه مقرا له قرب القيروان ، فأقام به حتى عزل (٥)

وهكذا نجد أن سياسة أبى المهاجر قد أدت إلى انضمام عدد كبير من البربر إليه ، وكسب تأييدهم له ، مما فتح مناطق جديدة فى المغرب ، وضمها إلى رقعة الدولة الإسلامية ، بالإضافة إلى فتح الطريق أمام قبائل البربر

(١) **بربر أوربة** : هم فرع من قبائل البربر البرنسية ، زعيمهم كسيلة كان نصرانيا استطاع أبو المهاجر ضمه إلى الإسلام [الناصرى السلاوى: الإستقصا ، جـ ١ ، ص ٧١]
(٢) **منطقة العيون** : توجد بالقرب من تلمسان [ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٨ ، الناصرى السلاوى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٧٢]
(٣) الذهبى : دول الإسلام ، جـ ١ ، ٢ ، ص ٤٢ .
(٤) **جزيرة شريك** : بفتح الشين ، وكسر الراء ، وياء ساكنة ، وكاف : كورة بأفريقية بين سوسه، وتونس تنسب إلى شريك بن قرة العبسى ، كان عاملا عليها ، وقصبة هذه الكورة ، بلد يقال لها باشو ، وهى مدينة كبيرة آهله ، بها جامع ، وحمامات ، وأسواق عامرة ، بحذاء جزيرة شريك فى البر نحو جهة الجنوب جبل زغوان [ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ١٥٨ ، ١٥٩]
(٥) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ١ ، ص ١٥٢ .

الأخرى للدخول فى الإسلام ، لما جاء من مبادئ سامية ، وقيم نبيلة ، كان لها أكبر الأثر فى نفوس البربر ، فأيقنوا أن العرب جادون فى نشر دينهم ، وتخليص هذه البقعة من سيطرة الروم. من ناحية أخرى أدى إحتكاك العرب بالبربر إلى وجود نوع من العلاقة التى ساعدت على دخول كثير منهم فى الإسلام وقد بدأت العلاقة بين العرب والبربر منذ زمن مبكر ، فمنذ اختطاط مدينة القيروان ، والإقبال على الإسلام مستمر من ذلك الحين ، ولا شك فى إن اسلام الزعيم البربرى كسيلة بعد بناء القيروان بثمان سنوات ، كان له أثر كبير حيث أن هذا الزعيم لم يسلم بمفرده ، وإنما تبعه قومه ، وهذا مما جعل البربر ، والعرب يسيرون جنبا إلى جنب لفتح البلاد ، ونشر الإسلام (١)

وما كان لأبى المهاجر أن يحتاج المغرب الأوسط (الجزائر) دون مساعدة كسيلة وقومه (٢) انظر الشكل رقم (٤)


الأندلس
(شبه جزيرة أيبريا)
بحر الروم
(البحر المتوسط)
المحيط الأطلنطي
طنجة
سبتة
مليلية
بجاية
قرطاجنة
بداية الحملة
القيروان
عيون أبو المهاجر
تلمسان
طرابلس
برقة
المغرب الأقصى
المغرب الأوسط
المغرب الأدنى
حملة أبو المهاجر دينار على المغرب الأوسط
٥٥-٦٢هـ/٦٧٥-٦٨١م
إعداد وتنفيذ الباحث...
[د. السيد سالم، تاريخ المغرب الكبير
د. سعد زغلول ، ، ، العربي.
الأطلس العربي]

ولاية عقبة الثانية وفتح المغرب الأقصى (٦٢:٦٤هـ/٦٨٢:٦٨٤م)

توجه عقبة بن نافع إلى عاصمة الخلافة فى الشام لمقابلة معاوية بن أبى سفيان فوجده قد توفى عام ٦٠هـ/٦٨٠م ، وتولى بعده ابنه يزيد ، فدخل عليه عقبة ، وأخبره بما صنع أبو المهاجر معه ، وقال له ، افتتحت إفريقية وبنيت مسجدا للجماعة ، ثم بعثتم عبد الأنصار ، فأهاننى وأساء عزلى (١) فغضب يزيد وقال :أدركوها قبل ان يخرجها" وسمح له باسترجاع إفريقية من والى مصر، وأعاده إليها سنة ٦٢هـ/٦٨٢م وهى ولايته الثانية على إفريقية(٢)

---

(١) **هناك اتهامات موجهة إلى عقبة بن نافع ضد أبى المهاجر دينار** ، وخاصة عند "ابن عذارى" ومن تبعه ، فإن عذارى يذكر عدة أقوال متضاربة فى كتابة البيان المغرب:
الأول فى ، جـ ١ ، ص ٢٣ ... حيث يقول "مضى – عقبة – حنقا على أبى المهاجر حتى قدم إفريقية فأوثق أبا المهاجر فى الحديد" .
الثانى ، جـ ١ ، ص ٢٩ ... حيث يقول : "فلما قدم عقبة ، وعزل أبا المهاجر عرفه بحال كسيلة ، وأنه من ملوك البربر ، ولم يستحكم الإسلام بقلبه".
الثالث ، جـ ١ ، ص ٢٩ ... أيضا فعندما أهان عقبة كسيلة كان رد أبى المهاجر على عقبة "بئس ما صنعت كان رسول الله (ص) يتآلف جبابرة العرب ، وأنت تأتى إلى رجل جبار فى قومه ، وفى دار عزه ، قريب العهد بالشرك فتهينه".
ويعد اتهام ابن عذارى لعقبة فى **القول الأول** مشكوكا فى صحته لعدة أسباب:
أولا: لم يوضح ، ويفصل كيف كانت معاملة عقبة لأبى المهاجر بعد أن عاد إلى ولاية إفريقية مرة أخرى.
ثانيا: يعتبر استشهاد أبى المهاجر مع عقبة دليلا على أنه لم يعامله معاملة سيئة ، لأنه إن صح ذلك كما يذكر ابن عذارى لما قام أبو المهاجر بحمل سلاحه ، والحرب مع عقبة ، ودليلنا فى هذا قول عبيد الله بن صالح فى : نص جديد عن فتح العرب للمغرب ، ص ٢٠٧، ٢١٠ "واستشهد عقبة ، وأبو المهاجر ، وسيفاهما بيدهما" حتى على فرض أن عقبة قد أطلق سراحه للمحاربة معه فقد كان يستطيع ألا يفعل ويتركه. أما القول الثانى ، والثالث يناقض القول الأول عند ابن عذارى...
أولا: كيف يحبس عقبة أبا المهاجر ، ويقيده بالحديد ، ويعرفه أبو المهاجر بحال كسيلة.
ثانيا:يعد تحذير أبى المهاجر لعقبة ، عندما أهان كسيلة وهو حديث عهد بالإسلام ، وضربه له المثل بسيدنا رسول الله (ص) وما كان يفعله مع أكابر العرب دليلا على إخلاصه فى النصح له مع عقبة يجعلنا نطلق عليه لفظ "مستشار عقبة" وليس خصمه أو عدوه.
ثالثا: إن سلمنا بقول ابن عذارى بأن عقبة قيد أبا المهاجر فى الحديد ، فكيف يكون أبا المهاجر دليل عقبة فى هذه البلاد ، وهل يخلص له النصح ، أيضا هل نصف أبا المهاجر بأنه يتمتع بالروح ، والأخلاق الإسلامية المرتفعة ، وهو من الموالى ، ونصف عقبة بعكس ذلك ، وهو أحد صحابة الرسول (ص) تربى ، وتعلم من أخلاق الرسول (ص) وصحابته الكرام.
وفى النهاية يرى الباحث أن هذه التهم التى تمس عقبة غير صحيحة ولا تتمشى مع منطق الأحداث ، ولا مع أخلاق هذا الرعيل من المسلمين الأوائل.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٣.

توجه عقبة بن نافع من دمشق مارا بمصر فاعتذر له صاحبها – مسلمه بن مخلد – عما فعله أبو المهاجر به ، فقبل منه عقبة الإعتذار ، ثم واصل عقبة مسيرته إلى القيروان بعشرة آلاف فارس (١) وعندما وصل عقبة إلى القيروان ابتدأ عمله بتغيرها وإعادتها إلى سابق عهدها ورد الناس إليها (٢) واستخلف عليها زهير بن قيس البلوى (٣) وسلك عقبة الطريق الصحراوى الذى يخترق المغرب الأوسط فى اتجاه تاهرت ، والسوس الأدنى ، حتى قدم الأطراف الشمالية لبلاد الجريد (٤) عند مدينة باغاية والتى توجد بها حامية رومية كبيرة تصدى لها عقبة ، لكنهم تراجعوا بعد أن تركوا وراءهم عددا من القتلى ، فضرب عليهم عقبة الحصار، ولكنه اكتفى بما حصل عليه من الخيل الكثير ، والغنائم الأخرى (٥)

ثم واصل عقبة تقدمة حتى انتهى إلى المسيلة وهى عاصمة بلاد الزاب الواسعة التى شهدت صداما عنيفا بين العرب والروم ، انتهى بهزيمة الروم ، ومقتل بعض فرسانهم ففروا من أمام العرب ، ولجأوا إلى الحصون ، والقلاع، مما أدى إلى ضياع هيبة الروم أمام البربر ، وذهب ملكهم من الزاب (٦) التى انتقلت إلى المسلمين.

(١-٢) المالكى : رياض النفوس ،جـ١، ص٢٢ .

(٣) الباجى : الخلاصة النقية ، ص ٦ .
زهير بن قيس البلوى : يقال له صحبه ، روى عنه علقمة بن رمثه البلوى ، غزا إفريقية وله فيها مواقف ، ومشاهد محمودة ، وليها من قبل عبد الملك بن مروان ، ثم رجع كراهة فى الإمارة وزهدا وورعا ، وفى طريق عودته قابلة الروم بجمع غفير بقرب برقة ، وكان قد تفرق عنه الكثيرون من الجند فاستشهد مع كثيرين عام ٦٧ ، ٦٩هـ/٦٨٧ – ٦٨٩م [أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ص ٨٠ . المالكى : مصدر سابق : جـ ١ ، ص ٦٠ ، أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى ، جـ ٣ ، ص ١١٩]

(٤) **بلاد الجريد** : أو "بلاد التمر" ، أو "جزائر التمر" لكثرة نخيله ،وهى بلاد واسعة تمتد من جنوب تونس ، وطرابلس ، والجزائر ، وتعرف الآن بقسطيلية ، ومن مدنها توزر والحمة وتقيوس [ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٢ • البكرى : المغرب ، ص ٤٧ ، ٤٨. الحميرى: الروض المعطار ، ص ٤٨٠ ، تحقيق احسان عباس ، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٤م، لبنان]

(٥) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٣ .
ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ص ٥٣ .

(٦) ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٢٤.

واصل عقبة زحفه حتى وصل إلى إقليم تاهرت حيث واجه تحالفا يضم عددا كبيرا من الروم والبربر ، فهيأ جنوده للقتال ، وحثهم على الجهاد فى سبيل الله ، وبدأت المعركة ، وقد شكلت كثرة جنود العدو صعوبة للمسلمين مما جعلهم يبذلون جهدا كبيرا ، انتهى بهزيمة الروم والبربر ، وقضى على آمالهم فى الدفاع عن المغرب الأوسط ، وغنم المسلمون منهم غنائم كثيرة.

واصل عقبة مسيرته بعد أن ترك الروم ، والبربر يلتجئون إلى القلاع والحصون ، وسار نحو الساحل ، وعبر ممر تازة ثم اتجه إلى طنجة ، وكان ملكها يعرف باسم جوليان (١) ، والذى بادر بملاطفة عقبة عندما أدرك قوة المسلمين ، وأنه لا يستطيع الوقوف فى وجه المسلمين ، فقدم لعقبة الهدايا ، وأعلن عن رغبته فى الإستعداد للنزول على حكمه ، ثم رغب فى عقد صلح مع عقبة ، وأراد عقبة أن يستفيد من هذا الحاكم ، فوافق على الصلح ، وأصبح جوليان بمثابة المستشار السياسى والعسكرى لعقبة (٢)

أمد جوليان عقبة بمعلومات عن البربر فى المغرب الأقصى ، وعن القوط فىالأندلس ، نظرا لأنه كان حاكما لهذه المنطقة ، وحذره من عدم ترك الروم خلف ظهره ، وأن قبائل البربر كثيرة لا يعلم عددها إلا الله "وهم كالبهائم لم يدخلوا فى دين النصرانية ولا غيرها (٣)

واصل عقبة تقدمه تجاه المغرب الأقصى ، فدنا من بلاد تامسنا ووصل مدينة وليلى القديمة (طنجة) والتقى بجموع البربر ، وهزمهم ، وقتل منهم

---

(١) **جوليان** : هناك اختلاف بين فى جنسية جوليان ، أويليان هل هو رومى أو قوطى أو بربرى؟ فعندما استفسر عقبة من جوليان عن البربر كان رده يدل على عدم معرفته جيدا بهذا الجنس عندما قال : هم كثيرون لا يعلم عددهم إلا الله ، بالإضافة إلى إلصاقة التهم بهم ، ووصفهم بالبهائم ، فلو أنه كان من البربر لما وصفهم بهذا الوصف فنستبعد أن يكون بربريا ، أوروميا لأنه عندما سأله عن الروم قال : قد تركت الروم خلفك ، ولو أنه روميا لكان معه مايكفيه، يبقى الأخير ، وهو قوطى لأنه حذر عقبة من العبور إلى الأندلس ، لعلمه بقوة المسلمين أراد أن يجنب الأندلس تقدمهم نحوها [ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ص ٣٠٨ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٦ ، د/حسن مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ١٩٢]

(٢) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ١٩٩ .

(٣) ابن عذارى : مصدر سابق، جـ ١ ، ص ٢٩ .

عددا كبيرا ، ثم طاردهم جنوبا حتى وادى درعة التى بنى بها مسجدا (١) وتوغل فى بلاد صنهاجة "بلاد السوس" وكانوا على المجوسية ، حيث أطاعة أهلها دون صدام ، واستمر فى جهاده حتى وصل إلى مدينة أغمات (٢) حيث سكن هذه المدينة قبائل من بربر هوارة ، وهم نصارى لهم علاقة بالروم ، اعتصموا بمدينتهم ، ولم يخرجوا للقاء عقبة ، فضرب عليهم الحصار فنزلوا على حكمة بعد فترة قصيرة ، ثم توجه إلى وادى السوس الأقصى ، واستولى على عاصمتها بجلى (٣) وبنى به مسجدا ، ثم دخلت عدة قبائل أخرى فى الإسلام مثل جزولة ، وواصل عقبة زحفه حتى وصل إلى البحر المحيط "الأطلنطى" وكان ساحله آخر ما وصل إليه عقبة بن نافع، عندما رأى البحر أمامه فقرر العودة ، وقال "يارب لولا أن البحر منعنى لمضيت فى البلاد إلى ملك ذى القرنين مدافعا عن دينك مقاتلا من كفربك" (٤) أراد عقبة الرجوع إلى القيروان مارا بالمغرب الأوسط ، وفى أثناء عودته

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٧ .

(٢) **أغمات** : بفتح الألف ، وسكون الغين ، وفتح الميم .. هى مدينة كبيرة من مدن بلاد المغرب، وفى أقصاها قرب مراكش على مسافة أربعة وعشرين ميلا فى شمال جبل درن ، كانت عاصمة بلاد المغرب ، قبل مراكش ، وهى مدينتان متقابلتان سهليتان ، وتمتاز مدينة أغمات بخيراتها الكثيرة من زروع تضم حبوب، وفواكه ، وتعتبر هذه المدينة من أجمل بلاد المغرب ، حيث أصناف الخيرات الكثير ، بالإضافة إلى خظها الوافر فى خصب أرضها ، وكثرة النبات ، والأعشاب ، والمياه حولها ، بها جنات ، وبساتين ، وأشجار كبيرة حسنة المقام صحيحة الهواء ، بها الجوز ، والموز ، والنخل ، وقصب السكر ، والسمسم ، والعنب، يوصف أهلها بالجفاء والقسوة ، وعدم الرقة على الرغم من أنهم أغنياء لهم نخوة وإعتزاز [البكرى : المغرب ، ص ١٥٣ . ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٢٢٦ : ٢٦٧]

(٣) **بجلى** : هى قلعة حصينة فى بلاد المصامدة بالمغرب فى منطقة جبل درن [ياقوت : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٢٨٧ ، ٢٨٨]

(٤) ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٢٧ .

أخضع بعض القبائل ، ثم ترك واحدا من أصحابه لتعليم البربر أصول الإسلام (١)

فى هذه المنطقة لم يجد عقبة مقاومة جدية ، ولكنه عندما أراد دخول بلاد دكالة (٢) امتنعوا عليه فدعاهم إلى الإسلام ، فلم يجيبوا ، فقاتلهم ، وهزمهم فى معركة سميت "بمقبرة الشهداء" (٣) نظرا للعدد الكبير الذى قتل من أصحاب عقبة ثم توجه بعدها ، شمالا بغرب نحو ، وطنجة فوجد فيها قبائل من البربر فدعاهم إلى الإسلام ، ولكنهم أبوا عليه فحاربهم ، ثم سار بعد ذلك حتى وصل إلى بلاد الزاب (٤)

كان لهذه الإنتصارات الضخمة التى حققها عقبة على البربر أثرها فى ازدياد ثقته بنفسه إلى درجة كبيرة مما جعله يصرف القوات الموجودة معه فى طريق عودته إلى إفريقية فى غير حذر ، وسار عقبة فى طريق السهل المتوسط حتى وصل إلى جبال أوراس على رأس فرقة صغيرة ، ومن ناحية أخرى فقد عامل عقبة بن نافع شيخ قبيلة أوربة "كسيلة" عند بداية ولايته معاملة سيئة بعد أن عامله أبو المهاجر معاملة حسنه ، وأكرمه حتى نجح فى ضمه إلى الإسلام ، فنجد أن عقبة قد قبض عليه وأهانه (٥) وذلك أمام قومه من البربر الداخلين حديثا فى الإسلام ، مما نتج عنه غضبهم من تعرض زعيمهم لهذه الإهانة ، مما دفعهم إلى التفكير فىالثأر من عقبة ، وجيشه ، فى الوقت نفسه حذر أبو المهاجر عقبة من عاقبة المعاملة السيئة لكسيلة ، ولكن عقبة لم يضع فى اعتباره هذه النصيحة ، لكونه قائد عسكرى له خبرة كبيرة بالبربر ، فربما شك فى إسلام كسيلة ، **أو** أنه يتظاهر بالإسلام حتى يعرف

---

(١) ترك عقبة صاحبا له يدعى "شاكر" بن عبد الله الأزدى عند وادى تنسيفت بجوار مراكش ، بالمغرب وهو حاليا يعرف بسيدى شيكر أو سيد شاكر ، أو ثيكر [ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٧ . التادلى : التشوف إلى رجال التصوف ، ص ٢٦ .
د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٢٠٢ . د/ السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص٢٢٦]

(٢) **دكالة** : فتح أوله ، وتشديد ثانية ، بلد بالمغرب شمالى وادى نفيس بين وادى تنسيفت ووادى أم الربيع [ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٥٢٣ ، د/ سعد زغلول : مرجع سابق ، جـ١ ، ص ٢٠٢]

(٣) ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٢٨ .

(٤-٥) د/ سعد زغلول : مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ٢٠٢ .

الكثير عن المسلمين ، أو أنه ربما شك فى وجود علاقة ، أو ميل تجاه الروم حلفائه السابقين حتى يفقوا معه ضد المسلمين ، فقد أراد الروم الإنتقام من عقبة فاستغلوا الفرصة ، وسهلوا لكسيلة طريق الهرب إلى قبيلته ، فاستعد للإنتقام من عقبة ، وراسل بنى عمومته من هذه القبيلة ، وغيرها من قبائل البربر ، وكان عقبة يعرف ما يضمره له كسيلة من حقد ، وكراهية ، بسبب المعاملة التى لاقاها منه ، وفى طريق عودته أراد عقبة الإستيلاء على مدينة تهوذه (١) ولم يكن معه من أصحابه إلا عدد قليلا يقدر بحوالى ثلاثمائة من الصحابة والتابعين ، استشهدوا جميعا فى موقعة تهوذه ، ومعهم عقبة وأبو المهاجر دينار عام ٦٤هـ/٦٨٤م (٢) انظر الشكل رقم (٥)

ومن الجدير بالذكر أن الإنتصارات التى حققها عقبة قد أثارت حفيظة الروم مما جعلهم يساعدون البربر فى تكوين حلف مشترك بينهم للإيقاع بعقبة والتخلص منه (٣) من جانب آخر نجد أن عقبة قد سمح لرجاله بالإسراع إلى أهليم ، وذاريهم بعد ما أنجزوه من الأعمال فى تلك الحملة الكبرى التى استمرت أكثر من عام ، وخاصة عندما رأى أن الإستيلاء على مدينة تهوذه لا يتطلب منه إلا الإبقاء على بضع مئات من رجاله (٤) أما سبب هزيمة عقبة فيرجع إلى عدم الحذر حتى بعد الإنتصار ، مما مكن الروم البربر من إغتنام الفرصة للقضاء على عقبة ، وحمل الجيش الإسلامى على مغادرة القيروان(٥)

---

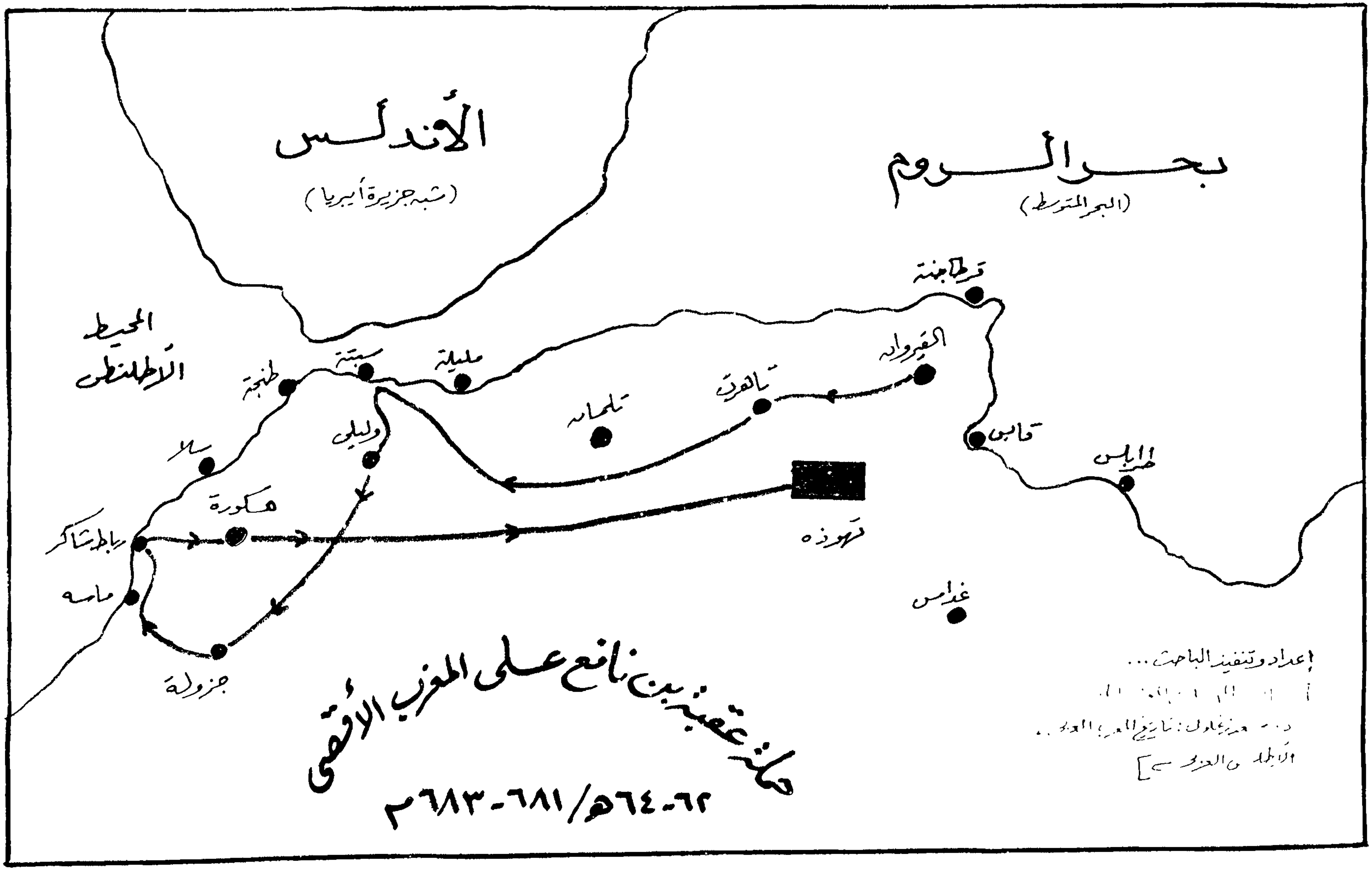
(١) **تهوذه** : بالفتح ثم الضم ، وسكون الواو ، والذال ، وقيل تهوذا بالألف اسم لقبيلة من البربر ، وهى مدينة قديمة بناحية إفريقية بنياتها بالحجارة ، لها أسواق كثيرة ، بها مساجد ، ويسكنها قوم من البربر لهم أرض تعرف بهم أهلها على مذهب أهل العراق ، فيها قبر عقبة بن نافع ، ولايزال هذا الموضوع يعرف اليوم بسيدى عقبة ، وهو عبارة عن واحة جميلة من النخيل بالقرب من مدينة بسكرة فى جنوب قسنطينة فى جبال أوراس ، وفى الجنوب الشرقى لمدينة طنجة [البكرى : المغرب ، ص ٧٢ : ٧٣ . ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ص ٢٨ : ٣٠. ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٥٧. د/ أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٤٤ . د/ محمد زيتون:القيروان ، ص ٤٥]

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ، جـ ١ ، ص ٢٥١ . الباجى : الخلاصة النقية ، ص ٦ .

(٣) على عبد السلام : عقبة بن نافع ، ص ١١ ، ٤١٢ .

(٤) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٢٠٤ .

(٥) د/ محمد زيتون : مرجع سابق ، ص ٤٦.



حملة عقبة بن نافع على المغرب الأقصى
٦٢-٦٤هـ/٦٨١-٦٨٣م

ويعرف الآن المكان الذى استشهد فيه عقبة عند تهوذه باسم "سيدى عقبة" وهذا الإسم هو الذى غلب مدينة تهوذه" ويعتبر قبره مزار لجميع المغاربة ، يفدون إليه من كل مكان لزيارته ،ويعتبر هذا المكان من أقدم نماذج العمارة الإسلامية (١)

هذا ولم تحقق حمله عقبة على بلاد السوس فىالمغرب كسبا حربى كبيرا ، إلا أنها مهدت الطريق ونبهت الأذهان لهذا الدين الجديد (٢)

بعد انتصار كسيلة زحف إلىالقيروان بعد أن اجتمعت إليه قبائل البربر من كل اتجاه ، وقد سبب مقتل عقبة على يد البربر الفوضى ، والإضطراب فى مدينة القيروان ، وكان عقبة قد ترك أت زهير بن قيس البلوى نائبا له على القيروان فلما علم بمقتل عقبة أراد أن يأخذ ثأره ، ويتصدى لقبائل البربر، وقائدهم كسيلة ، واستعد للدفاع عن مدينة القيروان ، ولكنه فشل فى إقناع المسلمين بالدفاع عن المدينة ، وانقسم المسلمون على أنفسهم ، فقد خالف زهير حنش بن عبد الله الصنعانى (٣) عندما قال (لا والله ما نقبل قولك ولا لك علينا ولاية ، ولاعمل أفضل من النجاه بهذه العصابة من المسلمين إلى مشرفهم ، (٤) ثم نادى فى الناس من أراد أن ينجوا بنفسه ، وبأهله منكم فليتبعنى إلى المشرق فاتبعوه إلا قليلا منهم فاضطر زهير إلى الإنسحاب إلى إقليم برقة منتظرا المدد من الخلفاء (٥)

زحف كسيلة بجنوده إلى القيروان ، وعندما وصل إليها فرمن كان بها إلا قليلا منهم خوفا على حياتهم ، وبذلك تمكن كسيلة من السيطرة على

---

(١) د/ سعد زغلول : *تاريخ المغرب العربى*، جـ ١ ، ص ٢٠٥.
(٢) أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٤٤ .
(٣) **حنش الصنعانى** : أبو رشيد حنش بن عبد الله السبائى الصنعانى ، ولد بصنعاء ، غزا المغرب مع رويفع بن ثابت ، شهد غزو الأندلس مع مرسى بن نصير ، تابعى روى عن جماعة من الصحابة منهم على بن أبى طالب ، وابن عباس ، سكن القيروان ، واختط بها مسجدا ودارا ينسب إليه الآن ، توفى بإفريقية سنة ١٠٠هـ / ٧١٩م [المالكى : رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ٧٨ ، ٩٧ . الجربى : مؤنس الأحبة ، ص ٣٤ . د/ زيتون : القيروان، ص ٤٧]
(٤) الناصرى السلاوى : الإستقصا ، جـ ١ ، ص ٧٤ . الباجى : الخلاصة النقية ، ص ٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٣١ .
(٥) ابن عذارى :المصدرالسابق ، جـ ١ ، ص ٣١.
الناصرى السلاوى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٧٥ . الباجى : مصدر سابق ، ص ٦ .

القيروان ، وأنشأ مملكة بربرية تشمل جبال أوراس ، والجزء الجنوبى من قسنطينة ، والجانب الأكبر من "تونس الحالية" (١)

انتهت ولاية عقبة الثانية من حيث بدأت ، حيث فقد المسلمون معظم الفتوحات التى تمت لهم فى إفريقية والمغرب ، بل أكثر من هذا فقد استشهد عقبة وأصحابه ، ودخل كسيلة القيروان فى شهر المحرم سنة ٦٤هـ/٦٨٣ (٢)

وبعد أن استقرت الأمور فى المشرق لعبد الملك بن مروان (٣) بدأ يمد بصره مرة أخرى إلى بلاد المغرب لاستردادها من أيدى البربر ، والأخذ بثأر عقبة بن نافع فاجتمع الرأى على تولية زهير بن قيس البلوى لماله من صحبة طويلة لعقبة ، ولأنه أعلم الناس بسيرته ، وأولاهم بطلب دمه (٤)

أمر عبد الملك بن مروان زهير بن قيس البلوى ، وهو مقيم ببرقة بالخروج إلى إفريقية لإسترداد القيروان ، ومن بها من المسلمين لكن زهير كان ينقصه كثير من الإستعددات والإمدادات ، وكان يعلم أن ما تحت يده لا يكفى لهذه المهمة فبعث إلى الخليفة بذلك وخصوصا أن لدى كسيلة كثيرا من الجنود ممن اجتمع من البربر والروم ، لذلك طلب زهير من عبد الملك إرسال المؤن اللازمة لهذه الحرب فأمده عبد الملك بالخيل ، والرجال والأموال (٥) وعندما علم كسيلة بهذه الإستعدادات التى يقوم بها زهير حشد له جيشا عظيما من الروم ، والبربر فكانوا أضعاف جيش زهير (٦)

---

(١) ابن عذارى :البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٣١ . دائر المعارف الإسلامية : جـ ٣ ، ص٥٠٤.
(٢) الناصرى السلاوى : الإستقصا ، جـ ١ ، ص ٧٥ .الباجى : مؤنس الأحبة ، ص ٦ .
(٣) **عبد الملك بن مروان ٦٥ - ٨٦هـ/٦٨٥ - ٧٠٦م ...**
عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية ، ولد فى المدينة سنة ٢٦هـ/٦٤٦م فى خلافة عثمان بن عفان ، قضى عبد الملك معظم حياته قبل أن يلى الخلافة فى المدينة لتلقى العلم ، اشتراك فى غزو إفريقية مع معاوية بن حديج فى عهد معاوبة بن أبى سفيان ، ولسنا بصدد سيرة عبد الملك ، ولكنه كان بارعا فى إدارة الدولة فى الخارج ، والداخل ، وصان حدود الدولة ، وتركها لأبنائه موطدة الأركان سليمة البنيان ، توفى عبد الملك فى النصف من شوال عام ٨٦هـ/٧٠٥م [السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٤٢ : ٢٦٠ سنة١٤٠٩هـ/١٩٨٩م بيروت . د/عبد الشافى عبد اللطيف : العالم الإسلامى فى العصر الأموى ، ص ١٤٦ : ١٥٦ ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٤م ، دار الوفاء للطباعة ، القاهرة]
(٤) ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٣١ .
(٥) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣١.
(٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ص ٣٠٨ =

لم يرد كسيلة لقاء زهير بالقيروان ، وأراد الخروج من المدينة ، حيث خشى من انضمام المسلمين الذين لهم عهود إلى جيش زهير ، وأفهم جنده أن هذا تكتيك عسكرى ، وهو فى الحقيقة كان يخشى المسلمين رغم كثرة أعداد جيشه حتى يغطى انسحابه من القيروان ، فرأى أن يختار مكان يكون قريبا من الجبل يسمى "ممس" (١) فإن كان النصر تعقبهم ، وطرذهم إلى طرابلس ، وإن هزم كان الجبل له مأوى يحميه فكان له نعم الملجأ (٢)

خرج كسيلة من القيروان ، ونزل بممس ، وتحص بها ، وعلى الجانب الآخر ، خرج زهير من برقة تجاه إفريقية فى سنة ٦٩هـ/٦٨٨م ، ونزل بجوار القيروان ، ولم يدخلها ، واستراح هو ورجاله ، ودوابه بعض الوقت استعدادا للمعركة الفاصلة ، ودارت المعركة بين الفريقين ، وبعد قتال شديد انهزم كسيلة ، وقتل أثناء المعركة (٣) وهرب الروم والبربر ، وتتبعهم جنود المسلمين ، وطاردوهم حتى وصلوا إلى وادى ملوية (٤) ثم عاد زهير إلى القيروان فنظم أحوالها ، وترك بها كثيرا من أصحابه ، ثم عاد إلى برقة مرة أخرى ، لأنه كان يخشى على نفسه من الملك ، عند ما وجده عظيما فى إفريقية، فخاف أن تجرفه الدنيا بزينتها ، وهو ما جاء إلى إفريقية إلا للجهاد فعندما انتهى من المهمة التى كلفه بها الخليفة قرر العودة إلى برقة ، وفى طريق عودته حاول صد الروم ، عندما كانوا يدخلون السبايا من نساء العرب فى مراكبهم فتوجه إليهم ، وحاول إرجاع من وقع من المسلمين فى أسرهم ،

=ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٣٢ .

(١) **ممس ، ممش ، سميس ، أو مسميس** : وهى تقع بين القيروان ، وتبسا ، وهى على مسيرة يوم من القيروان، ويتوفر بها الماء [عبيد الله صالح : نص جديد عن فتح العرب للمغرب ، ص ٢٢١. د/سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٢٠٩ : ٢١٠ . د/السيد سالم : تاريخ المسلمين وأثرهم فى الأندلس ، ص ٤١]

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ص ٣٠٩ .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٠٩ ، ٣١٠ .
– ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٣٣ .

(٤) **وادى ملوية** : من أنهار المغرب الأقصى ، ينبع من الجبال الجنوبية ، فيما وراء تازا ، ويخترق مكناسة ، ويصب فى البحر المتوسط ، قرب جراوة [ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٨]

لكن الروم تكاثروا على زهير ، وأصحابه ، فاستشهدوا عن آخرهم (١) وما تزال قبورهم معروفة ، وتدعى قبورا الشهداء (٢)

حزن الخليفة عبد الملك بن مروان لمقتل زهير وأصحابه ، وبدأ يفكر فى والى جديد ، يبدأ به مرحلة جديدة من الفتوحات فى بلاد المغرب.

حسان بن النعمان ودوره فى الفتوحات ٧٣هـ/٦٩٢م

اختار عبد الملك بن مروان بعد مقتل زهير ، حسان بن النعمان عام ٧٣هـ/٦٩٢م على الراجح ، واليا على إفريقية وكان يلقب بالشيخ الأمين (٣) وجهز له الخليفة جيشا كبيرا يقدر بنحو أربعين ألف رجل (٤) وانضم إليه بطرابلس من كان هناك من العرب.، وقد أطلق عبد الملك يد حسان فى أموال مصر لإعداد الجيش إعدادا قويا يستطيع به أن يتقدم إلى بلاد إفريقية ، لمقاتلة الروم والبربر ، فاتجه إلى القيروان. وبدأ يعد نفسه لحرب البربر والروم.

بدأ حسان نشاطه بمحاصرة الروم فى قرطاجنة عاصمة إفريقية القديمة الحصينة وكان بها مجموعة كبيرة من الروم حاولت الفرار فى المراكب إلى جزائر البحر ، وخاصة تجاه صقلية القريبة ، نظرا لشدة وطأه العرب عليهم حتى فقدوا الأمل فى الصمود ، فتمكن حسان من دخول المدينة عنوة ، فسبى

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ص ٣١٠ . ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٣٣ .
- الباجى : الخلاصة النقية ، ص ١٠ .

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٧٠ ، تقع قبور الشهداء فى مدينة درنه ، ومازال تحى ذكرى اسشهاد زهير وأصحابه [د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص٢١٣]

(٣) **حسان بن النعمان** : حسان بن النعمان بن عدى بن بكر بن مغيث بن عمرو بن مرقيا بن عامر بن الأزد ، اختلف فى توقيت دخوله المغرب ، فرأى يقول : إنه دخل المغرب عام ٦٩هـ/٦٨٩م أى مكان مقتل زهير ، ورأى آخر يقول إنه دخل المغرب عام ٧٨هـ/٦٨٩م [ابن الأثير : مصدر سابق ، جـ ٤ ، ص ٣١ . ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص٣٤، الناصرى السلاوى:الإستقصا ، جـ ١ ، ص ٨٢] أما سبب تلقبه "بالشيخ الأمين" ، فيبدو أنه كان من رجال بنى أمية المقربين الموثوق فيهم ، وأدى واجبه بصدق ، وإخلاص ، وأمانه ، مما جعله جديرا بهذا اللقب [د/حسين مؤنس فتح العرب للمغرب ، ص ٢٣٦ . د/ محمد زيتون : المسلمون فى المغرب والأندلس ، جـ ١ ، ص ٦١ ، سنة ١٩٨٣م ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، مصر]

(٤) ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٣٤ .

وقتل منهم كثيرا ، وهدم من المدينة ما استطاع أن يهدمه (١) وخاصة الأسوار التى كانت فى ذلك الوقت أكثر الموانع صعوبة فى إقتحامها.

ترك حسان قرطاجنة ، واتجه إلى سطفورة (٢) ، وبنزرت (٣) وعندما علم بتجمع عدد كبيرمن الروم ، وبعض قبائل البربر ، وتوجه إليهم وأنزل بهم الهزيمة وقتل منهم الكثير ، حتى لجأ الروم إلى مدينة إلى مدينة باجة (٤) مار بين وتحصن البربر فى بونه (٥) وأخذ حسان يوجه سراياه فى كل أنحاء أفريقية ثم عاد إلى القيروان لتضديد جراح الجنود ولإصلاح شئون أصحابه(٦)

كان النجاح الذى حققه حسان بالإستيلاء على قرطاجنة عام ٧٤هـ/٦٩٣م دافعا له لكى يواصل بسط نفوذه ، ويقضى على أى مقاومة من جانب البربر بعد أن أضعف مقاومة الروم ، وقد كانت المقاومة البربرية تتمثل فى قبائل من البربر البتر "البدو" التى سكنت جبال أوراس ، وكانت تحكمهم أمرأة تدعى "الكاهنة" وسأل حسان عنها فذكروا له "إن جميع من

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ص ٣١ .

(٢) **سطفورة أو صطفورة** : هى مدينة تقع على ساحل البحر المتوسط ، لها ثلاث مدائن ، أقربهم إلى تونس ، مدينة أنبلونه ، ومتيجة [ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٥ . الباجى : الخلاصة النقية ، ص ١٠]

(٣) **بنزرت** : تقع على البحر ، خصبة الأرض ، بها ثمار كثيرة ، أصغر من سوسه ، أهلها ذو بأس فى البر والبحر ، [ابن حوقل : مصدر سابق ، ص ٧٥ ، ٧٦]

(٤) **باجة** : بفتح الباء وتخفيف الجيم وهى من مدن إفريقية تقع على جبل يسمى عين الشمس على مسيرة يوم من البحر المتوسط ، بينها وبين مدينة القيروان خمس مراحل ، وعلى مسافة خمسة وعشرين ميلا من البحر ، وحوالى ثمانين ميلا من مدينة تونس ، أمطارها كثيرة، والتى أدت إلى كثرة القمح حتى تعرف "بباجة القمح" ، أما التجارة فهى من بين المدن التجارة الهامة ، يرد إليها كل يوم ألاف من الإبل ، والدواب لتنقل منها البضائع المختلفة، وأسعارها ثابتة ، لكثرة سلعها ، وبها بساتين ، وعيون ، وماء عذب صالح للزراعة ، وهى مدينة حصينة وذات أسوار [البكرى : المغرب ، ص ٥٦ . ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٣١٤]

(٥) **بونه** : بضم الباء ، وسكون الواو ، وتعتبر هى أول سلطنة إفريقية ، وآخر سلطنة بجاية تقع على بحر الروم "البحر المتوسط" ، ليست بالصغيرة ، ولا الكبيرة ، ذات أسوار متينه ، غنية بالأسواق الحسنة ، والتجارة الكثيرة ، بها فواكه معظمها من باديتها ، وبساتين جميلة ، وبها معادن كالحديد ، أما أهلها فيعملون بتجارة الأصواف ، والأغنام ، والماشية. [ياقوت : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٥١٢ . البكرى : مصدر سابق، ص ٥٤ . ابن حوقل : مصدر سابق ، ص ٧٧]

(٦) ابن الأثير : مصدر سابق ، جـ ٤ ، ص ٣١ . ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص٣٥.

بأفريقية منها خائفون ، وجميع البربر لها مطيعون ، فإن قتلتها دان لك المغرب كله ولم يبق لك مضاد ولا معاند" (١)

عندما تم شفاء جنود حسان مما قد أصابهم من الجراح ، وأصلح أحوالهم لم يتردد فى الخروج مرة ثانية إلى البربر الذين تجمعوا حول زعيمتهم الكاهنة ، فلما اقترب المسلمون توجهت إلى حصن باغاية ، وأخرجت من كان فيه من الروم ، وخربته ظنا منها أن حسان يريد أن يستولى على الحصون ، ويعتصم به ، أما حسان فنزل بجنوده فى وادى مسيكيانه أنه المعروف بوادى العذارى نظرا لمقتل زهرة شباب العرب فيه.(٢)

التقى الفريقان على نهر نينى (٣) وكثر القتل ، وانهزم المسلمون ، وأسر منهم ثمانون رجلا أطلقت سراحهم الكاهنة إلا واحدا ، وهو خالد بن يزيد القيسى (٤) الذى تبنته واتخذته مستشارا لها وتراجع حسان إلى منطقة الجريد(٥) ولكن رجالها تتبعه حتى تجاوزت فلول المسلمين مدينة قابس فتوجه حسان خلف مدينة طرابلس ، حيث استقربه المقام فى هذه المنطقة ، وبنى بها قصورا تسمى "قصور حسان" (٦) إنظر الشكل رقم (٦).

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٣٥ .

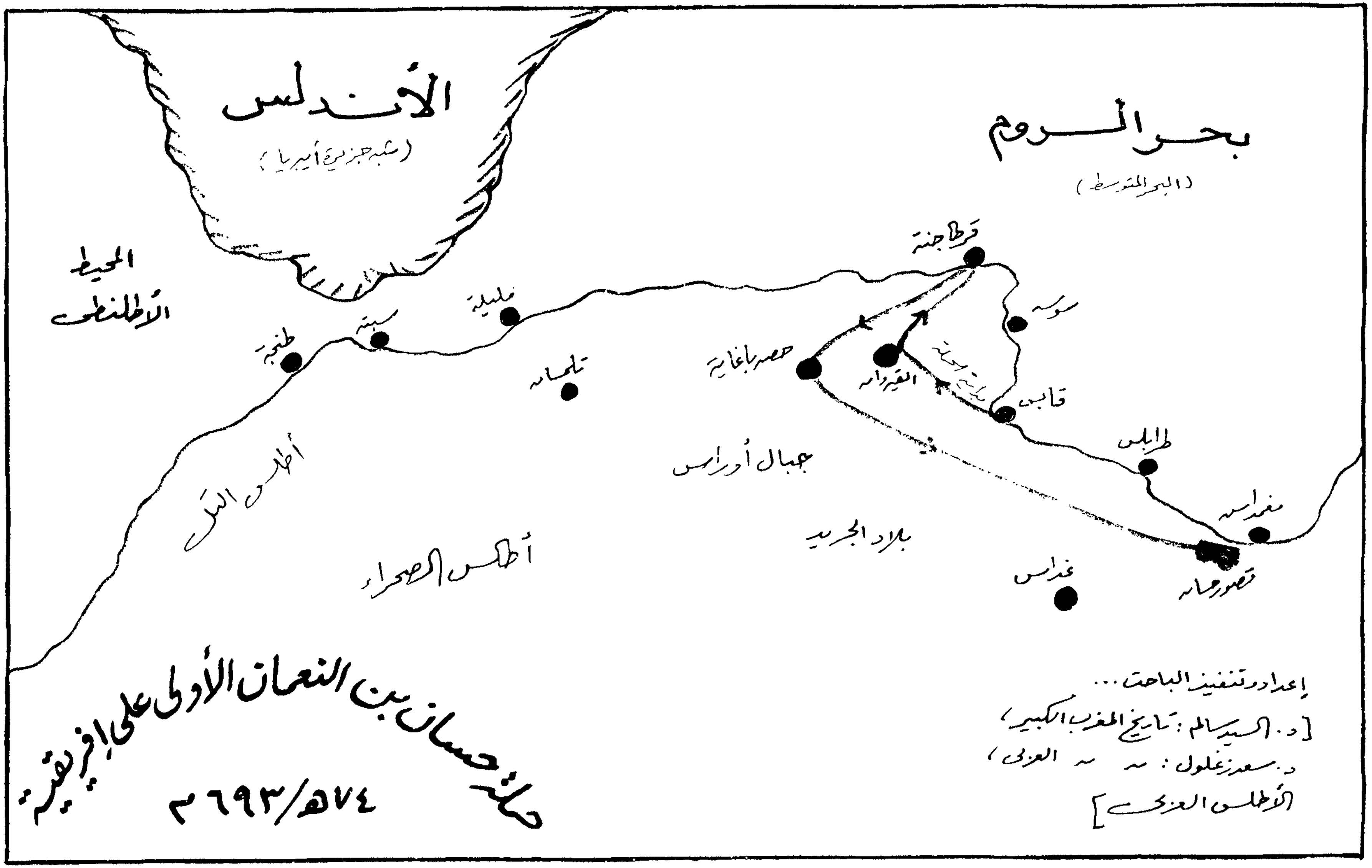
(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٦ . ابن خلدون : العبر ، جـ ٦ ، ص ٢١٨ .
- الرقيق : تاريخ إفريقية المغرب ، ص ٥٧ ، طبعة الكويت ، سنة ١٩٦٠م ، الكويت .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ص ٣٢ .

(٤) ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص . ٣٧ . ابن الأثير: مصدر سابق ، جـ ٤ ، ص٣٢ وقد اختار الكاهنة خالد مستشارا لها من بين ثمانين رجلا من أصحاب حسان ، لما رأت فيه من الشجاعة ، والجمال فجعلته أخا لولديها ، عندما أحست بنهايتها ، فأرادت أن لا يلقى والديها نفس المصير ، على الجانب الأخر نجد أن حسان قد عهد إلى ولديها بقياه قواته البربرية ، وأوكل بهما من يحفظها ، وقدم خالدا على أعنه الخيل [ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ ١، ص ٣٨]

(٥) البكرى : المغرب ، ص ٤٧ ، ٤٨ . ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٢ .

(٦) ابن الأثير : مصدر سابق ، جـ ٤ ، ص ٣٢ . ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص٣٦. الرقيق القيروانى : مصدر سابق ، ص ٥٦ . د/ محمد زيتون : المسلمون فىالمغرب والأندلس ، جـ ١ ، ص ٥٤ . "بالتحديد فى منطقة برقة" . د/ أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب بالأندلس ، ص ٤٦ .



حملة حسان بن النعمان الأولى على إفريقية
٧٤هـ/٦٩٣م

إعداد وتنفيذ الباحث...
[د. السيد سالم: تاريخ المغرب الكبير،
د. سعد زغلول: ” ” العربي،
الأطلس العربي]

ظل حسان مقيما فى برقة ينتظر الإمدادات ، فكتب إلى الخليفة عبدالملك يعلمه بالأمر ، فسير إليه الخليفة أموالا كثيرة ، وجيشا ضخما قدر بأربعين ألف مقاتل بعد إنضمام فرسان العرب فىالمغرب إلى جيشه (١)

من ناحية أخرى لم تتعرض الكاهنة لمدينة القيروان بأى سوء ، لم تدخلها وإنما رجعت إلى منطقة جبال أوراس ، وأكثر من هذا ، فإنها أحسنت لأسرى المسلمين ،وأعادتهم إلى حسان مرة أخرى (٢)

ملكت الكاهنة بلاد المغرب بعد أن هزمت حسان حوالى خمس سنوات(٣) وفى هذه الفترة ، أيقنت أن العرب راجعون مرة أخرى ، اعتقادا منها أنها يسعون وراء المدن ، حيث الذهب ، والفضة ، فرأت أن تخرب هذه المدن ، وتهدم الحصون ، فوجهت قومها إلى كل مكان يقطعون الشجر ، يدمرون كل شئ أمامهم حتى المدن ، والضياع من طرابلس إلى طنجة ، وهى مدن متصلة بعضها ببعض ، فتم تخريب هذه المدن من بلاد المغرب على يد الكاهنة (٤) التى ارتكبت خطا كبيرا عندما أساءت السيرة فى أهلها (٥) وظلمتهم ظلما كبيرا (٦) مما جعل الكثير من أنصارها يثورون عليها، ويتصلون بحسان ، لينقذهم منها ، من ناحية أخرى كان حسان على معرفة بأخبار الكاهنة عن طريق خالد بن يزيد القيسى الذى انتهز فرصة عناية

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٣٧ .
(٢) الناصرى السلاوى : الإستقصا ، جـ ١ ، ص ٨٣ .
(٣) ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٣٦.
- الناصرى السلاوى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٨٣ .
(٤) الناصرى السلاوى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٨٣ .
(٥) ارتكبت الكاهنة خطأ أدى إلى تفريق البربر من حولها بعد أن كان يلتفون حولها ، ظنت الكاهنة خطا أن العرب ما قدموا إلى هذه البلاد إلا للذهب والفضة ، والاستيلاء على الحصون [ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ص ٣٢]
(٦) من مظاهر ظلم الكاهنة لأهلها ، **التخريب** بصفة عامة ، وبصفة خاصة هدم الحصون ، وتدمير المدن ، وتقطيع الشجر ، بالإضافة إلى تدمير المراعى ، مما جعل البربر يستغيثون بحسان مما نزل بهم من الكاهنة ، وقد أدت سياسة الكاهنة هذه إلى فرار كثير من البربر من بلادهم إلى صقلية ، وايطاليا بينما حاول البعض الدفاع عن أرضه مستنجدا بالقائد العربى ، حسان بن النعمان الذى كان يراقب هذا الصراع عن قرب ، وسرة بطبيعة الحال هذا الصراع الذى من شأنه اضعاف قوة البربر [ابن الأثير : مصدر سابق ، جـ ٤ ، ص ٣٢ . د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٢٢ . د/ أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٤٦]

وبذلك قضى حسان على المقاومة البربرية فى المغرب الأدنى ، واستقام أمر البلاد ، وحسن اسلام أهلها ، ثم توجه حسان للقضاء على المقاومة الباقية من الحكم الرومانى فىالمنطقة (١) فقد انتهزوا فرصة هزيمة المسلمين ، وانتصار الكاهنة على حسان فىالبداية ، وأعادوا سيطرتهم على عاصمتهم "قرطاجنة" عندما أرسلوا حملة عن طريق البحر بقيادة يوحنا سنة٧٨هـ/٦٩٧م وأطلقوا يدهم فى المدينة بالسلب ، والنهب (٢)

اتجه حسان إلى قرطاجنة بعد النصر على الكاهنة فى جيش كبير مكون من العرب ، والبربر ثم ضرب الحصار على المدينة التى لم تستطع الصمود أمام هذا الحصار ، مما جعل الروم يسرعون بالهرب إلى سفنهم، ولاحظ حسان أن هذه المدينة أصبحت تشكل خطرا دائما على الفتح العربى ، فرأى ضرورة التخلص منها فأمر بتخريب عمرانها حتى صات كأمس الغابر(٣)

بعد أن استقر العرب فى المغرب الأدنى ، واستردوا إفريقية ، وقضوا على مقاومة البربر والروم ، وإستيلائهم على قرطاجنة ، رأى حسان أن يقيم مدينة بديلة تقع على ساحل البحر ، فاستشار الخليفة عبد الملك بن مروان الذى رأى أن تساهم مصر فى بناء هذه المدينة ، وخصوصا من الناحية البحرية ، لأن مصر كان لديها خبرة طويلة ، ومعرفة بصناعة السفن فى ذلك الوقت. أما البربر فقد ساهموا فى بناء السفن وجلب الأدوات اللازمة لذلك كالخشب الذى يكثر فى مناطق الغابات المنتشرة بالجبال.

اختار حسان مكان لم يكن مأهولا بجوار قرية عرفت باسم ترشيش (٤) ليكون مقرا للمدينة المقترحة الجديدة ، وكان للخليفة دور كبير فى نشأة هذه المدينة فقد كتب الخليفة إلى حسان يأمره أن يبنى دار للصناعة تكون درعا يحمى المسلمين ، ثم أرسل ألف أسرة قبطية من مصر عندما كان أخوه

---

(١) د/ على الخربوطلى : البحر المتوسط بحيرة عربية ، سلسلة ، إقرأ ٢٤٧ ، سنة ١٩٦٣ ، دار المعارف ، القاهرة .
(٢) البكرى : المغرب ، ص ٣٧ ، ٣٨ .
(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٣٥ ، ٣٨.
(٤) البكرى : مصدر سابق ، ص ٣٨ .

عبد العزيز بن مروان واليا لمصر ، لتقوم بعمارة المدينة ، ولم تزل معمورة من يومئذ يغزو منها المسلمون الروم ، وقد أنفرد البكرى بتفصلات كثيرة عن هذه المدينة (١)

حاول حسان أن ينظم بيته من الداخل ، فاهتم باصلاح المنشآت والمبانى، ووجه عناية خاصة لتعمير مدينة القيروان التى استقر بها لتكون عاصمة للمسلمين ، فبدأ تجديد المسجد الجامع ، ثم أخذ فى البناء والعمران حتى اتسعت المدينة وساد الأمن ، والإستقرار بين الناس.

كما اهتم بالأعمال الإدارية فدون الدواوين ، وفرض الجزية على نصارى البربر (٢) وكان معظمهم من بربر الشمال "البرانس" ، وأقلهم من بربر الجنوب "البتر" وكذلك على عجم إفريقية "الروم" (٣)

كان لحسان الفضل فى انتشار الإسلام بصورة كبيرة بين البربر ، فقد أرسل عماله إلى جميع بلاد المغرب للقيام بهذه المهمة ، فأرسل الدعاة، والفقهاء إلى المناطق التى تجمع فيها البربر ، لتعليم مبادئ الدين ، والقرآن ، مما أدى إلى نشر قواعد اللغة العربية ، والعادات ، والتقاليد العربية حتى صار أكثر جند حسان التى يعتمد عليها من البربر (٤)

وكان من أهم أعمال حسان بناء مدينة تونس ، فقد رأى بعد تخريب مدينة قرطاجنة واستقرار البلاد له ، أن يبنى مدينة تطل على بلاد البربر بحيث تكون بوابتها إلى العالم الخارجى ، وتشرف على مدخل قرطاجنة ، فكانت مدينة تونس (٥) ورجع حسان إلى القيروان بعد أن استقام أمره ، لا يغزو أحدا ،

---

(١) البكرى : المغرب ، ص ٣٨ ، ٣٩ .
(٢) الناصرى السلاوى : الإستقصا ، جـ ١ ، ص ٨٤ .
(٣) البكرى : مصدر سابق ، ص ٣٨ .
(٤) د/ السيد سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ٤٥ .
(٥) **تونس** : بضم التاء ، وسكون الواو ، وبضم النون ، ويجوز فتح النون ، أوكسرها ، تقع على ساحل إفريقية بينها وبين قرطاجنة ميلين ، وعلى بعد ثلاثة أيام من قابس ، وبينها وبين مدينة القيروان حوالى مائة ميل ، ويحيط بها سور ضخم قديم البناء ، وتسمى "ترشيش" ، ويزرع بها غلات مثل القطن ، وبها ماشية كثيرة لها أسواق ، ومتاجر ، وحمامات ، وفنادق ، وبها جامع تونس رفيع البناء ، ومطل على البحر ، ودارا للصناعة ، عرفت المدينة بدور العلم،=

ولاينازعه أحد (١) ، بهذا يكون حسان بن النعمان قد رسم خريطة جديدة لسكان بلاد المغرب ، فقد حولها إلى ولاية إسلامية عربية تتمتع بالحكم الذاتى عن والى مصر ، حيث وضع النظم الإدارية ، ونشر العمران فى هذه البلاد ، ولكن المنافسة من جانب والى مصر "عبد العزيز بن مروان" أخو الخليفة لحسان ، أدت إلى حدوث نزاع بينهما ، عندما أخذ جميع ما معه من هدايا ، وأمتعة كان يحملها إلى الخليفة فى دمشق ، فلما وصل شكاله مما فعله عبد العزيز به، ثم أهدى حسان للخليفة الذهب ، والفضة ، والجواهر ، والياقوت ، التى كان قد أخفاها عن والى مصر (٢) وقد حاول الخليفة رده إلى عمله ، لكن حسان قال "لا أولى لبنى أميه أبدا" (٣) ثم كانت وفاة حسان بعد عودته بفترة قصيرة إلى المشرق (٤) وقد تميزت فترة حكم حسان بازدياد عدد البربر الذين دخلوا فى الإسلام ، وانتشاره فى معظم أنحاء بلاد المغرب ـ يتضح هذا من قول حسان للوليد بن عبد الملك "إنما خرجت مجاهدا فى سبيل الله" (٥)

من ناحية أخرى سادت حالة من الإستقرار ، والهدوء معظم بلاد البربر ، بعد فترات طويلة من الحروب والإضطراب مع قبائل البربر المعروف عنها شدة البأس ، وصعوبة المراس فى الدفاع عن وطنها ، مما أدى إلى القضاء على ومقاومتهم ،وضعف أمل الروم فى استعادة المناطق التى كانوا يضعون أيديهم عليها مرة أخرى ، بعد دخول الكثير من البربر فى الإسلام ، واختلاطهم بالعرب ، مما كان له أثره فى انتشار الإسلام فى بلاد المغرب.

=وهى من أصح بلاد إفريقية هواء [ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٧٠ ، ٧١ . ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٥ . البكرى : المغرب ، ص ٣٧ ، ٤٠]

(١) الناصرى السلاوى : الإستقصا ، جـ ١ ، ص ٨٣ . ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٣٨ . ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ص ٣٢ .

(٢-٣) ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٣٨ .

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٢٠٣

(٥) ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٣٩ .

الفصل الثاني

أحوال البربر السياسية في عصر ولاة بني أمية

- ولاية موسى بن نصير ودوره في الفتح.
- ولاية محمد بن يزيد القرشي.
- ولاية اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر.
- ولاية يزيد بن أبي مسلم.
- ولاية بشر بن صفوان الكلبي.
- عبيدة بن عبد الرحمن السلمي.
- عبيد الله بن الحبحاب.
- كلثوم بن عياض القشيري.
- حنظلة بن صفوان الكلبي.
- عبد الرحمن بن حبيب الفهري.

الفصل الثانى

أحوال البربر السياسية فى عصر ولاة بنى أمية

ولاية موسى بن نصير ودوره فى الفتح ٨٦هـ/٧٠٥م:

تولى موسى بن نصير(١) مقاليد الأمور فى إفريقية بعد حسان بن النعمان سنه ٨٦ هـ/٧٠٥م (٢) من قبل والى مصر عبد العزيز بن مروان.

وقد إستاء الخليفة عبدالملك بن مروان من تعيين موسى بن نصير ، وأنكر ذلك على أخيه عبدالعزيز ، وهم بعزل موسى لسوء رأيه فيه ، بسبب اتهام موسى بسوء إدارة أموال البصرة ، لكنه رأى ألا ينقض ما فعله أخيه حتى لا تضيع هيبة الخلافة ، فالخليفة لابد أن يكون واسع الصدر عالى التفكير لمثل هذه الاشياء ، فأقر موسى بن نصير على إفريقية التى دخلها عام ٨٦ هـ/ ٧٠٥م وتسلم مقاليد الأمور بها (٣) واستهل موسى بن نصير إدارته للمغرب بخطبة وضح فيها السياسة التى سوف يتبعها جاء فيها "**أيها الناس ، إنما كان قبلى على إفريقية أحد رجلين : رجل مسلم يحب العافية ، ويرضى**

---

(١) **موسى بن نصير**: هناك إختلاف فى أصله،يقول البعض إنه من لخم ، والبعض الآخر يقول إنه بلوى ، أو من بكر بن وائل [البلاذرى:فتوح البلدان ، ص ٢٧٢. ابن عذارى : البيان المغرب،جـ ١ ، ص٣٩ • الباجى: الخلاصه النقية ، ص ١١، ١٢] كان والده نصير قائد حرس معاويه بن أبى سفيان ، وهو أمير على الشام ، أما موسى فقد شغل عدة وظائف هامه فى الشرق ، آخرها مستشار بشر بن مروان والى البصرة ، أخو الخليفة عبدالملك ، وقد أتهم بسوء إدارة أموال البصره ، وأراد الخليفة قتله ، لكن موسى بن نصير لجأ إلى أخى الخليفة عبدالعزيز بن مروان ، واستنجد به ، فتدخل وافتداه عبدالعزيز عامل مصر بمال ، وأجاره حتى ولاه على إفريقية والمغرب [ابن الأثير: الكامل ، جـ ٤ ، ص١١٢ . ابن عذارى: مصدر سابق ، جـ١،ص٣٩: ٤٠ . الناصرى السلاوى : الإستقصا ، جـ١ ص٨٥ . الباجى : مصدر سابق ، ص١٢ . د/ السيد سالم : تاريخ المسلمين فى المغرب والأندلس ص٤٥ :٤٦. اقبال موسى : الحسبة فى المغرب ، ص١٩ رساله ماجستير ، بآداب عين شمس، رقم ٩٦٤ ل م – ٣٦٨]

(٢) ابن الأثير : مصدر سابق ، جـ٤ ، ص١١٢ . إقبال موسى ، مرجع سابق ، ص١٩ . د / السيد سالم : مرجع سابق ، ص٤٥ . [يورد ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ١ ، ص٤٦ أنه ولى على المغرب والأندلس سنه ٨٨هـ /٧٠٧م ، أما ابن خياط يورد فى تاريخه ص٣٠٢. والبلاذرى فى فتوح البلدان، ص٢٧٢ .أنه ولى على المغرب سنه ٨٩هـ /٧٠٨ م]

(٣) ابن الأثير : مصدر سابق ، جـ ٤ ، ص٣٣.
الناصرى السلاوى : مصدر سابق ، ص٨٥.

بالدون من العطية ، أو رجل ضعيف العقيدة قليل الخبرة ، ليس أخو الحرب، إلامن اكتمل السهر ، وأحسن النظر ، وخاض الغمر ، ولم يرضى بالدون من المغنم ، لينجو ويسلم ، ويبلغ النفس عذرها فى خرق يريده ، ولاعنف يقاسيه متوكلا فى حزن جازما فى عزمه متزايدا فى عمله" بالإضافة إلى أخذه بنظام الشورى من أهل التجربة ، والحكمة لبيان ، وتدعيم رأيه حتى إذا انتصر لم تأخذه نشوه النصر وينسى الحذر ، وإذا انهزم أظهر قوة إيمانه وصبره ، فلا يكون جبانا ، ولا متخاذلا ، وإنما يكون من الذين يرجون حسن العاقبة من الله. **"وبعد فإن كل من كان قبلى كان يعمد إلى العدو الأقصى ، ويترك عدوا منه أدنى ، ينتهز منه الفرصة ، ويدل منه على العورة ، ويكون عونا عليه عند النكبة ، وأيم الله لا أريم هذه القلاع ، والجبال الممتنعة حتى يضع الله أرفعها ، ويذل أمنعها ، ويفتحها على المسلمين بعضها ، أو جميعها ، أو يحكم الله لى وهو خير الحاكمين"** (١)

استهل موسى بن نصير عمله فى المغرب بإتمام فتح ما تبقى من بلاد، فرأى أولا تأمين مدينة القيروان ، وربطها بإقليم الزاب ، وكسب ود أهل هذا الإقليم ، وضمه إليه لأن الروم جعلوا هذه المنطقة نقطة هامة لإيقاف أى تقدم للمسلمين إلى سائر مناطق شمال إفريقية ،سواء كانت قريبة أو بعيدة.

ومن الجدير بالذكر أن موسى بن نصير بدأ فى نشاط الحربى، والعسكرى فى المغرب الأوسط ، والأقصى ، بإرسال جيش لفتح قلعة زغوان وما يجاورها (٢) هذا ونجد معظم المؤرخين لا يتكلمون إلا عن أعداد خالية

---

(١) النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٤ / ٣٩ ، سنة ١٩٣٨ ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، مصر.
- ابن قتيبة : الإمامة السياسة ، جـ ٢ ، ص ٩٩ ، تحقيق محمد محمود الرافعى ، سنه١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م ، مطبعة النيل ، مصر.

(٢) **زغوان** : بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، وآخره نون ، قلعة على جبل عال جدا فى إفريقية بالقرب من تونس وعل مسيرة يوم من القيروان ، تقصد إليه المراكب فى ظهر البحر لعلوه وإرتفاعه من الجو. [ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ١٤٤ . د/سعد زغلول: تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٢٤١] كان يسكن هذه المدينة قوما من البربر ، حاربهم موسى بن نصير حتى هزمهم ، وسبى منهم كثيرا ، فكان أول سبى يدخل القيروان فى ولاية موسى بن نصير [ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ص ٤٠ . د/ حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٥٢ . د/ سيد سالم: تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢، ص ٢٥٣]

من السبى والأسرى قد تصل فى بعض الأحيان إلى مائة ألف رأس ، كالتى أتى بها عبد الملك بن موسى بن نصير (١) من حملته على السوس الأقصى بالإضافة إلى حملة عبدالله بن موسى بن نصير(٢) أكبر أبنائه على طنبة فأتى بمائة ألف من السبايا أيضا ، فسارع موسى ، وأخرج خمس هذه الغنائم والتى قدرت بستين ألف من السبى (٣) معنى هذا أن غنائم موسى قد بلغت حوالى ثلاثمائة ألف من الغنائم ، وليس لدينا إلا أرقام ما بلغت حملتا ابنيه عبد اللـه ، ومروان ، والواضح أن هذا الخمس هو جملة ما غنمه موسى من جميع فتوحاته فى المغرب الأوسط ، والأقصى.

على ضوء هذا كتب موسى بن نصير إلى عبدالعزيز بن مروان يبشره بأول فتح له ، وبدوره اتصل عبدالعزيز بأخيه عبدالملك بن مروان يهنئه بما فعله موسى حتى يغير رأيه فيه (٤) اتبع موسى بن نصير لأول مرة فى هذه الحملات نظام المراقبة الدائمة للقبائل البربرية التى قد تأثرت بدسائس الروم ، وكان يغزو بنفسه ، مما أدى إلى استتباب النظام بإفريقية ، و بلاد الزاب ، وأصبحت لأول مرة تنعم بالأمن ، والطمأنينة بعيدا عن دسائس الروم (٥) واصل موسى بن نصير فتوحاته ، واستولى على مجموعة من القبائل البربرية مثل هوارة وزناتة وكتامة فقد أغار على هوارة وزناتة وقتل منهم عدوا ، وأرغمهم على الصلح ،أما كتامة فقد قدمت على موسى وطلبت الصلح فصالحها.

---

(١) **عبد الملك بن موسى بن نصير** : ولاه والده مدينة طنجة والسوس الاقصى عام ٨٩هـ / ٧٠٨م ، وقتل عام ١٠٢ هـ /٧٢١م ، وذلك أثر إتهامه فى مقتل يزيد بن أبى مسلم ، وذلك فى ولاية بشر بن صفوان [تاريخ ابن خياط : ، ص٣٠٢ . ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ١ ، ص٣٧ . د/سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ١ ، ص٢٦٠]

(٢) **عبدالله بن موسى بن نصير** : الأبن الأكبر لموسى ، تولى إفريقية سنه ٩٥م/٧١٢م فى عهد والده ثم قتل ، سنه ٩٧ هـ / ٧١٤م ، فى ولاية محمد بن يزيد القرشى [ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ١ ص٤٤: ٤٧ . د/ حسين مؤنس : ثوارت البربر فى إفريقية والأندلس ، ص١٤٣: ١٤٤ ، مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد الأول ، المجلد العاشر ، الجزء الأول مايو، سنة١٩٤٨م.

(٣) ابن أبى دينار : المؤنس ، ص٣٢ . ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ص١١٢ . د/السيد سالم : مرجع سابق ، جـ٢ ، ص ٢٥٤ : ٢٥٣ . د/محمد زيتون : القيروان ، ص١٠٣ .

(٤) د/ السيد سالم : مرجع سابق ، جـ٢ ، ص٢٥٤.

(٥) ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ١ ، ص٤٠.

وولى عليها واحدا منها (١) ولكى يأمن جانبهم ، فقد استطاع أن يأخذ رهائن من خيارهم (٢) بهذا تكون قد قربت السيادة لموسى بن نصير على المغرب الأوسط بعد أن غزا صنهاجه (٣) بستة الآف من جنوده منهم ألفان من البربر، والباقى من العرب ، وعلى غفله من أهلها هاجمها ، وقتل منهم عددا لا يحصى ، ثم رجع عائدا إلى القيروان (٤)

ثم ما لبثت قبيلة كتامة أن شقت عصا الطاعة ، وفر رهائنها من بين يدى موسى ، بحجة أنهم خارجون للإصطياد ، فأرسل فى طلبهم ، وأتى بهم، وأراد أن يصلبهم ، فقالوا لا تعجل أيها الأمير ، لا تقتلنا حتى يتبين أمرنا ، فإن اباءنا وقومنا لم يكونوا ليدخلوا فى خلاف أبدا ، ونحن فى يديك ، وأنت على البيان ، فوضع الحديد فى أيديهم وأخرجهم معه إلى كتامه ، وخرج بنفسه فلما بلغهم خروج موسى استقبله مشايخ قبيلته كتامه معتذرين فقبل بعد أن ثبت له براءتهم ، وقدموا إليه رهائنهم (٥) رأى موسى أن يكمل فتح المغرب الأوسط فتوجه إلى إقليم سجوما (٦) وأعد نفسه إعداد جيدا ، فقام بتنظيم جيشه ، فجعل على مقدمتة عياص بن عقبة بن نافع ، وعلى الميمنة زرعة بن أبى مدرك ، وعلى الميسرة المغيرة بن أبى بردة القرشى ، وجعت على مؤخرة الجيش نجدة بن مقسم ، وبلغ جنود هذه الحمله عشرة ألاف فارس (٧) خرج موسى بن نصير بنفسه على قيادتها بعد أن خلف ابنه عبدالله على مدينة القيروان . ومن ناحية أخرى كان بربر مدينة سجوما على علم

---

(١) يسمى كمامون[ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، جـ٢ ، ص٥٤]. أو يسمى طامون[ابن عذارى: البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٤١]

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٤١.

(٣) **صنهاجة** : يقول عنها ابن خلدون (هذا القبيل أوفر قبائل البربر ، وهو أكثر أهل المغرب لهذا العهد ، وما قبله لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم فى جبل ، أو بسيط حتى لقد زعم كثير من الناس إنهم الثلث من أمم البربر ، أما بطون صنهاجة فكثيرة قد تصل إلى سبعين بطنا [العبر ، جـ٦ ، ص٣٠٩]

(٤) ابن قتيبة : مصدر سابق ، جـ٢ ص١٠٠.

(٥) ابن قتيبة : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٨٤ . د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ١، ص ٢٤٣ .

(٦) **سجوما** أو"سكوما" أو "سجومة" على مقربة من مدينة فاس ، وتعتبر من مدن قبيلة أوربة البرنسية بالمغرب الأقصى [البكرى : المغرب ، ص١١٧ . د/سعد زغلول : مرجع سابق ، جـ١ ، ص٢٤٢ . د/ السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، جـ٢ ، ص٢٥٥]

(٧) ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ١ ، ص٤١ .

بقدوم موسى وجنوده ، فجمعوا أعدادا غفيرة ، حتى إن موسى لم يتمكن من هزيمتهم فى أول لقاء بينهم ، والذى استمر ثلاثة أيام .[١] ويذكر ابن قتيبة خطأ مقتل كسيلة بن لمرم ، والظاهر أنه يريد أولا د كسيلة أمراء قبيلة أوربة[٢] لأن كسيلة قتل عام ٦٩هـ / ٦٨٨م [٣] وبذلك يكون موسى قد أخذ من جديد بثأر عقبة فى سجوما على يدى أولاده ، وهم عثمان ، وعياض ، وموسى ، وأبو عبيدة الذين قتلوا حوالى ستمائه رجل من أشراف تلك المدينة[٤] .

وقد دهش الخليفة الوليد بن عبد الملك ، من كثرة سبايا مدينة سجوما، الذين بلغوا مائة ألف ، فكتب إلى موسى "**ويحك أظنها إحدى كذباتك ، فإن كنت صادقا فلهذا حشر الأمم**" [٥] بعد هذا النجاح الكبير ، والسريع ، الذى حققته الجيوش الإسلامية بقيادة موسى بن نصير ، وبعد أن أطمأن موسى على ما فتحه ، شرع فى استكمال مسيرة الفتح ، فسار يريد طنجة ، وما بقى من بلاد البربر التى لم تفتح بعد ، فأخذ بربر هذه المناطق فى الهرب عندما علموا بما نزل بإخوانهم على يد موسى خوفا منه ، فتتبعهم ، والحق بهم الهزائم حتى بلغ السوس الأدنى[٦] لايدافعه أحد[٧] وقد نتج عن ذلك أن طلب بربر تلك البلاد من موسى بن نصير الأمان ، على أن يلزموا الطاعة ، فأعطاهم الأمان ، وأقام على هذا الإقليم وما والاه مولاه طارق بن زياد[٨] ،

---

(١) الخميس ،الجمعة ، والسبت حتى العصر [ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، جـ٢ ، ص٨٥]
(٢) ابن قتيبة : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٨٣.
(٣) الناصرى السلاوى : الإستقصا، جـ ١ ، ص٨١.
(٤) ابن قتيبة : مصدر سابق ، جـ٢ ، ص٨٤.
(٥) البكرى : المغرب ، ص١١٧،١١٨. الناصرى السلاوى : مصدر سابق، جـ ١ ، ص ٨٥ .
(٦) **السوس** : بضم السين ، وسكون الواو ، تطلق على إقليم كبير من المغرب الأقصى ، كانت فيه مدن عظيمة ، وقرى كثيرة ، وعمارات متقاربة ، فى جانبه الشمالى نهر يأتى من الشرق من جبل لمطة ، ومدينة طنجة ، أما السوس الأقصى : فيطلق على القسم الجنوبى الغربى منه [الكرخى : المسالك والممالك ، ص٣٤ . القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ١٦٩، ١٧٠ . د/ حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٤]
(٧) ابن الأيثر : الكامل ، جـ٤ ص ٥٤٠ . ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ١ ، ص ٤٢.
(٨) **طارق بن زياد** : هناك عدة أقوال فى نسبه : **الأول** : قيل أنه من البربر من قبيلة نفزة الواقعة فى جنوب شرق الجزائر [تونس الحالية] **وهذا هو الراجح** .
الثانى : قيل أنه من همذان من موالى الفرس .
الثالث : قيل أنه عربى من قبيلة صدف ، أما اسمه : فالغالبية على أنه طارق بن زياد ، والبعض يضيف إليه الليثى ، أو الورفجومى [تاريخ ابن خياط ، ص ٣٠٤ ، البلاذرى : فتوح=

وترك له حامية كبيرة ، قدرت بسبعة عشر ألفا من العرب ، واثنى عشر ألف من البربر[١] وقد ترك معه مجموعة من أشراف المسلمين ، وفقهائهم لتعليم السكان قواعد الإسلام ، وأصول الشريعة ، وأخذت اللغة العربية فى الإنتشار بين الناس ، مما نتج عنه دخول أعداد كبيرة من البربر فى الإسلام ،لاسيما سكان طنجة ، والسوس الأدنى ، والإنضمام إلى جموع قوات المسلمين الموجودة هناك [٢] توجه موسى بن نصير بقواته بعد غزو طنجة لفتح مدينة سبته التى استعصت عليه لمناعتها ووصول الإمدادات اليها ، ورأى موسى ألا يأخذ سبته بالقوة ، واكتفى بأن عين مولاه طارق على طنجة المجاورة لها، وكلفه بمراقبة سبته ، وتشديد الحصار حولها [٣] فاستولى على منطقة درعة[٤] وصحراء تافيلالت "سجلماسة" [٥] فى السوس الأقصى.

بذل موسى بن نصير مجهودا كبيرا فى تأمين ولاية إفريقية ، وتدعيم العلاقة بين العرب ، والبربر وقد اشرك موسى البربر فى الحكم ، والقيادة [٦] مما شجعهم على مشاركة إخوانهم العرب فى الغزو ، وخاصة فى فتح الأندلس ولعل اختيار طارق بن زياد ، يعد مظهرا كبيرا من مظاهر التطور

=البلدان ص ٢٧٢ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ص ١١٢،٥٤٠ . الناصرى السلاوى : الإستقصا ، جـ١ ص٨٦ . د/ حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٥٢ . د / حسين ابراهيم حسن : انتشار الإسلام فى القارة الأفريقية ، ص ١٦ ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٦٤م، مصر]

(١) ابن عذارى: البيان المغرب ، جـ١ ص ٤٢ د/ محمد زيتون : المسلمون فى المغرب والأندلس ، جـ١ ، ص ٦٣.

(٢) الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ٦٩ . ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ١ ، ص ٢٣.

(٣) د/ أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص٤٨ . د/السيد سالم : تار يخ المسلمون وآثارهم فى الأندلس ، ص٤٧ : ٤٨.

(٤) **درعة** : مدينة صغيرة بالمغرب ، بينها ، وبين سجلماسة أربعة فراسخ ، بها نهر يسمى باسمها ، وينبع من جبال أطلس متجها إلى المحيط الأطلنطى [ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢، ص ٥١٣ • أحمد عطية الله : القاموس الاسلامى ، جـ٢ ، ص٣٦١]

(٥) الناصرى السلاوى : مصدر سابق ، جـ١ ، ص ٨٦ .
تافيلالت .. تتكون منها مجموعة من الواحات ، وخاصة واحة سجلماسة الكبرى ، وتضم إقليما زراعيا خصيبا وافر المياه على أبواب الصحراء الكبرى [د /حسين مؤنس : مرجع سابق ، ص ٥٣]

(٦) **طريف بن مالك** أو ملوك ، ويكن بأبى زرعة ، أحد قواد موسى بن نصير المشاركين فى فتح الأندلس ، يراه البعض عربيا يمنيا ، ويسمونه بالمعافرى ، وإن كانت الغالبية العظمى ترى أنه من البربر [د / أحمد مختار العبادى : مرجع سابق ، ص ٥٧ . د / حسين مؤنس : مرجع سابق ، ص ٥٤]

الطبيعى لعلاقة العرب بالبربر ، كما يدل على ذكاء موسى بن نصير فى اختيار قواده، حيث أن البربر كانوا يحبون طارق ، ويثقون فيه ، ويفخرون ، بأن أميرهم رجل منهم يسوسهم ، بما يوافق طباعهم ، وأهوائهم ، ويشعرهم بالثقة والأمان (١) بعد أن إطمئن موسى بن نصير على قواته ، واستقرارها فى المغرب الأقصى شرع فى الرجوع إلى القيروان ، وفى طريق عودته ، مر على قلعة مجانة (٢) وكان بها بقايا من الروم ، ومجموعة من البربر ، متحصنيين بها خوفا من قواته ، فحاصرها موسى ببعض قواته ، واستطاع فتحها ، والإستيلاء عليها ، وترك عليها قائدا من أصحابه يسمى "بسر" أو بشر بن أبى أرطاة سميت باسمه إلى الآن (٣) .

أما سياسة موسى تجاه البربر ، فقد استعمل معهم سياسة تتسم بالقوة، والحزم ، حتى لا يفكروا فى الإرتداد مرة أخرى ، وكانت الغنائم ، والسبايا التى حصل عليها موسى بن نصير كبيرة وكانت كثرة هذه الغنائم التى بعثها موسى إلى الخليفة مثار نقد لدى بعض الحاضرين عند الخليفة بقوله "والله أحمق ، أين له عشرون ألفا يبعث بها إلى أمير المؤمنين فى الخمس" (٤) يقول صاحب البيان المغرب "لم يسمع قط بمثل سبايا موسى بن نصير فى الإسلام"(٥) ويمكن تفسير سياسة موسى بن نصير التى اتبعها مع البربر بما جبل عليه البربر من حب التمرد ، والثورة ، ونظرا للطبيعة البدوية التى تغلب على قبائلهم ، فيذكر أنهم ارتدوا اثنى عشرة مرة من طرابلس إلى طنجة ، ولم يستقر إسلامهم حتى أجاز موسى بن نصير طارق بن زياد إلى الأندلس ، ومعه كثير منهم . (٦) ومن هنا اضطر إلى اتخاذ هذه السياسة القوية الحازمة التى لا تخلو أحيانا من الحكمة.

---

(١) دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ١٣١.
(٢) **مجانة** : مدينة قديمة ذات مياه ، وعيون تعرف بمجانة المطاحن ، وتسمى قلعة بشر لأن بشر ابن أبى أرطاة كان قد افتتحها [مجهول : الإستبصار ، ص ١١٦]
(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٠٥ ، طبعة ليدن .
- النويرى : نهاية الأرب ، جـ٢٤ ، ص ٢٠ .
(٤) ابن عبدالحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٢٠٤.
(٥) ابن عذارى: البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٣.
(٦) ابن خلدون : العبر ، جـ ٦ ، ص ٢٢٠.

من ناحية أخرى امتد نشاط موسى بن نصير ، والمتمثل فى إدخال البربر إلى الإسلام إلى مناطق أخرى ، فأرسل قائده طريف بن أبى زرعة إلى قبائل المصامدة (١) الذين أعلنوا خضوعهم ، وقدموا إليه رهائنهم ، وتعتبر هذه هى المرة الثانية التى يصل إليها المسلمون أرض مصمودة بعد دخول عقبة بن نافع ، وتأكد إنتشار الإسلام فى بلاد المصامدة الذين دخلوا فيه طوعا(٢) إنظر الشكل رقم (٨)

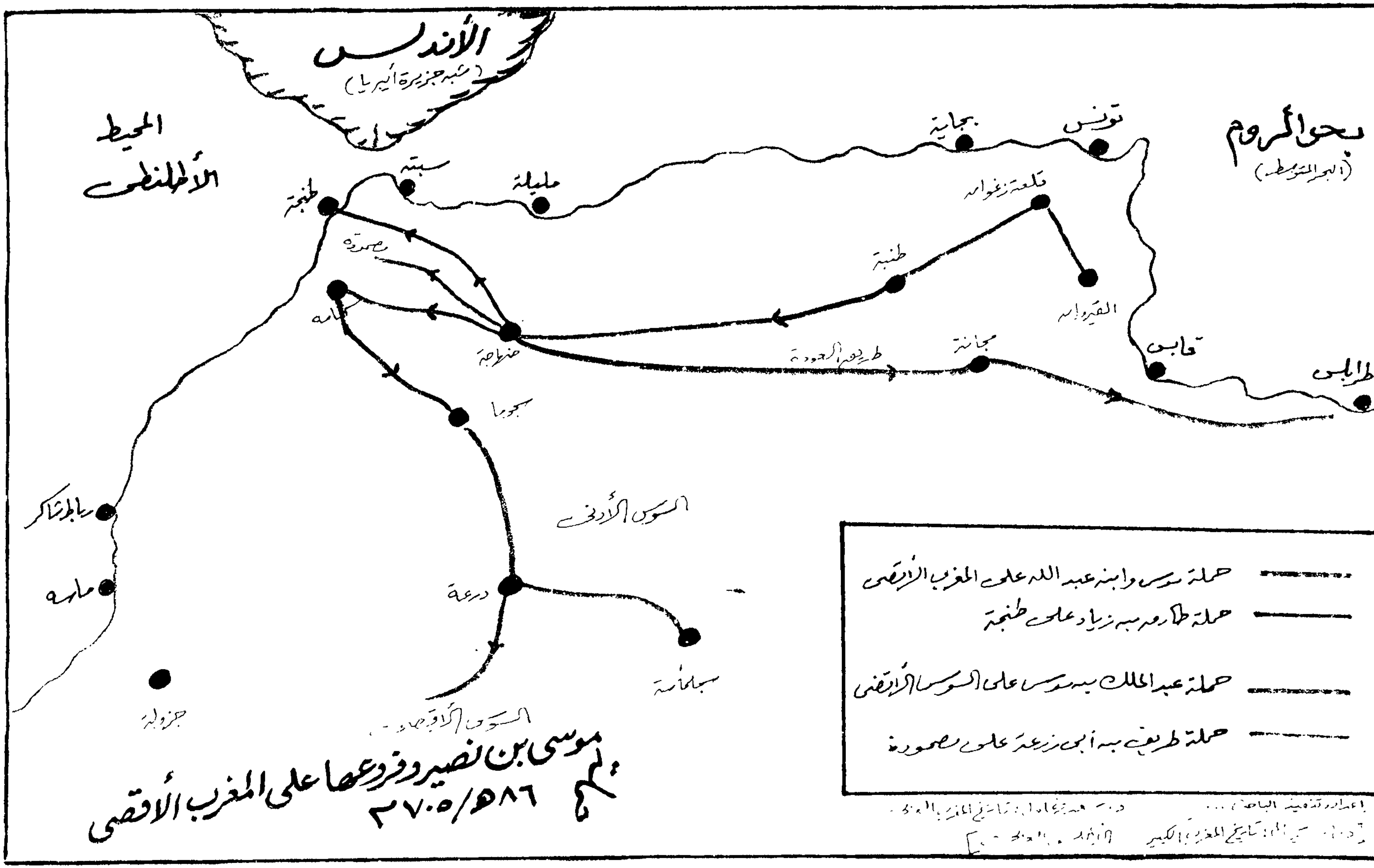
هذا إلى جانب أن موسى بن نصير كان حريصا على متابعة أحوال البربر ، والعمل على إراحتهم ، فكان يشاركهم فى السراء ، والضراء ، ويضرب لهم القدوة ، والمثل للصورة التى يجب أن يتحلى بها المسلم الحقيقى، بالإضافة إلى تفقده الأسرى ، وتخيره منهم من يرى أن دخوله فى الإسلام يكون نافعا ، فيعرض عليه الإسلام فإن رضى قبله ، بعد أن يختبره ، ويمحص عقله ، ويجرب فهمه ، فإن وجده صالحا لذلك ، أعتقه وتولاه ، وإن لم يجد فيه تلك الصفات رده فى الخمس (٣) وبذلك استطاع إدخال الكثير من البربر فى الإسلام.

هذا بالإضافة إلى تعين طارق بن زياد على إقليم طنجة ، وهو منصب كبير فى القيادة ، جعل عيون البربر تنظر باطمئنان إلى أن المراتب العليا ، والمناصب الكبرى ليست بعيدة عنهم ، فأقبلوا على دخول الإسلام بقلوب صادقة للدفاع عن هذا الدين ، ونجد هذا واضحا بعد أن اتجه الجيش الإسلامى إلى فتح الأندلس سنه ٩٢هـ / ٧١١م (٤).

كانت نهاية موسى بن نصير نهاية أليمه ، فقد استدعاه الخليفة الوليد ابن عبد الملك ، ليحاسبه على ما حصل عليه من غنائم ، وأموال ، فسار فى

---

(١) **المصامدة** : مفردها مصمودة وتحتوى على عدد كبير من القبائل ، من أشهرها هرغه ، وهكسورة ، وغمارة استوطنت جبل درن فى جنوب المغرب الأقصى جنوب مراكش ، وهى التى أقامت دولة الموحدين فى القرن السادس الهجرى / ١٢ م [د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ١ ، ص٩٧]
الناصرى السلاوى : الإستقصا ، جـ١ ، ص٨٩.
(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ١ ، ص ٤٣.
(٣) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، جـ٢ ، ص ١٠٩.
(٤) د/ سعد زغلول : مرجع سابق ، جـ١ ، ص٢٥٠.


حملة موسى بن نصير وفروعها على المغرب الأقصى
٨٦هـ/٧٠٥م
الأندلس
(شبه جزيرة أيبريا)
المحيط
الأطلنطي
بحر الروم
(البحر المتوسط)
طنجة
سبتة
مليلة
بجاية
تونس
قلعة زغوان
القيروان
طبنة
مجانة
قابس
طرابلس
صنهاجة
مصمودة
سجوما
السوس الأدنى
درعة
سجلماسة
السوس الأقصى
جزولة
ماسه
طريق العودة
حملة موسى وابنه عبد الله على المغرب الأقصى
حملة طارق بن زياد على طنجة
حملة عبد الملك بن موسى على السوس الأقصى
حملة طريف بن أبي زرعة على مصمودة

موكب عظيم حتى قدم القيروان ، بعد أن ترك ابنه عبد العزيز على الأندلس(١) ، وابنه عبد الملك إلى طنجة (٢) واستخلف أيضا ابنه عبدالله على إفريقية، ووصل إلى دمشق حيث استقبله الخليفة (٣) الوليد ، وهو فى مرضه الذى توفى فيه (٤) غير أن الأمور جاءت على عكس ما كان يتوقع الخليفة الجديد سليمان بن عبدالملك (٥) ، حيث لاحظ تعجل موسى بالمثول بالغنائم، والهدايا بين يدى الخليفة السابق على الرغم من أن سليمان أعلمه بالتريث حتى يقبض الوليد ، وتصير إليه الخلافة (٦) رأى الخليفة سليمان بن عبد الملك أن يعزل موسى بن نصير عن المغرب والأندلس ، ليبدأ رحلة جديدة فى هذه المنطقة ، أو هذا الجزء من العالم الإسلامى .

أما عن سبب عزل موسى بن نصير فهناك عدة أسباب أجملها بعض الباحثين فيما يلى (٧) :

أولا : أن سليمان بن عبدالملك كان يضمر الحقد ، والكراهية لموسى بسبب أن موسى كان من الساعين لدى الخليفة السابق الوليد بن عبد الملك لتوليه أحد ابنائه ولاية العهد بدلا من أخيه سليمان.

---

(١) **عبد العزيز بن موسى بن نصير :** خلف أباه عقب وفاته على الأندلس حتى قتل فى مدينة أشبيلية عام ٩٨هـ / ٧١٨م ، وقيل فى رجب ٩٧هـ / ٧١٧م [الحميدى : جدوة المقتبس ، ص٥ سنه ١٩٦٦م. كولان : الأندلس ، ص ١١٣ ، ترجمة إبراهيم خورشيد وأخرون ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٠ م ، بيروت . د/ السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، جـ٢ ، ص٢٨٤]

(٢) الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص٨٨ . ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ١ ، ص٤٤.

(٣) **الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم :** الخليفة السادس ٨٦ - ٩٦ هـ / ٧٠٥ - ٧١٥م، ولد سنه ٥٠هـ / ٦٧٠م ، أكبر أولاد الخليفة عبدالملك بن مروان ، توفى فى منتصف جمادى الآخرة سنه ٩٦ هـ / ٧١٦م [الإربلى : خلاصة الذهب المسبوك ، ص١ : ١٢ ، علق عليه وضبطه ، مكى السيد جاسم ، بغداد ، بدون تاريخ]

(٤) الرقيق : مصدر سابق ، ص٨٨ . الباجى : الخلاصة النقية ، ص١٢.

(٥) **سليمان بن عبدالملك بن مروان بن الحكم :** الخليفة السابع ٩٦ : ٩٩هـ/ ٧١٥ - ٧١٨م ، ولد بالمدينة ، ونشأ بالشام ، بويع بالخلافة فى اليوم الذى مات فيه أخوه الوليد ، وتوفى بالشام فى شهر صفر ٩٩ هـ / ٧٢٠م [الإربلى : مصدر سابق ، ص ١٣ :١٨]

(٦) ابن عذارى : مصدر سابق، جـ ١ ، ص٤٥.

(٧) مغاورى منصور عبيد : العلاقة بين العرب والبربر ، ص ٢٤٩ : ٢٥٠ ، رسالة دكتوراه بمكتبة بجامعة الأزهر تحت رقم ١ / ٨٢٤ / ٣ ميكروفيلم.

ثانيا : الهدايا ، والغنائم التى تعجل موسى بتقديمها للوليد ، وكان سليمان قد أشار عليه بالتمهل حتى تصير الخلافة اليه.

ثالثا : إتهام الخليفة سليمان لموسى بالخيانة ، وجمع الثروات الطائلة ، واقتناء الرقيق ، وعدم إخراجه الخمس مما جاء به من الغنائم التى أحضرها.

رابعا : من أبرز هذه الأسباب ما درج عليه الأمويون فى عزل الأمراء والقادة الذين يبرزون فى ميادين القتال خشية أن يستقلوا بالأقاليم المفتوحة عن الدولة ويكونوا ممالك مستقلة لأنفسهم ، وخاصة أن موسى بن نصير قد جعل من بلاد المغرب ، والأندلس أرض تتهافت عليها الرجال ، وتميل إليها النفوس لما فيها من خيرات ، وثروات وفيرة ، هذه الأسباب تعد إتهامات متعددة ، وعدم الرد عليها يعد بمثابة الموافق عليها .

ويمكن لنا تحليل هذه الأسباب (الإتهامات) على النحو التالى:

السبب الأول : كيف يضمر الخليفة سليمان الحقد ، والكراهية لموسى بسبب ولاية العهد ، وولاية العهد من الأمور المهمة فى الدولة ، والتى لا يجوز أن يتكلم فيها أحد إلا من الصفوة المقربين من الخليفة ، وفى هذا نجد أن موسى كان مطلوبا بسبب سوء إدارته لأموال البصرة ، ولكن تدخل عبدالعزيز بن عبد الملك لدى أخيه الخليفة عبدالملك قد أعفاه من هذه المسألة (١) ، فكيف يكون من المقربين فى عهد الوليد حتى يدلى برأيه فى ولاية العهد وهو ليس من المقربين الموثوق فيهم من الوليد بن عبدالملك ولأن الوليد كان ولى العهد لأبيه عبدالملك ، ويعلم هذه الفعلة من موسى .

الثانى : يتضح منه لأول وهلة أن الخليفة سليمان درج على جمع الهدايا، والغنائم ، والتهافت عليها ، وهذا منطق لا يليق بخليفة المسلمين سليمان الذى يوصى عماله بالتقوى والعمل الصالح (٢) من ناحية أخرى نجد أن موسى

ما هو إلا والى إحدى ولايات الدولة الإسلامية المترامية الأطراف المتعددة الشعوب ، جميع هذه الشعوب ، وما فيها تحت تصرف الخليفة فليس من المعقول أن يتصرف الخليفة مع أحد ولاته هكذا .

الثالث : اتهام الخليفة لموسى بالخيانة فأى خيانة يتهمه بها الخليفة لم يوضح لنا ، وأرى أن لفظ "الخيانة" لفظ من الألفاظ المستعملة فى العصر الحديث وبعيدة عن عصر البحث.

الرابع : يصف سياسة الأمويين بأنهم يعزلون القادة البارزين خشية الإستقلال بالأقاليم المفتوحة عن الدولة ، ويجعله أبرز الأسباب ، ولكننى أرى أن خلفاء بنى أمية لم يعاملوا قادتهم البارزين بهذه المعامة السيئة ، وإلا لما مكثت دولتهم أكثر من تسعين عاما مليئة بالأحداث ، والعواصف التى كادت تعصف بكيان الدولة لولا حكمه خلفائها لما تم التأكد من سيطرة دولتهم على البلاد التى تحت أيديهم ، بالإضافة إلى مزيد من الفتوح ، هذه الفتوح كان لابد لها من ولاة على مستوى متميز حتى يستطيعوا مواصلة حركة الفتح الإسلامى ، ونشر الدين ، وهى السياسة العامة التى عمل الأمويون على اتباعها ، هذا ولم يعطى لنا الباحث أى مثل آخر يوضح لنا به كلامه غير موسى بن نصير (١)

من ناحية أخرى نجد أن موسى بن نصير قد تعرض لبعض الأنتقادات من بعض المؤرخين نسبه لسياسة العسف التى اتبعها فى إخضاع البربر فنجد الدكتور مؤنس يذكر : بأن موسى بن نصير كان يحارب البربر ، ويرميهم بالجيش بعد الجيش حتى روعهم ، وشككهم فى مرامى الحكم الإسلامى وانصرفت همته إلى المغانم ، والسبى ما لم يسمع المسلمون بمثله قبل ذلك ، وفاق ما غنمه المسلمون من فارس وغيرها من الأقاليم التى فتحت خلال القرن الإسلامى الأول ، ويذكر أيضا "بأن موسى كان رجلا نشيطا قادرا ، محاربا ماهرا استطاع أن يقود جيوش المسلمين فى حروب موفقه فى المغرب أولا ثم فى الأندلس فيما بعد" (٢) فأرى أن الدكتور مؤنس يتهم

---

(١) مغاورى عبيد منصور : العلاقة بين العرب والبربر ، ص٢٥٠.
(٢) د/ حسين مؤنس : ثوارت البربر ، ص ١٤٣ : ١٤٤ .
- دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ٢ ، ص١٣٠: ١٣٦.

ابن نصير بأنه شكك البربر فى مرامى الحكم الإسلامى إذن أين دور البربر فى فتح الأندلس؟ لو شك البربر فى الدين الإسلامى لما أبلوا بلاءا حسنا ، وكان لهم دور كبير فى هذا الفتح ، ولسنا بصدد توضيح دور البربر فى الأندلس ، ثم انصراف ابن نصير فى جمع المغانم ، والسبى حتى فاق ذلك ، وماغنم من فارس ، وهذه مغالطة أخرى بحيث نجد أن فارس بحضارتها ، وتأثيرها فى نظم الإسلام ، وعظم خيرتها مهما بلغ ما جمعه ابن نصير من مغانم وسبى من بلاد المغرب ، فلن تأتى بمثل ما وجد من مغانم عند الفرس ، ومن الجدير بالذكر أن أحد الدارسين [١] يرى أن هذه السياسة لها ظروفها الخاصة فى حينها ، ولم يوضح لنا هذه الظروف .

هذا وقد شك سليمان بن عبدالملك بأن ابن نصير لم يخرج خمس الغنائم التى أحضرها إلى دمشق مما جعل الخليفة يدخلها كلها إلى بيت المال[٢] لكن ابن أبى دينار يورد نصا "أن موسى بن نصير بعد أن فتح مجانة بعث بخمسها إلى الوليد" [٣] أى أنه كان يرسل الخمس إلى بيت المال ، وإذا لم يرسل الخمس فى عهد الوليد فكيف يتركه الخليفة الوليد دون محاسبة على ما حصل عليه من سبى ، وغنائم؟

مما لا شك فيه أن لكل قائد ناجح ، وبارز فى عمله أعداء لا يحبون له هذا الظهور ، وهذه المكانة فى المجتمع ، ولدى صاحب الدولة ، ومن هؤلاء القادة موسى بن نصير ، فقد بذلت جهود للوقيعة بينه ، وبين سليمان ولى العهد ، وقد أثمرت الجهود عندما تولى سليمان الخلافة سنه ٩٦ هـ / ٧١٥م ونتجت عنها سوء علاقة بينهما ، وكان سببها :

١- عدم إطاعة موسى لأوامر سليمان ، والتكبر عليه ، وهو ولى العهد ، حيث أعلمه بالتمهل حتى يتسلم أمور الخلافة ، ويستولى على ما جاء به موسى من إفريقية والأندلس ، وقد نفينا هذه التهمة ، أما لوضح هذا الأمر،

---

(١) عبدالباقى محمد أحمد كبير : المرابطون ودورهم فى نشر الإسلام فى غرب إفريقية ، ص١٧ رسالة ماجستير بمكتبة بجامعة الأزهر ، تحت رقم (٧٢٤ / ٩٥٣)
(٢) ابن عبدالحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٢١١.
(٣) ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٢٩.

فنجد أنفسنا أمام سؤال هام ؟ - هل يجوز لسليمان ، وهو ولى للعهد التدخل فى مسيرة موسى بن نصير ؟ نجد أن سليمان لا يلام على تصرفه بالتدخل فى مسيرة موسى ، ومن حقه أن يباشر حقوقه إذا حدث أى شئ يمنع الخليفة من تأديه عمله ، وهنا كان الخليفة الوليد مريض ، ومن الجدير بالذكر أنه قد تختلف رؤية ولى العهد لقضية ما عما يكون هو المسئول الرسمى "الخليفة" لأن التدرج فى المناصب العليا قد تدفع معظم أصحابها إلى النظر برؤية عامة إلى أحداث الدولة كما يرى الباحث .

ومن هنا وُضِع موسى بن نصير فى اختيار صعب هل يطع أوامر ولى العهد ، وينال رضاه بعد حين ؟ أم يرفض ويبقى على ولائه للخليفة ، فاختار موسى أن يظل وفيا للخليفة ما دام حيا ، وإن كان مريضا ، فالموت ، والحياة لا يعلمهما إلا الله ، ويعتبر هذا السلوك من موسى منتهى الإخلاص ، والولاء من الوالى للخليفة ، وهذا موقف يشار إليه بالإعجاب والفخر ، والإعتزاز لموسى بن نصير على الرغم من علمه بأن الأمر لابد صائر إلى سليمان فيما بعد ، بل إن وفاء موسى للوليد أولا وقبل سليمان ، لأن الوليد قد يشفى من مرضه ، ويباشر مهامه ، فماذا يكون موقف موسى منه ؟ ولا شك أن موسى قد استعرض كل هذه الأفكار ، والتقديرات ، ووصل إلى موقف يدل على مدى إخلاص الوالى لسيده تحت كل الظروف ، وهذا سلوك جميل يستحق عليه التقدير (١) **أما سبب فى عزل موسى عن ولاية إفريقية ...** إتهام الخليفة سليمان له بالإهمال ، والتبديد فى الأموال الخاصة بالدولة ، وهى تهمه تمس حقوق المسلمين ، وأموالهم ، وليست أموالا شخصية ، وكانت هذه الأموال تقدر بحوالى ٤٣٥٠ ألف دينار ، وكان سليمان يرى أن موسى لم يقدم حسابا دقيقا عن الأموال التى كانت لديه للخليفة الراحل الوليد ، ولعل ذلك راجعا إلى انشغاله بالحروب ، والفتوحات ، ومما لا شك أن سليمان قد رأى بنفسه ما أتى به موسى من الأندلس للخليفة الوليد من الغنائم والذخائر ، والجواهر لهذا فرض عليه سليمان هذا المبلغ الكبير من الأموال على حسب

---

(١) محسن سليم : سليمان بن عبدالملك وسياسة الداخلية والخارجية ، ص٨٤ ، ٩٦ ، رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية القاهرة ، سنه ١٣٩٩هـ / ١٩٧٨م.

ما يتراء له من دخل موسى ، واستفادته من الأندلس (١) ولا شك أن الخليفة سليمان كان يهدف فى المقام الأول والأخير إلى الإصلاح وبسط سلطان، وهيبة الخلافة على كل أنحاء الدولة ، وعند تغيير وال بآخر يتم التحرى لحسن الإختيار (٢) .

ولاية محمد بن يزيد القرشى (*) ٩٧-٩٩ هـ / ٧١٥ - ٧١٧م

بعد أن عزل سليمان بن عبدالملك موسى بن نصير عن عمله ، أخذ فى البحث عن وال يكون له من الصفات ما يكفى لتوليته إفريقية ، فوقع اختياره على محمد بن يزيد القرشي سنه ٩٦ هـ / ٧١٥ م وأوصاه بتقوى الله وحده ، والقيام فيها بالحق والعدل ، ثم وصل إلى مقر ولاية إفريقية سنه ٩٧ هـ / ٧١٥ م (٣) ودع محمد بن يزيد القرشى الخليفة ، وهو يقول "مالى عذر عند الله إن لم أعدل" (٤) وبدأ عمله بأن أحسن السيرة بين الرعية ، وأقام العدل بين الناس ، لكنه قام بمصادرة أملاك أسرة موسى بن نصير (٥) وفى الأندلس تخلص (٦) الخليفة من أميرها عبدالعزيز بن موسى ، حيث اتهم

---

(١) د/ محمد زيتون : تحليل تاريخى لما يذكره المؤرخون عن موسى بن نصير فى فتح الأندلس كلية الآداب جامعة الإمام محمد بن مسعود ، ص٣٦٧ : ٣٦٥ ، العدد الثانى ، الرياض السعودية ، محسن سليم : سليمان بن عبدالملك، ص ٩٥ : ٩٤.

(٢) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ١ ، ص٢٥٦.

(*) **محمد بن يزيد القرشى** : ولاه سليمان بن عبدالملك على إفريقية ، سنه ٩٧هـ / ٧١٥م ودامت ولايته سنتين ، وعدة أشهر [ابن الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢١٣ . تاريخ ابن خياط: ص٢٥٥ . ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ١ ، ص٤٧ . الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص١٠٠]

(٣) ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ١ ، ص٤٧ .

(٤) تاريخ خليفة بن خياط ، ص٣٠٥. زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ، جـ١ ، ص٩٩. ترجمة زكى حسن وآخرون ، سنه ١٩٥١ م .

(٥) د/ محمد زيتون : القيروان ، ص١٠٥.

(٦) لم يكن للخليفة سليمان بن عبدالملك يد فى مقتل عبدالعزيز بن موسى لأن سليمان لما بلغه مقتل عبدالعزيز شق عليه ذلك ، وأمر بالتحقيق فى القتل ، والقبض على قتلته ، وإرسالهم إليه ، وقد أسف على قتله بعد أن ثبت له براءة عبدالعزيز من تهمه الإستقلال بالأندلس [د/ السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، جـ٢ ، ص٢٩٥]

بعدة تهم منها الخروج عن الطاعة والتنصر (١) حيث يقول صاحب أخبار مجموعة "فقالوا تنصر ثم هجموا عليه فقتلوه فى سنه ٩٨ هـ / ٧١٧ م"(٢).

ومن الجدير بالذكر أن عبدالعزيز بن موسى بن نصير جاهد ومازال يجاهد فى سبيل الله، ولا يمكن أن يرجع عن دينه ، أو يقال إنه تنصر ، ويصف أحد الدارسين هذا الكلام بأنه من الأباطيل التى يجب أن تمحى من التاريخ ويعتبره دسا ، وإفتراء ، لأنه لم يكن له سابق عهد بالنصرانية ، وإنما ولد فى بيت اسلامى (٣) كما لا يمكن أن يعقل أن يتحول قائد عربى سليم المدارك بكل سهولة إلى النصرانية من أجل إمراة هى فى الحقيقة من سبايا المسلمين بالأندلس ، ولو قتله سليمان لهذا السبب لكان أولى أن يسأله ليتحقق من صحه هذا الأمر من عدمه حتى يبرئ نفسه أمام الله ، والناس ،إذا فمسالة قتل سليمان لعبدالعزيز مشكوكا فيها، لأنه قتل أثناء أدائه صلاة الصبح .

أما السبب الذى أن يكون مقبولا ، هو خوف سليمان من عبدالعزيز لأنه قد يخلع طاعته ، ويستقل بالأندلس ، وهو سبب حمل كثير من الخلفاء على التخلص من الخارجين عليهم مهما كان منزلتهم ، لأن الملك غلاب فهو يحافظ على ملكه ، وعلى وحده المسلمين ، وتبعيتهم له ، وخاصة فى مثل هذه الأقاليم البعيدة عن مركز الخلافة ، وأمرها لم يستقر بعد (٤).

---

(١) هناك دعاية واسعة نجحت فى إيهام الناس بأنه تنصر تحت تأثير زوجته القوطية التى تسمى أيله أو وأجلا (EGLLA) أو ايجلونا بالأسبانية ، وهى أرملة لذريق ملك القوط ، وكانت تحرضه على الإستقلال بالأندلس ، وتأسيس دولة يكون ملكا عليها ، ونجحت فى التأثير عليه وأقنعته بوضع التاج على رأسه تشبها بالملوك ، [مجهول : أخبار مجموعة ، ص٢٠، مكتبة المثنى ، بغداد ، بدون تاريخ . د/ السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير، جـ٢ ، ص ٢٨٦ : ٢٨٧ . د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ١ ، ص٢٦٠ . محمد دياب بك : تاريخ العرب فى أسبانيا ، ص ٢٩، ٣٠ ، سنه ١٩١٣ ، طبع بمطبعة الجمالية ، مصر]

(٢) لا شك أن هذا الدس من بعض المؤرخين من تصوير خصوم بنى أميه بهذه الصورة وقع فى عهد العباسيين وخصوم الإسلام فى كل زمان [د/ إبراهيم شعوط : أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ، ص ٣٤٣ ، بدون تاريخ]

(٣) د/ إبراهيم شعوط : المرجع السابق ، ص٣٤٣ .
– محسن سليم : سليمان بن عبدالملك ، ص٩٩.

(٤) محسن سليم : المرجع السابق ، ص٩٩.

ولقد شعر البربر بالأمن والطمأنينة فى الفترة التى مكثها محمد بن يزيد القرشى على ولاية إفريقية ، أرسل هذا الوالى السرايا إلى الثغور ، والمناطق الداخلية من المغرب ، والجزائر المجاورة للساحل المغربى ، وغنم منها غنائم كثيرة وكان يقسمها بين جنوده دون أن يترك لنفسه شيئا (١) فكان هذا التصرف مثلا للوالى العادل النزيه ، وكانت لهذه السياسة الحكيمة أثرها العميق فى كسب أفواج جديدة من البربر إلى الإسلام (٢) انتهت ولاية محمد ابن يزيد القرشى بوفاة الخليفة سليمان بن عبدالملك فى سنه ٩٩ هـ / ٧١٧ م فاستعمل الخليفة الجديد عمر بن عبدالعزيز اسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر على إفريقية (٣)

ولاية اسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر*

كان إهتمام عمر بن عبدالعزيز بسائر الولايات الإسلامية كبير ، ومنها بلاد المغرب ، وقد حرص على اختيار الولاة القادرين على النهوض بالأقاليم الإسلامية ، فاختار اسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر وولاه إفريقية سنه ١٠٠ هـ / ٧١٨ م ، وكان اسماعيل بن عبيد الله عند حسن الظن

---

(١) الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ٩٤ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ١ ، ص٤٧ ، الباجى : الخلاصة النقية ، ص١٢.

(٢) السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، جـ٢ ، ص٢٨٩.

(٣) ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ١ ، ص٤٧ .
مؤلف مجهول : اخبار مجموعة ، ص٢٢ . د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ١٠٥ .

***اسماعيل بن عبيد الله** ، مولى بنى مخزوم ، وحفيد أبى المهاجر دينار الوالى السابق ، تولى المغرب أيام عمر بن عبدالعزيز [خليفة بن خياط ، جـ١ ، ص٣٢٣ . ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ١ ، ص ٤٨ . الباجى : مصدر سابق ، ص١٢ . زامباور: معجم الأنساب ، جـ ١ ، ص٩٩] ، وقد جرت العادة عند قدوم جبايات الولايات إلى مقر الخلافة أن يأتى مع جباية كل إقليم وفد من أهلها يتكون من عشرة رجال من الأعيان ، وعلى هؤلاء أن يقسموا بأن كل درهم ، وكل دينار من تلك الجباية أخذ بحقه ، وقد أتى وفد إفريقية بالخراج ، فحلف ثمانية من العشرة بصحة جمع المال ، ورفض كل من اسماعيل بن عبيد الله ، والسمح بن مالك الخولانى ، فأعجب الخليفة عمر الذى كان موجودا بالرجلين " فضمهما إلى نفسه" فلما تولى الخلافة ولى اسماعيل إفريقية ، وعهد إلى السمح بولاية الأندلس [مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص٢٣ . ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص٤٨] **ترجمة السمح بن مالك الخولانى**: نسبة إلى بنى خولان من قبيلة قضاعة ، ولاه عمر بن عبد العزيز على الأندلس ١٠٠هـ / ٧١٨م ، وكانت ولاية الأندلس تابعة لأمير إفريقية وهو الذى يعين والى الأندلس من قبله ثم يقرة الخليفة ، قتل السمح فى عام ١٠٢هـ / ٧٢١م [أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى ، جـ٣ ، ص ٤٩٠ : ٤٩١]

به فى المغرب "فكان خير وال ، وخير أمير حسن الظن" كما ذكر ابن خياط، وابن عذارى وأخرون (١) اهتم اسماعيل بدعوة البربر إلى الإسلام ، وتعليمهم أمور الدين ، وقد ساعده فى هذا المجال إرسال الخليفة عمر بن عبدالعزيز عشرة من التابعين من أهل الفضل ، والعلم لتعليم البربر أصول الدين ، واللغة ، وقد تولى اسماعيل توزيع هؤلاء التابعين فى أنحاء المغرب ، وتحول البربر بفضل هؤلاء التابعين إلى أمة إسلامية ، ولم يبقى على غير الإسلام سوى جماعة من الروم ، الذين كانوا يعتبرون أنفسهم أجانب فى المغرب ، بالإضافة إلى طائفة اليهود (٢) وقد أدى هؤلاء التابعون دورا كبيرا فى هذا المجال حتى دخل كثير من البربر فى الإسلام ، وحسن إسلامهم ، وانخرطوا فى سلك الأمة الإسلامية (٣) ويعلق الأستاذ جورج مارسيه فى دهشه على انتقال البربر ، وخاصة المسيحين منهم إلى الإسلام بمثل هذه السرعة ، بل أكثر من هذا دخولهم بحماس كبير ورغبتهم الشديدة فى اغتنام الشهادة مما أدى إلى أنهم لم يعد يمثلون سوى بقع ضئيلة ، أصبح حتى مجرد الإعتقاد فى وجودها أمرا مشكوكا فيه ، بينما كانت معظم البلاد التى دخلها الإسلام تحتفظ بطوائف مسيحية كبيرة كالأقباط فى مصر ، وسكان جبل لبنان فى بلاد الشام (٤) ويجمع المؤرخون على حسن السياسة التى سار عليها اسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر فى البربر ، حيث قام بالعدل بينهم ، بالإضافة إلى وعده ، وجهوده فى ارساء قواعد الإسلام فى البربر حتى حسن إسلامهم ، فكان خير أمير وخير وال ، وقد لاقت هذه السياسة العادلة قبولا

فوضع عليهم الجزية على نحو ما كانت تؤخذ منهم ، وهم على كفرهم (١) ثم اشتد عليهم فى جمع الأموال ، وأسرف فى ذلك ، حتى أن ابن عذارى يصفه "بأنه كان ظلوما غشوما" (٢) أراد يزيد بن أبى مسلم أن يقلد ملوك الروم ، فاتجه إلى حراسه من البربر ، فقام خطيبا فقال "إنى رأيت أن أرسم اسم حرسى فى أيديهم ، كما تضع ملوك الروم بحرسها ، فأرسم فى يمين الرجل اسمه ، وفى يساره حرسى ليعرفوا بذلك من بين سائر الناس ، فإذا وقفوا على أحد أسرع لما أردت" (٣) فلما سمع الحراس (٤) ذلك استاءوا ، وغضبوا لما رأوا فيه من مهانه ، وإذلال ، وأنكروا هذا الفعل عليه ، وقالوا إنه جعلنا بمنزلة النصارى" (٥) هذا التصرف الغريب من أحد ولاة بنى أمية جعل أحد الدارسين (٦) يفسر لنا سوء معاملة يزيد بن أبى مسلم للبربر ، وإتباعه سياسة غير مناسبة لهم بعد دخولهم فى الإسلام ، هذا إلى جانب اتهامه للخليفة نفسه حيث ذكر أنه ابن ملك شب فى ظل الملك حيث يعتبر خلفاء بنى أمية ملوك وليسوا خلفاء المسلمين ، وأنه كان شابا لما ولى الملك لم يتجاوز عمره الثلاثين ، وكانت زوجته أم الحجاج بنت محمد بن يوسف بنت أخ الحجاج ، بالإضافة إلى أنه لم يكن فى رجاحة ، ودهاء عقل سليمان ، ولا ورع عمر ابن عبدالعزيز وإتهامه بالإسراف ، والتبذير ، وعندما تولى عزل معظم ولاة عمر بن العزيز.

على الجانب الأخر أخذ الحراس يخططون لتنفيذ خطتهم ، حيث كانت الفرصة مواتية للوقوف عليه عندما خرجت جيوشه بقيادة قائد الأسطول

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ ١ ، ص٦١٧ ، الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٩ م ، دار المعارف ، مصر.

(٢) ابن عذارى : *البيان المغرب* ، جـ١ ، ص٤٨ ، الباجى : *الخلاصة النقية* ، ص١٣.

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص٢٧٣ ، ابن عذارى : *مصدر سابق* ، جـ١ ، ص٤٨.

(٤) **الحراس** : لم يكن الحرس خاصا بيزيد ، بل كان حرس الولاة ، وهذا الحرس يتبع الدولة ، مما يدل على استقرار نظم الدولة ، ويعتبر الوالى موظفا على رأس إدارة تابعة للدولة ، لا تتاثر بعزل أوغياب الوالى ، وكان هذا الحرس يتكون من البربر ن وخاصة البتر ، ولا يوجد بينهم من البرانس أحد [الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص٢٤٠]

(٥) ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ١ ، ص٤٨.

(٦) دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ٢ ، ص١٩٦ : ١٩٩.

محمد بن أوس الأنصارى (١) لتقوم بغارة على صقلية (٢) فهجموا عليه ، وقتلوه سنه ١٠٢ هـ / ٧٢١ م كما ذكر الكثيرون (٣) تشاور الناس فيمن يولون الأمر إلىأن يأتى أمر الخليفة ، وتم الإتفاق على محمد بن أوس الإنصارى (٤) لكنه أخذ حذره من البربر ، وصار يعمل لهم حسابا خاصا فرأى تغير سياسته معهم حتى يتم تعين وال جديد على بلاد المغرب .

ولاية بشر بن صفوان الكلبى * ١٠٢-١٠٩ هـ / ٧٢٠-٧٢٧ م

قدم بشر واليا على إفريقية فى شوال سنه ١٠٢ هـ /٧٢٠ م (٥) وقد اعتبره الخليفة يزيد بن عبد الملك من الولاة الأكفاء ، الذين لديهم المقدرة على محو الآثار السيئة لدى البربر ، والتى تركها يزيد بن أبى مسلم ، وكان بشر على صلة بما يحدث فى إفريقية ، وبطبيعة أهلها ، لأنه كان عامل الخليفة على مصر ، وأفادته هذه الإمامة القريبة من إفريقية حيث كان قد تولاها بدلا من أخاه حنظلة بن صفوان (٦)

(١) **محمد بن أوس الأنصارى** : تابعى ، يعرف بالرواية مع الدارية ، دخل إفريقية ، سنه ٩٣ هـ / ٧١٢ م غزا المغرب والأندلس مع موسى بن نصير ، توفى عام ١٠٢ هـ / ٧١٢ م [أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ص٨٠]

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب، جـ ١ ص٤٨ . الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ص١٠٠.

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص٢١٤ ، تاريخ خليفة بن خياط : ، ص٣٢٣ .
السلاوى الناصرى : الإستقصا ، جـ١ ، ص١٠٣ ،
د/ عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، جـ٢ ، ص٢٢٧ .

(٤) ابن عبدالحكم : مصدر سابق ، ص٢١٥، تاريخ خليفة بن خياط ، ص٣٢٣،
د/ محمد زيتون : المسلمون فى المغرب والأندلس ، جـ١ ، ص٦٥.

* **بشر بن صفوان الكلبى** : هو بشر بن صفوان بن توبل بن بشر بن حنظلة بن علقمة بن شراحبيل بن عزيز بن خالد [ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص٤٨ . ويذكر ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ، جـ ١ ، ص٢٢٢ ابن شراحبيل بن عرين بن أبى جابر بن زهير الكلبى ، *ولى بشر بن صفوان إفريقية ، سنة ١٠٣ هـ / ٧٢١- ٧٢٢ م ، ومات بالقيروان ، سنه ١٠٩ هـ / ٧٢٧ - ٧٢٨*م . دوزى : تاريخ مسلمى أسبانيا ، جـ١ ، ص١٣٩، سنه١٩٦٣م، دار المعارف ، مصر]

(٥) ابن عبدالحكم : مصدر سابق ، ص٢١٥. ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ١ ، ص٤٨ .
الباجى : الخلاصة النقية ، ص١٣ ، "ويذكر أن بشر قدم إفريقية ، سنة ١٠٣ هـ / ٧٢١م .
زامباور : معجم الأنساب ، جـ١ ، ص٩٩" .

(٦) ابن عبدالحكم : مصدر سابق ، ص٢١٥، دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ٢ ، ص٢٠٥.
د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص٢٧٠ .

استخدم بشر بن صفوان سياسة مختلفة عن سلفه ، تعتمد على الدين ، والعدل ، والتسامح ، والإحسان إلى البربر ، فأدى ذلك إلى استقرار ، وإزدهار البلاد ، وانتشار الثقافة الإسلامية بين أهلها ، ويذكر أن الخليفة يزيد ابن عبدالملك أمر بشر بن صفوان بمصادرة بقايا أموال آل نصير ، ومن الجدير بالذكر أن هذا العمل ليس من الدين ، ولا العدل ، ولم يكن فيه العمل على مصلحة الدولة بالدرجة الأولى (١)

خرج بشر بن صفوان بما معه من أموال ، وهدايا ، ليسلمها إلى الخليفة يزيد بن عبدالملك ،لكن وجده قد توفى ، فى نفس السنة التى قدم فيها ١٠٥ هـ / ٧٢٣ م (٢) وتلقى هشام بن عبدالملك الخليفة الجديد ، الهدايا، والأموال من بشر ، وأقره على ولاية إفريقية ، فعاد إلى القيروان ، ولكنه مرض فى أثناء عودته ، فلما حضرته الوفاه ١٠٩ هـ / ٧٢٧ ، دخلت عليه جاريته ، وقالت واشماته الأعداء ، فقال لها قولى للأعداء لا يموت (٣) ، واستخلف هشام بعده عبيدة بن عبدالرحمن السلمى واليا على أفريقية (٤)

ولاية عبيدة بن عبدالرحمن السلمى *١١٠-١١٥هـ / ٧٢-٧٣٣م

قام هشام بن عبد الملك بتولية عبيدة بن عبدالرحمن السلمى بن أخو ابن الأعور السلمى قائد خيل معاوية فى موقعة صفين ، وكان فى ربيع الأول سنه ١١٠ هـ / ٧٢٨ م (٥) سار عبيدة بن عبدالرحمن بين البربر بالحكمة ،

---

(١) دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ٢ ، ص٢٠٨ .

(٢) ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص٢١٥ . ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ١ ، ص٤٩.

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

(٤) ابن عبدالحكم : مصدر سابق ، ص٢١٦. د/ محمد زيتون : القيروان ، ص١٠٧، د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ١ ، ص٢٧٣ .

* **عبيدة بن عبدالرحمن السلمى** : يسميه البلاذرى فى فتوح البلدان ص٢٧٤ عبيدة بن عبدالرحمن القيسى ، أما زامباور : معجم الأنساب ، جـ ١ ، ص٩٩ . فيضيف ابن أبى الأغر قبل السلمى كانت ولايته أربع سنوات وسته أشهر ،ولاه هشام على إفريقيه سنه ١١٠ هـ / ٧٢٨م مكان بشر ، كان محل إقامته فى القيروان [الباجى : الخلاصة النقية ص١٤ ، الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ص ١١٥ ، دوزى : تاريخ مسلمى أسبانيا ، ص١٦٨]

(٥) ابن عذارى : مصدر سابق، جـ١ ، ص٥٠ . زامباور : مرجع سابق ، جـ١ ، ص٩٩.

والعدل ، وأحسن السيرة ، فهدأ البربر فى أيامه وارتضوا حكمه عليهم لما رأوا فيه من العدالة ، والحرص على مصلحة بلادهم .

ومن الجدير بالذكر أن عبيدة قام بتعين أربعة عمال على الأندلس فى أيامه ١١٠ هـ : ١١٤ هـ / ٧٢٨ : ٧٣٢ م (١) وتعاقبوا عليها ، فكان إذا ظن فى العامل منهم سوءا قام بعزله ، وتوليه غيره مراعاة لمصلحة الرعية (٢) غير أن عبيدة بن عبدالرحمن السلمى قد ظهرت منه بوادر العصبية العربية ، وكان قيسيا ، فكان يشتد على بعض عمال بشر بن صفوان لأسباب شخصية ، وكان من هؤلاء رجل من أشراف اليمنية كان قد تولى عدة مناصب، فى عهد بشر بن صفوان ، وهو "أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبى" (٣) وكان قد عزله عبيدة ونكل به فكتب الأبيات التالية للخليفة هشام بن عبدالملك :

أفأتم بنى مروان قيسا دماءنا ✪ وفى الله إنه لم تنصفوا حكم عدل
كأنكم لم تشهدوا مرج راهط ✪ ولم تعلموا من كان تم له الفضل
تعاميتم عنا بعين جلية ✪ وأنتم ما رعيتم لنا فعل (٤)

عندما وصلت هذه الأبيات إلى الخليفة هشام بن عبدالملك أمر واليه على المغرب حنظلة بن صفوان الكلبى أن يولى أبا الحظار الأندلس ففعل عام

---

(١) عثمان بن أبى نسعة شعبان ١١٠ هـ / ٧٢٨م - ٢- حذيفة بن الأحوص القيسى محرم ١١١هـ / ٧٢٩م ٣- الهيثم بن عبيد الكنانى محرم ١١٢هـ /٧٣٠ م ٤- عبدالرحمن الغافقى ١١٣هـ ٧٢١م [ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ١ ، ص٤٩]
(٢) دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ١ ، ص٢١١.
(٣) **الحسام بن ضرار بن سلامان الكلبى** " أبو الحظار " كنيته ، والتى اشتهر بها ، ولى إمارة الأندلس سنه ١٢٥ هـ / ٧٤٣ م من قبل حنظلة بن صفوان والى إفريقية لهشام ثم للوليد بن يزيد ، وكان أهل الأندلس قد كتبوا إلى حنظلة بن صفوان والى إفريقية والمغرب يسألونه أن يبعث إليهم عند اختلافهم واليا يجتمعون عليه ، فبعث أبا الحظار هذا ، فأطاعة أهلها ، واجتمعوا عليه ودانت له الأندلس حتى سنه ١٢٧ هـ / ٧٤٥م فى ولاية مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية [ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ٢ص٦١ الطبعة الأولى سنة ١٩٦٣م، كولان: الأندلس ، ص١١٥ ، أحمد عطية الله القاموس الإسلامى ، جـ٢ ، ص٧٥ ، ٢٥٣ ، ٣٥٤]
(٤) توجد هذه الأبيات مع تغير بعض الفاظها فى [ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ١، ص٥٠ ، الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص١٠٥ ، ١٠٦ . دبوز : مرجع سابق ، جـ٢ ، ص١٢]

١٢٣ هـ / ٧٤٠ م [١] وقيلت هذه الأبيات بسبب سوء المعاملة التى لقيها أبو الخطار ، مع أن ابن عذارى يؤكد الرواية السالفة ، إلا أنه يذكر أيضا أن عبيدة حمل إلى الخليفة هدايا ، وتحف عظيمة عندما سافر إلى الشام [٢] وطلب استعفاءه فأعفاه ، ويبدو لى أن الرواية الأخيرة هى الراجحة ، لأنه من المستبعد أن تكون هذه الأبيات سببا فى عزل عبيدة ، وقد نتج عن سياسة عبيدة ، انتشار بعض الخصومات القبلية فى بلاد المغرب بسبب تعصبه للقيسيين وانشغاله بذلك عن إتمام اخضاع البربر فى إفريقية ، فكان ذلك فرصة للبربركى يتولوا بأنفسهم بدلا من الحكام العرب مع الإحتفاظ باسلامهم.

من ناحية أخرى ، بدأ الخوارج يعرفون طريقهم إلى بلاد المغرب ، فوجدوا الظروف مواتية لنشر مذهبهم الذى أثر على العلاقة بين العرب والبربر ، وسوف نوضح هذا الفصل الأخير.

ولاية عبيد الله بن الحبحاب * ١١٦-١٢٢ هـ / ٧٣٥-٧٤١م

ولى الخليفة هشام بن عبدالملك ، عبيد الله بن الحبحاب على إفريقية، بعد أن نجح فى إدارة شئون مصر خلفا لعبيدة بن عبدالرحمن السلمى الذى كان مسرفا فى عصبتيه على أمل أن تهدأ على يديه نفوس العرب والبربر فى المغرب .

قدم ابن الحبحاب مدينة القيروان فى ربيع الأخر ١١٦هـ / ٧٣٤م وبدأ عمله بداية حسنة [٣] فقام بتجديد وتوسيع جامع تونس ، الذى أسسه

---

(١) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ١ ، ص٢٧٥ .
(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ١ ، ص٥١ .
***عبيد الله بن الحبحاب** : هو عبيد الله بن الحبحاب بن الحارث القيسى ، كان مولى لبنى سلول ، وكان رئيسا ، ونبيلا ، وأميرا بارعا فى الخطابة ، والفصاحة ، حافظا لأيام العرب وأشعارها، ووقائعها ، وقد أعجب هشام بحسن تدبيره ، فولاه على خراج مصر [تاريخ ابن خياط ، ص٣٤٧ ، البلاذرى : فتوح البلدان ، ص٢٧٤ ، مجهول : أخبار مجموعة ص٢٥ ، ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ص٣٩ تحقيق ابراهيم الإبيارى ، سنه ١٩٨١ م ، القاهرة ، الرقيق القيروانى : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص١٠٧ • الباجى : الخلاصة النقية، ص١٤ ، دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ٢ ، ص٢١٤]
(٣) ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص٢١٦ ، ابن عذارى :مصدرسابق ، جـ١ ، ص٥١، زامباور : معجم الأنساب ، جـ١ ، ص٩٩ .

حسان بن النعمان ، واعتنى بدار الصناعة (١) ، وأضاف سفنا كثيرة عظم بهـا شأن الأسطول الإسلامى الذى استطاع أن يفتح جزيرة صقلية (٢) إستعمل ابـن الحجاب على طنجة وما والاها من المغرب الأقصى ، ابنه اسماعيل وجعل

معه عمر بن عبدالله المرادى (٣) بالإضافة إلى أنه أرسل حبيب بن أبى عبيـدة ابن عقبة بن نافع (٤) غازيا المغرب الأقصى غربا ، وأرض السودان جنوبا (٥) لعمله بأن من أحفاد عقبه الذى استشهد فى فتح هذه البلاد علـى يد البربر ، مما يثير حميته ، لمواصلة ما بدأه أبوه ، وبالفعل فإن هذا القائد لم يقاتل أحد إلا ظهر عليه ، وغنم من السبى ، والغنائم كثيرا (٦)

ومن الجدير بالذكر أن عبيد الله بن الحبحاب إنتهج سياسة قوية استهدفت تحقيق ثلاثة أهداف ، **الهدف الأول** : العمل على تأكيد ، وتقوية سلطان الإسلام والمسلمين فى المغرب بصفة عامة ، والعمل على إخضاع الأقاليم أو القبائل فى المغرب الأقصى بصفة نهائية.

الهدف الثانى : الغزو البحرى واستمراره ، ولكن بشكل أكثر وأفضل ، وبإمكانيات أكثر حتى يمكن أن يساهم فى تنمية موارد الدولة المالية.

---

(١) **دار الصناعة** : اهتم عبيد الله بن الحبحاب بدار الصناعة التى أنشاها حسان بن النعمان فى تونس سنه ٧٦ هـ / ٦٩٥ م ، فوسعها ، وبنى فيها سفنا كثيرة بلغت حوالى سبعمائة بما كان يزاملها من الآلات ، والأدوات الحربية فقوى بها الأسطول المغربى ، وبهذا الأسطول استطاع ابن الحبحاب أن يطمع فى صقلية ، وضمها إلى المغرب سنه ١١٥هـ / ٧٣٣ م .
[دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ٢ ، ص٢١٨ ، أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى ، جـ٢ ، ص٣٢٣]

(٢) دبوز : مرجع سابق ، جـ١ ، ص٢١٨ .

(٣) عين بن الحبحاب عند توليته الأمور فى القيروان ، ابنه اسماعيل ، وعمر بن عبدالله المرادى حتى قتل المرادى سنة ١٢٢هـ / ٧٤١ م [ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ص ٢٢٢]

(٤) **حبيب بن أبى عبيدة (عبده) بن عقبة بن نافع** .. ينفرد د/ سالم بذكر عبده بدلا من عبيده، هو والد عبدالرحمن الفهرى الذى استولى على ولاية إفريقية من حنظلة بن صفوان سنه ١٢٩ هـ / ٧٤٧م ، وكان حبيب أحد قادة ابن الحبحاب فى إفريقية وذهب بحملة إلى صقلية ، وعندما تأزم الموقف واشتد على ابن الحبحاب استدعاه لكى يقمع ثورة البربر التى شملت إفريقية سنه ١٢٢هـ /٧٣٨م ، توفى حبيب فى هذه السنه [ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ١ ، ص٥٣ . أحمد عطية الله : مرجع سابق جـ٢ ، ص٣٢ . د/ السيد سالم: تاريخ المغرب الكبير ، جـ٢ ، ص٣٠٨ ، ٣٠٩ . د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٢٨٩ . د/ زيتون : القيروان ، ص١٠٩]

(٥) ابن الأثير : مصدر سابق جـ٤،ص ٢٢٢. دبوز : مرجع سابق ، جـ٢ ، ص٢١٦ .

(٦) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص٢٧٤ . ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ١ ، ص٤٨، ٤٩.

الهدف الثالث : الإجتهاد فى جمع الأموال اللازمة لإتمام تنفيذ الهدف الأول، والثانى ، ولسد مطالب بيت المال ، وإرضاء حاجات بيت المال (١) استمر ابن الحبحاب واليا على المغرب نحو خمس سنوات ، نعم المغرب فى معظمهما بالهدوء والسكينة ، مما نتج عنه تدافع المغرب إلى طريق البناء والتشيد (٢) ولكن حدث تحول فى سياسة ابن الحبحاب حينما عزم حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع على المقام بصقلية ، إلا أن ابن الحبحاب استدعاه بسبب سوء العلاقة بين العرب والبربر (٣) هذا السبب الذى ذكره ابن الأثير ، لا أعتقد أنه

---

(١) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ١ ، ص٢٧٩.

(٢) دبوز : تاريخ الغرب الكبير ، جـ٢ ، ص٢١٩ . **أمثلة البناء والتشيد :** بعد أن استقر عبيد الله بن الحبحاب فى المغرب حتى شرع فى تجديد جامع الزيتونة ، ليكون مسجدا جامعا يسع للأعداد الكبيرة التى دخلت فى الإسلام ، وكان حسان بن النعمان قد أسس هذا المسجد التى إتسم بالبساطة ، والصغير ، فوسعه عبيد الله ، وجمله ، وأعلى بنائه [دبوز : مرجع سابق ، جـ٢ ، ص ٢١٨]

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ص٢٢٢ . **سبب سوء العلاقة بين العرب والبربر**

١- بعض عماله الذين استعملهم على بعض المناطق فى ولايته منهم عمر بن عبدالله المرادى على طنجة والمغرب الأقصى وابن اسماعيل بن عبيد الله على السوس وما وراءه.

٢- كثرة وفود الخوارج إلى بلاد المغرب ، وتسللهم بين البربر مستغلين الخصومات بين اليمنية والقيسية ، هذا إلى جانب أنهم فتحوا صدورهم واحتضنوهم ، وكان البربر وخاصة البتر منهم يتوقعون من العرب أن يعاملوهم معاملة الأنداد. [د/ السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير، جـ٢ ، ص٣٠٠ ، ٣٠١] لهذا الموضوع تفصيل أكثر فى الفصل السادس بمعنى أن البربر هم أصل المجتمع الذى وفد عليه العرب ، فيعتبر العرب هنا أقلية ، وللأقلية فى أى مجتمع تكون العين أو الأضواء ما سلطة عليها ، وخاصة إذا كان هؤلاء العرب هم أصحاب الدين الجديد ، وأصحاب الفتوحات ، فنجد أن وفد المغاربة الذين ذهبوا العرض شكواهم على الخليفة هشام كانت إحدى شكواهم عدم مساواة الجندى العربى ، والجندى المغربى فى الغنيمة ، بمعنى امتياز العرب على المغاربة ، مما يتضمن عدم تطبيق مبدأ المساواة والإخاء بين المسلمين ، مما يعتبره البعض خروجا على مبادئ الإسلام [د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ١ ، ص٢٨٤] من ناحية أخرى نجد **عددا من الإتهامات الموجهة إلى ابن الحبحاب وإلى عماله أيضا** ، فنجد **ابن عذارى** يذكر فى البيان المغرب ، جـ ١ ، ص٥١ "أن الخلفاء بالمشرق كانوا يستحبون طرائف المغرب ، ويطلبون من عمال إفريقية ، فيبعثون لهم بالبربريات ، فلما أفضى الأمر إلى ابن الحبحاب مناهم بالكثير ، وتكلف لهم أوكلفوه أكثر مما كان ، فاضطر إلى التعسف ، وسوء السيرة ، أما **ابن خلدون** فيذكر فى العبر ، جـ ٦ ، ص١١٩" أن الخلفاء كانوا يطالبون الولاة بالوصائف البربريات ، والأردية العسلية الألوان، وأنواع من طرف المغرب ، فكانوا يتغالون فى جمع ذلك بالإضافة إلى طلب هشام من ولاته إرسال جلود الخرفان العسلية التى لم تولد ، فكان الوالى تحقيقا لرغبة الخليفة يأمر ببقر النعاج الحوامل لإستخراج أجنتها بحثا عن هذه الجلود العسلية ، حتى كانت تذبح مائة شاة ، فربما لم يوجد فيها جلد واحد [مجهول : أخبار مجموعة ، ص٣٥] هذه إتهامات ثلاثة موجة لإبن الحبحاب:

أولا : ذكر ابن عذارى أنه لما أفضى الأمر إلى ابن الحبحاب ، مناهم بالكثير ، هذا القول يدل على أنه كان فى بداية توليه ابن الحبحاب ولايه المغرب ، والمنصب الجديد له مباهجه؟=

سبب تحول سياسة ابن الحبحاب ، وإنما هو نتيجة لما حدث من تعصب بين العرب والبربر ، وبين العرب وبعضهم ومن الحقائق ، الثابتة أن العصبية العربية قد نمت فى العصر الأموى وشهدت تطور كبيرا ، ونال المغرب جزء منها ، فكان ابن الحبحاب متعصبا لقيسيته ، ولم يأمن جانب اليمينة من هنا وجدت العصبية بين العرب بعضهم البعض ،فى مجتمع به أكثريه من البربر.

على الجانب الأخر ، بدأت وفود الخوارج تبحث عن مكان آمن يكون بعيدا عن مقر الخلافة ، بسبب ما لا قوة من اضطهاد وبطش فى المشرق ، خاصة فى العراق على يد الحجاج بن يوسف الثقفى ، فبدأوا هجرتهم إلى أطراف الدولة البعيدة شرقا ، وغربا ، وخاصة عمان ، واليمن ، والمغرب (١)

انتشر الخوارج بين البربر ، يبثون أفكارهم ، وتعاليمهم ، مستغلين الخصومات القائمة بين اليمنية والقيسية ، وبين العرب والبربر ، وانشغال الولاة بهذه المنازعات ، وجمع الغنائم ، وقد وجدت أراء الخوارج التى نشروها بين البربر باسم الإصلاح ، والدعوة إلى العمل بالكتاب ، والسنة صدى واسعا ، فقد استهوى هذا المذهب عددا من البربر قاموا بمعارضة

= ثم يستطرد فيقول " فاضطر " هذا اللفظ يدل على الإستثناء ولا يكون القياس على الإستثناء .
ثانيا : قول ابن خلدون " أن الخلفاء كانوا يطالبون الولاه... الخ " لا أعتقد أن كل ولاة بنى أمية كانوا هكذا ، وإلا ما معنى قول الوليد بن عبدالملك لموسى بن نصير عندما علم بعظم سبى مدينة سجوما ، وقد دهش من كثرة السبى الذى بلغ مائة ألف " ويحك أظنها إحدى كذباتك فإن كنت صادقا فلهذا حشر الأمم [البكرى : المغرب ، ص ١١٧ ، ١١٨] وأيضا الوصية التى قالها سليمان بن عبدالملك عندما ولى ، محمد بن يزيد القرشى ، فأوصاه بتقوى الله وحده الذى لا شريك له ، والقيام فيما ولاه بالحق [ابن عذارى: البيان المغرب ، جـ١ ، ص٤٧]
ثالثا : بقر النعاج الحوامل بحثا عن جلودها ، هذا قول ينفر من صاحب العقل السليم ، لأنه بكل بساطه يسبب هلاكا للثروة الحيوانية التى يعتمد عليها البربر فى حياتهم اليومية ، لأنهم فى الأصل أهل بداوة ، بجانب ما يتركه هذا العمل من آثار سيئة على صاحب هذه الحيوانات بالإضافة إلى أن هذا العمل لا يقرة الإسلام ، ولا الشريعة الإسلامية ، وأخيرا ينبغى ألا ننسى أن هذه المشاكل عندما ثارت كان العصر الذهبى للدولة الأموية قد ولى ، وأصبحنا أمام خلفاء مؤهلاتهم غير كافية للحكم ، ولا نجد فيهم من له كفاية إلا هشام بن عبدالملك وقد بذل ما يستطيع لإصلاح الناحية المالية [د/ حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص٦٢] فليس من المعقول أن يدمر هشام بن عبدالملك الثروة الحيوانية، وهى أحدى الموارد المالية للدولة ، ومن ناحية يحاول اصلاحها [أى يدمر ويصلح فى وقت واحد ؟]

(١) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ١ ، ص ٢٨٥ . د / حسين مؤنس : مرجع سابق ، ص ٦٢.

الأمويين ، بل وبالثورة على القوات العربية فى المغرب (١) ومن الجدير بالذكر أن سبب عزل عبيدالله بن الجحاب كان نتيجة فشل سياسته فى المغرب، وعدم المحافظة على عليه كوحدة متماسكة ، لأن هشام بن عبدالملك كان عازما على أن تكون بلاد المغرب والأندلس ، دار هجرة للأمويين ، لتستمر فيهما دولته ، إذا انتزع العباسيون الشرق منه ، لذلك حلف أن يجعل كل حصه بربرى خيمة قيسى أو يمنى ، ليكثر العنصر الأموى فى المغرب ، ويقوى أنصاره ، ويستلزم ذلك أن يقضى على الثورة القائمة فى المغرب ، فعزل ابن الحبحاب عن المغرب ، وولى مكانه ، كلثوم ، وأرسل معه جيشا جرارا للقضاء على ثورة البربر بالمغرب الأقصى (٢)

ولاية كلثوم بن عياض القشيرى.*

اختار هشام بن عبدالملك كلثوم بن عياض القشيرى لولاية أفريقية والمغرب (٣) لينقذها ويحميها من ثورات البربر ، لكيلا تضيع من تحت أيدى الخلافة الأموية . فقد كون هشام جيشا كبيرا من أهل الشام ، بلغ سبعة وعشرين ألفا ، بالإضافة إلى ثلاثة آلاف من مصر ، وجعل له نائبين يرجع الأمر لهم من بعدهما : ابن أخيه بلج بن بشر القشيرى ، وثعلبة بن سلامة العاملى (٤) أعطى هشام إلى كلثوم مطلق السلطات فى البلاد التى يمر بها ، وأرسل إلى عماله فى مصر ، والمغرب بالطاعة ، وتقديم المساعدة اللازمة

---

(١) د/سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص٢٨٦.

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ص٢٢٣ ، دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص٢٦٥.
السيد أحمد ابراهيم حمور : بين الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ص٣٦٥ ، رسالة دكتوراه بمكتبة جامعة الأزهر تحت رقم ١١٩٨ / ٩٢٢١.

* **كلثوم بن عياص القرشى** ويسمى أيضا كلثوم بن عياض القيسى ، تولى قيادة إفريقية والمغرب فى جمادى الثانية سنه ١٢٣ هـ / ٧٤١ م ، ليفقدها من ثورة البربر ويحافظ على تبعيتها للإدارة الأموية ، قتل وهو يقوم بهذه المهمة فى موقعة بقدورة فى نفس السنه [ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ص٢١٨ . الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص١١ ، د/ سعد زغلول : مرجع سابق ، جـ ١ ، ص٢٩٣ ، ٢٩٨]

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٧٤ ، ابن عبدالحكم : مصدر سابق ، ص ٢١٨،
زامباور : معجم الأنساب ، جـ١ ، ص ٩٩ .

(٤) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص٣٠ ، وقد أخرج هشام مع كلثوم رجلين لهما معرفة بالمغرب هما : هارون القرنى والد عبدالرحمن الداخل ، ومولى معاوية بن هشام ، ومغيث الرومى مولى الوليد بن عبدالملك ، وصاحب موسى بن نصير [د/ سعد زغلول : مرجع سابق ، جـ١ ، ص٢٩٣]

له (١) إزداد جنود كلثوم على طول الطريق المؤدى إلى المغرب ، حيث انضم إليه جنود من برقة ، وطرابلس ، حتى بلغ عدد جنوده حوالى سبعين ألفا ، ووصل إفريقية فى رمضان ١٢٣ / ٧٤١ (٢) نزل كلثوم بجيشه الكبير بالقرب من القيروان ، فشكا أهل القيروان ما أصابهم من جيش كلثوم إلى حبيب بن أبى عبيدة (٣) لكن كلثوم تدارك الموقف واعتذر إلى حبيب ، ثم واصل الجيش زحفه حتى وادى سبو بجنوب طنجة فى موضع يعرف بقدورة (٤) وأسفرت المعركة عن نهاية حزينة لم تكن محتملة ، فقد هزم كلثوم ، وقتل حبيب ، وسليمان بن أبى المهاجر ، وعدد من وحوده العرب وفرسانهم (٥) أما كلثوم وبلج فقد نجيا ، واتجها إلى سبته ، فمات كلثوم بها متأثر بجراحة واستطاع بلج أن يخرج إلى الأندلس بعد محاصرة الثوار لسبته (٦) لكن صاحب أخبار مجموعة (٧) يذكر لنا ثبات كلثوم بن عياض فى المعركة ، وأنه جلس على منصته ، ترفرف عليه راية القيادة ، وطلب من أصحابه أن يدافعوا عنه إذا

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ١ ، ص ٥٤ . مجهول : أخبار مجموعة ، ص٣١.
(٢) ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٥٤ .
(٣) سبب شكوى أهل القيروان من كلثوم ، أن ابن أخيه بلج طلب إلى أهل إفريقية الأيغلقوا أبوابهم حتى يعرف أهل الشام منازلهم ، ليس هذا فقط بل استخف بلج بن بشر بحبيب بن أبى عبيدة ، وأهانه ، وأعلن أن أهل الشام قد عزموا على المقام بإفريقية وإتخاذها دارا فحز هذا فى نفس الأفارقة ، وأخافهم على ما كان لهم من المكانة فى البلاد ، وقد جرت بينهما منازعة ثم اصطلحوا على قتال البربر [ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ١ ، ص٤١ ، ٥٤ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٤ ، ص٢٢٣ . د/ حسين مؤنس : ثورات البربر ، ص ١٧٥] هذا الطلب من بلج إلى أهل إفريقية أحسوا فيه إساءه إليهم ، لما فيه من تعرض هذه المنازل إلى كشف المستور بها وتعرضها للسرقة وعدم الإطمئنان عليها .
على الجانب الأخر كان حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع أكبر قائد للأمويين فى المغرب ينتظر المدد من الخليفة هشام بن عبدالملك لينازل خالد بن حميد الزنانى فى المغرب الأقصى حتى يستطيع أن يوقف زحفه إذا حاول المسير إلى القيروان عاصمة البلاد ، فساءه ما حدث بأهله وذويه من جند كلثوم ، فأرسل يحتج عليه ، وقال لئن تنته لنصرفن أعنه الخيل اليك [ابن الأثير : مصدر سابق ، جـ٤ ، ص٢٢٣ . دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ٢، ص٢٦٧]
(٤) ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ١ ، ص٥٥ . د/ عبدالمنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، جـ٢ ، ص ٢٩٠ .
(٥) مجهول : مصدر سابق ، ص٣٢ ، دبوز : مرجع سابق ، جـ٢ ، ص٢٧٠ .
(٦) دبوز : مرجع سابق ، جـ٢ ، ص ٢٧٠ .
(٧) مجهول : مصدر سابق ، ص٣٤ .

نالته سيوف الخوارج ، وقتل وهو يتلوا الأيات " إن الله إشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم " و " وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا "(١)

أما عن سبب هزيمة جيش كلثوم على الرغم من كثرة قواته ، فالذى يبدو أن أهل الشام أتوا فى جيش كلثوم وهم يزهون بعددهم ، ولم يكن أهل إفريقية ليرضوا من أهل الشام ، بهذه المعاملة بعد جهادهم فى الفتوح ، ونشر الإسلام ، فكان هذا بداية التصدع فى الجيش وخاصة أن الجيش يضم عددا كبيرا مختلف الأجناس من الشام ومصر ، والمغرب ، وبرقة ، وطرابلس (٢)

وصلت أنباء الهزيمة إلى دمشق فحزن لها الخليفة هشام بن عبدالملك ، ورأى ضرورة اتخاذ موقف صارم تجاه الثوار لتدارك الظروف الصعبة التى تمر بها البلاد ، والإضاعت المغرب والأندلس (٣)

من ناحيه أخرى ظهر قائدان من البربر فى منطقة الزاب الأول هو عكاشة بن أيوب الفزارى الصفرى ، الثانى عبدالواحد بن يزيد الهوارى فقد هزم عكاشه على يد عبدالرحمن بن عقبة ، وأهل القيروان ، فتفرق أنصار عكاشة ، الذى انضم إليه عبدالواحد ، واتحدا سويا فلم يستطع عبدالرحمن بن عقبة الوقوف فى وجههما فانهزم ، وقتل ، ثم أخذ عكاشة ، وعبدالواحد فى الإستعداد للإستيلاء على القيروان (٤)

---

(١) سورة آل عمران آية ١٤٥ ، التوبه آيه ١١١.

(٢) ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص٢١٨. ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ١ ، ص٥٤.

(٣) فقد حلف هشام وقال " لئن بقى ليخرجن إليهم مائة ألف كلهم يأخذ العطاء ، ثم ليخرجن مائة الف ، ثم ليخرجن حتى إذا لم يبق غير نفسه وغير بنيه [مجهول : أخبار مجموعة ، ص٣٦] النص من مصدر أخر "والله لئن بقيت لا خرجن اليهم مائه الف كلهم يأخذ العطاء ، ثم لا يخرجن مائه ألف ثم لأخرجن حتى إذا لم يبق غير نفسى وغير بنى" [ابن القوطية : تاريخ إفتتاح الأندلس. دوزى : تاريخ أسبانيا ، ص١٥٠]

(٤) ابن عبدالحكم : مصدر سابق ، ص٢٢٢

ولاية حنظلة بن صفوان الكلبى ١٢٤-١٢٧هـ /٧٤٢-٧٤٤م

تولى حنظلة بن صفوان ولاية المغرب بأمر من الخليفة هشام بن عبدالملك سنه ١٢٤ هـ / ٧٤٢ م (١)

وقد أمده بجيش كبير من العرب لكى يسيطر على مقاليد الأمور المضطربة فى بلاد المغرب من جانب قبائل البربر ، وصل حنظلة إلى القيروان ، ولم يمكث بها كثيرا ، فسار حتى يوقف زحف الثوار تجاه القيروان ، بقيادة عكاشة ، وعبد الواحد عن طريقين : **الأول** سلكه عكاشة الذى عسكر فى القرن (٢) بالقرب من القيروان ، **والثانى** سلكه عبد الواحد إلى طريق الجبال فى ناحية قسنطينة ، ليحتل شمال إفريقية ، ومدينة تونس ، فيزحف هو وعكاشة من الجنوب على القيروان ، فيجتمعان على حنظلة فيتغلبان عليه (٣) راى حنظلة أن يلتقى بكل واحد منهما على حده ، قبل أن يتحدا عليه ، وحتىيستطيع أن يهزمها ، فبدأ حنظلة بأقرب وأخطر عدويه ، وهو عبدالواحد بن يزيد الهوارى ، فأخذه على غره بمنطقة الأصنام (٤) وهزم البربر ، وانتصر العرب ، وقتل عبدالواحد ، وانهزم جمعه (٥)

على الجانب الأخر أخذ حنظلة يسرع فى لقاء عكاشة الذى لم يعرف بهزيمة عبدالواحد ، واشتبك معه فى القرن ، واشتد القتال حتى هزم عكاشه فى أوائل سنه ١٢٤ هـ / ٧٤٢ م (٦) وأخيرا ، وبعد سلسلة من الهزائم

---

(١) **حنظلة بن صفوان الكلبى** : كان عامل هشام على مصر ، سنه ١١٩ هـ / ٧٣٧ م ، فأقام على إفريقية ، سنه ١٢٤هـ / ٧٤٢ماستطاع قمع ثورة البربر فى ذلك الوقت ، تنازل حنظلة لعبدالرحمن بن حبيب ولاية إفريقية ، ورحل إلى الشام ، وتوفى بها ، سنة ١٢٩هـ/٧٤٧م [النويرى: نهاية الأرب ، جـ ٢٤ ، ص ٦٢ • ابن الأثير الكامل ، جـ ، ص ٢٧١ ، الزاوى : تاريخ الفتح ، ص ١١٢ • أحمد عطيه الله : القاموس الاسلامى حـ ٤ ، ص ١٧٠]

(٢) **منطقة القرن** : تقع بالقرب من مدينة القيروان [دبوز: تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص٢٨٦]

(٣) دبوز : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٢٨٤.

(٤) **منطقة الأصنام** :تقع على بعد ٤٠ كم غربى القيروان على مقربة من طنجة [د/ حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص٦٥ . د/ السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، جـ٢ ، ص٣١٤]

(٥) ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص٢٢٢ . ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ١ ، ص٥٨ الذى يقدم القرن على الأصنام .

(٦) ابن عبدالحكم : مصدر سابق ، ص٢٢٣ . د/ حسين مؤنس : مرجع سابق ، ص٦٥.

المتتالية تم النصر للعرب ، فكان لهذا النصر مغزى كبيرا ، حتى إن الإمام الليث (١) علق على هذا النصر بقوله "مامن غزوة كنت أحب أن أشهدها بعد بدر أحب إلى من غزوة القرن ، والأصنام" (٢)

فى هذه الظروف الطيبة ، وبهجة النصر ، مات الخليفة هشام فى آخر سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م ، وبذلك ينتهى عهد أخر عظماء بنى أمية الذى بذل كل ما يستطيع فى سبيل المحافظة على وحدة الدولة الأموية.

خلف هشام الوليد بن يزيد فأقر حنظلة على ولاية إفريقية(٣)

ولاية عبد الرحمن بن حبيب الفهرى*

كان حنظلة بن صفوان ، معتدلا فى سياسته لذلك ساد إفريقية الأمن والهدوء وخاصة بعد انتصاره على البربر فى القرن والأصنام ، لكن هذه الفترة لم تستمر طويلا ، فبعد موت هشام فى سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م (٤) بدأت الأمور فى الدولة الأموية تتدهور ، حيث أنشغل الأمويون بنشاط الدعوة

---

(١) **الليث بن سعد** : هو ليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث الأصبهانى الأصل ، مولى خالد بن ثابت الفهمى أحد معاصرى الأمام مالك بن أنس ١٧٩هـ/٧٩٥م ، وأبى حنيفة النعمان ١٥٠هـ /٧٦٧م) قال ابن وهب (١٩٧هـ /٨١٣م) فيه وفى مالك ، وكان تلميذا لهما ، لولا مالك بن أنس ، والليث لضل الناس ، وقال فيه الشافعى "٢٠٤هـ /٨١٩م" الليث بن سعد أفقه من مالك إلا ان أصحابه لم يقوموا به ، أى لم ينشروا علمه وفقه [الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد ومدينة السلام ، جـ ١٣ ص ١٣،١٤ سنة١٣٤٩هـ /١٩٣١م القاهرة . ابن خلكان: وفيات الأعيان ، جـ١ ، ص ٦٢٤،٦٢٥ . دار الطباعة الأميرية. ١٢٧٥هـ ، القاهرة. أبو العرب: طبقات علماء إفريقية ص ٥٨]

(٢) ابن الأثير الكامل ، جـ ٤ ، ص ٢٢٣. ابن عذارى البيان: المغرب ، جـ ١ ، ص ٥٩ ، ابن خلدون العبر ، جـ ٦ ، ص ٢٢٣.

(٣) ابن عذارى مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٥٩.

* **عبد الرحمن بن حبيب** بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع الفهرى القرشى ، كان فى جيش بلج بن بشر فى سبته وعبر معه إلى الأندلس ، ولكنه عاد مطرودا ، متسترا من أبى الخطار الحسام أبن ضرار الكلبى والى الأندلس ، فإتجه إلى المغرب ، واستقر بتونس فى ، سنة١٢٥هـ/٧٤٣م وأخذ يحارب حنظلة بن صفوان ، لكى يخرجه ، فتنازل له عن طيب خاطر ، ورحل هو إلى الشام ، وكان ذلك فى ، سنة ١٢٧هـ/٧٤٥م ، فدخل عبد الرحمن القيروان واستقل بها ، وكتب إلى مروان بن محمد بولايته [ابن عبد الحكم :فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٣٣. ابن الأثير : مصدر سابق ، جـ٤ ، ص ٢٧٨ . ابن عذارى: مصدر سابق ، جـ١ ص ٦٠ . زامباور: معجم الأنساب ، جـ١ ، ص ٩٩ . د/ عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، جـ٢ ، ص ٣٢١. الزاوى: تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ١١٤]

(٤) د / السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٣١٤.

العباسية ممــا أثر كثيرا علـى مختلـف الولايـات التابعـة لهـم ، وخاصـة بـلاد المغرب التى أصبحت علاقتها بدمشــق شبه مقطوعـة ، ممـا أعطـى الفرصـة للخارجين على الدولة ، والمغامرين أن يثوروا فى الولايــات ، ويطـردوا ولاة الخليفة.

يعتبر عبد الرحمن بن حبيب من الخارجين على الدولة الأموية ، فقد وصلت الأخبار لحنظلة ، أن عبد الرحمن قد نزل تونــس ، وبـدأ يدعـو لنفسـه فأجابه الناس (١) وبقى بها إلى أن اضطربت أمور الخلافة بعد مقتل الوليد بــن يزيد ، بالإضافة إلى خروج بعض أهل الشام بإفريقية إلى المشرق(٢)

ففكر حنظلة فى الخروج إلى عبد الرحمن لقتاله ، وطرده مــن تونـس لكنه كره قتال المسلمين مما يدل على أن حنظلة صاحب ورع وديـن(٣) واتبـع حنظلة طريقة أخرى لإثناء عبـد الرحمـن عمـا دعـا إليـه ، فأرسـل اليـه وفـدا مكونا من خمسين رجلا من وجوه إفريقية ليراجعوه ، ويطلبوا منه الدخول فى الطاعة ، ولكن عبد الرحمن انتهز الفرصة عند وصول الوفد ، وألقى القبـض عليهم ،و أساء معاملتهم ووضعهم فى الحديد ، ثم أقبل بهم إلى القيروان(٤)

طلب عبـد الرحمـن مـن حنظلـة أن ينـزل القيروان ، هـو ومـن معـه ويخليهـا فــى مـدة ثلاثــة أيـام ، وإلا سـيدخلها ، ويقتـل أعضــاء الوفـد(٥) المحتجزين عنده ، فلما علم حنظله بهذا التهديد ، جمع الشــهود ، وأهـل الديـن

---

(١) ابن الأثير: الكامل ، جـ ٤ ، ص ٢٧٨. ابن عذارى : البيان: المغرب ، جـ ١ ، ص ٦٠. الباجى: الخلاصة النقية ، ص ١٥.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٣.

(٣) ابن عذارى مصدر سابق ، جـ١ ، ص ٦٠.

(٤) ابـن عبـد الحكـم : مصـدرســابق، ص ٢٢٣ . ابـن الأثـير: مصـدر سـابق ، جــ ٢ ، ص٢٧٨.

(٥) **قصة الوفد**: الوفد الذى أرسله حنظلة من القيروان إلى عبد الرحمن لكى يكـون رسـول سـلام بينهما ، وقع فى يد عبـد الرحمـن ، وقبـض علـى الوفـد ، واسـتخدمه كورقـه رابحـة لـه فـى المفاوضات بينهما ، ضغط عبد الرحمن على حنظلة بهذا الوفد ، واسـتطاع أن يضـع حنظلـة فى خيار صعب ، أما أن يسلم المدينة فى خلال ثلاثة أيام دون أعمـال عنـف ، أو شـغب ، وإلا سيقتل جميع أعضاء الوفد الخمسين ، وقد نجح عبد الرحمن فى مسعاة ، ودخل القيروان عام ١٢٧هـ/ ٧٢٤م [ابن عبد الحكم: مصدر سابق ، ص ٢٢٣ ، ابن الأثير: مصدر سابق ، جـ ٤ ، ص ٢٧٨ ، ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ١ ، ص ٦٠]

والفضل ، وتم فتح بيت المال بوجودهم ، وأخذ منه بقدر مايكفيه ، وترك الباقى ثم رحل عن إفريقية ، فى جماد الأولى سنة ١٢٧هـ/٧٤٥م.

دخل عبد الرحمن بن حبيب – فى نفس السنة – القيروان بعد خروج حنظلة (١) ونجح فى التغلب على إفريقية ، وساد الأمن والهدوء ، فظن البربر بذلك أن أمر العرب إنتهى ، فقد رأى البربر فى الطريقة التى استولى بها عبد الرحمن بن حبيب على إفريقية مثلا يحتذى ، فأصبح فى كل ناحية زعيم من البربر يعلن نفسه أميرا على المنطقة الموجود بها فإن دل هذا على شئ فإنه يدل على إنعدام السلطة المركزية التى تهيمن على البلاد ، حدث هذا على الرغم من أنه لم يمض على ولاية عبد الرحمن بن حبيب سوى أيام قليلة والتى بدأت عام ١٢٧هـ/٧٤٥م (٢) فأدى هذا إلى وجود حالة من عدم الأمن نتيجة الفوضى والإضطراب فى أواخر الدولة الأموية ،و استمر عبد الرحمن فى ولايته حتى انتهت الدولة الأموية عام ١٣٢هـ/٧٥١م وعندما تأكد من انتصار العباسيين بادر بالأعتراف بهم (٣) فأبقوه واليا على المغرب.

الفصل الثالث

الحالة الإقتصادية لدى البربر في العصر الأموي

- الزراعة .
- موارد المياه .
- التربة .
- الرعي .
- الصيد .
- الصناعة .
- التجارة .
- الأسواق .
- دار سك العملة .
- أماكن الأسواق .

الفصل الثالث

الحياة الإقتصادية لدى البربر فى العصر الأموى

مما لاشك فيه أن الحالة الإقتصادية هى عصب الحياة لدى الشعوب ، وتعتبر سببا مهما من أسباب تطور الأمم ، والشعوب ، أو تخلفها ، ويرجع ذلك إلى حجم الثروات الموجودة فى أراضى هذه الشعوب ، ومدى استغلالها على الوجه الأمثل ، مما يعطى هذه الشعوب قوة إقتصادية حتى تستطيع من خلالها أن ترقى بشعبها ، وتوفر له الأمن ، والأمان.

وتتكون الحياة الإقتصادية من زراعة ، ورعى ، وصناعة ، وتجارة ، وتعتبر هذه العمد الأساسية للحياة الإقتصادية لدى البربر...

أولا الزراعة: يمكن أن نقسم أراضى البربر إلى قسمين :

القسم الأول : يتبع بربر البرانس ، وهو الجزء الشمالى الساحلى الموجود على بحر الروم من برقة إلى طنجة ، حيث توجد فيه زراعات مختلفة ، وخاصة فى المغرب الأقصى ، وكان معظم هؤلاء البربر يعيشون عيشة استقرار ، سواء فى الجبال ، أو فى السهول الخصبة ، وخاصة فى جبال أطلس (١) ذات المياه الوفيرة ، فغلبت عليهم حرفة الزراعة ، حيث تتمتع هذه المنطقة بمؤثرات البحر المتوسط (٢) فمطرها شتوى يوافق نمو الحبوب،

---

(١) **جبال أطلس** : تمتد داخل بلاد المغرب من تونس إلى المحيط الأطلنطى ، وتنقسم هذه الجبال إلى ثلاثة أقسام **أولهما** : **الأطلس البحرية** ، وهى مجموعة سلاسل تحاذى الساحل ، ترتفع هذه السلسلة من الساحل ارتفاعا كبيرا. **ثانيا** : **الأطلس الصحراوية** وتمتد فى بلاد الجزائر الحالية ، وتنحدر بشدة نحو الصحراء ، وبين الأطلس البحرية ، والصحراوية تقع هضبة الشطوط التى تعلو عن سطح البحر بنحو ٩٠٠ متر ، وهى قليلة الأمطار. **ثالثا** : **الأطلس الكبرى** وتمتد فى المغرب الأقصى [محمد أحمد حسونة: أثر العوامل الجغرافية، ص ٥٢ : ٥٣ . دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ١ ، ص ١٠]

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٠٢ : ١٠٣ . أى الأثر الذى يحدثه البحر فى المنطقة اليابسة المجاورة له على مدى عام كامل ، والذى يعرف "بالمناخ" ومناخ منطقة البحر المتوسط فى الشتاء يكون فيه الجو دافئا ، وفى الصيف يكون فيه الجو حار ، وجافا ، من جهة أخرى توجد بعض المناطق التى تميل إلى البرودة بحيث يتساقط عليها الثلج بها مثل قمم الجبال فى أطلس [حسن الوزان : وصف إفريقية ، ص ٨٢ . د/ كوثر عبد الرسول وآخر: إفريقية ، ص ٣١٧]

والغلال حيث الإرتفاع يجعلها معتدلة الحرارة ، ويوجد الثلج على قمم بعض الجبال طوال العام (١)

وتوجد الزراعة فى معظم بلاد البربر فى المنطقة الممتدة من برقة إلى طنجة على الساحل الشمالى ، وبخاصة المغرب الأوسط ، والمغرب الأقصى، أما المغرب الأدنى فلا يوجد به مياه للزراعة ، بحيث إذا فارقت طرابلس لا توجد أنهار إلى حدود مصر (٢)

القسم الثانى: يتبع البربر البتر ، ومعظم قبائلهم فىالجزء الصحراوى الذى يضم وسط ، وجنوب بلاد البربر ، ويبدأ من غرب مصر إلى جنوب المغرب الأقصى ، ويعتمد هؤلاء البربر فى حياتهم على التنقل بين الهضاب ، والمناطق الجبلية ، حيث تسود حرفة الرعى ، لأن معظم أراضيهم جافة حيث التأثير الصحراوى (٣)

وللزراعة أسس يجب توفرها لإستمرار وجودها على مدار العام ، **الشرط الأول :** موارد المياه سواء كانت أمطارا ، أو أنهارا ، أو عيونا ، أو أبارا ، **الشرط الثانى :** تربة جيدة صالحة لنمو النبات ، **الشرط الثالث :** جو مناسب يساعد على نمو النبات ، وعلى وجود محاصيل جيدة ، وتعتمد الزراعة فى المغرب على ثلاث موارد رئيسية :

المورد الأول : مياه الأمطار ، **المورد الثانى :** مياه الأنهار ، **المورد الثالث :** الآبار والعيون.

أولا: مياه الأمطار : تهب علىالمغرب ، وخاصة الأقصى ، رياح محملة بالأمطار من جهات مختلفة كالتالى : **أولا** من ناحية الغرب تهب رياح تعبر المحيط الأطلنطى محملة بالأمطار فى فصل الشتاء **ثانيا :** من الشمال الغربى تهب رياح شمالية ، تعبر البحر المتوسط تحدث نفس الأثر. **ثالثا :** من ناحية الشرق ، تهب رياح شرقية تكون حارة فى الصيف ، باردة فى الشتاء ، ولا

---

(١) محمد أحمد حسونة : أثر العوامل الجغرافية ، ص ٥٤ .
(٢) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٦٩ .
(٣) د/ يسرى الجوهرى : جغرافيا العالم العربى ، ص ٢٥٥ .

تحمل أمطار إلا بنسبة قليلة ، **رابعا** : من ناحية الجنوب ، تهب رياح حارة محملة بالأتربة ، ويكثر مفعولها فى المناطق الجبلية ، وهناك أودية صغيرة لا يكثر فيها الماء إلا فى فصل الشتاء عند هطول الأمطار ، وخاصة فى المغرب الأوسط (١) وبصفة عامة تبدأ الأمطار فى معظم بلاد البربر بعد منتصف شهر أكتوبر ، وقد ساعد امتداد جبال أطلس من الجنوب إلى الشمال الشرقى على غزارة الأمطار فى تلك البلاد ، وخاصة مناطق الريف ، وغمارة مما يجعلها غنية بأنواع الزراعات (٢)

ثانيا الأنهار : تنقسم الأنهار فى المغرب إلى ثلاثة أقسام : **القسم الأول** : يصب فى المحيط الأطلنطى **القسم الثانى** : يصب فى البحر المتوسط ، **القسم الثالث** : الأنهار التى تتبع من السلسلة الأطلسية ، وتصب فى جوف الصحراء.

القسم الأول : أهم أنهاره نهر الملوية ، وهو صالح للملاحة حينما نقترب من مصبه ، وتكثر مياهه فى فصل الربيع.

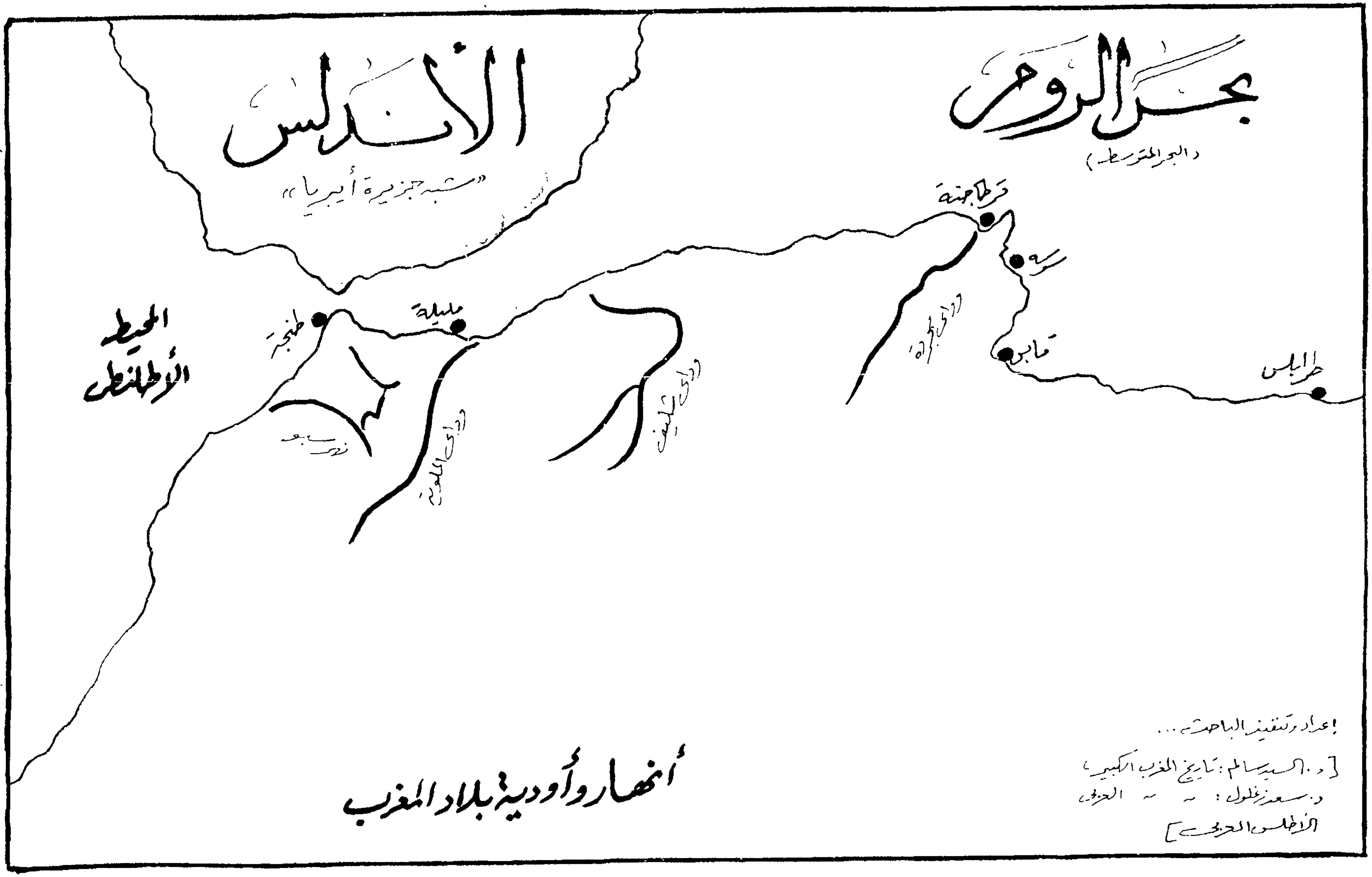
القسم الثانى : مجموعة أنهار تنبع من الأطلس المتوسط ، وأهم أنهاه نهر سبو الذى يمر بمدينة فاس.

القسم الثالث : أهم أنهاره نهر مجردة الذى يصب بالقرب من مدينة تونس.(٣) إنظر الشكل رقم (٩).

أما عن تكوين هذه الأنهار ، فقد أدى سقوط الأمطار الغزيرة فى فصل الشتاء ، وتكوين الثلج على قمم الجبال ، وبقائها فى فصل الشتاء إلى تكوين هذه الأنهار ، حيث يذوب الثلج فى فصل الصيف ، ويجرى الماء فى روافد

---

(١) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٦٩ .
– محمد بن تاويت وآخر : الأدب المغربى ، ص ١١ ، سنة ١٩٦٠م، بيروت .
(٢) د/ سعد زغلول : مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ٦٩ .
(٣) **نهر مجردة** : "بجردة" أول أنهار بلاد إفريقية ، وينتهى إلى البحر الرومى [المراكشى : المعجب ، ص ٢٦٤ تحقيق محمد سعيد وآخرون ، الطبعة الأولى ، سنة١٩٤٩م ، القاهرة .
محمد الفاسى: التعريف بالمغرب ، ص١٢ ، مطبوعات جامعة الدول العربية ، سنة١٩٦١م]


بحر الروم
(البحر المتوسط)
الأندلس
«شبه جزيرة أيبريا»
قرطاجنة
سوسة
قابس
طرابلس
مليلة
طنجة
المحيط الأطلنطي
وادي مجردة
وادي شليف
وادي الملوية
نهر سبو
أنهار وأودية بلاد المغرب
إعداد وتنفيذ الباحث...
[د. السيد سالم: تاريخ المغرب الكبير
د. سعد زغلول: " " العربي
الأطلس العربي]

شكل (٩)

صغيرة ، تلتقى هذه الروافد بعضها مع بعض فيؤدى ذلك إلى تكوين الأنهار ، والأودية. (١)

وبهذا تعتبر جبال المغرب "أطلس" منابع شبه دائمة لمعظم الأنهار الموجودة بها ، وتظهر أهمية هذه الأنهار حينما نعلم أنه كلما اتجهنا إلى الداخل قلت الأمطار ، بل ندرت ، ويتضح هذا بوجه خاص فى منطقة السوس الأقصى التى تعتمد زراعتها على الأنهار التى تتبع من جبال أطلس مثل نهر درن (٢) الذى يفيض فى الشتاء ، كما ينبع من هذه الجبال نهر أغمات نتيجة لذوبان الثلج. (٣)

وقد حاول البربر استغلال مياه الأنهار وتوصليها إلى السهول الزراعية بعدة وسائل منها : تفريع الأنهار إلى جداول ، ويظهر ذلك فى "وادى تساوين" الذى يقع بمقربه من جبل درن أحد جبال أطلس ، ويروى إقليم هكسورة الواقع بمنطقة جبال "أطلس الحالية" (٤) كما تنوعت طرق الرى لدى البربر التى تعتمد فى الغالب على الروافع و السواقى (٥)

ثالثا: العيون : وتعتبر مصدرا طبيعيا لا دخل للإنسان فيه ، وهى تمد الأنهار بالمياه اللازمة بعد انتهاء فصل المطر ، وتستخدم أيضا للزراعة والشرب فى حالة عدم سقوط الأمطار، وجفاف الأنهار، وهناك عيون منتشرة فى مدن كثيرة منها "يجاجين" (٦) وبها عيون عذبة ، وتنتشر العيون بصفة عامة فى السوس الأقصى (٧)

---

(١) ابن الوردى : خريده العجائب وفريدة الغرائب ، ص ١١٢ ، ١١٣ ، مخطوطة بدار الكتب رقم ١٩٥٢١ ، جغرافيا .
(٢) ابن الوردى : المصدر السابق ، ص ١٦ .
مجهول : تاريخ مدينة فاس وبناء جامع القرويين والأندلس ، ص ٨ ، مخطوطة بدار الكتب رقم ٩٧٣٢ ، ح .
(٣) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٢٣٥ . ابن الودرى : مصدر سابق ، ص ١٧ .
(٤) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٧٠ .
(٥) التجانى : رحلته ، ص ١١٨ ، قدم لها حسن حسنى عبد الوهاب ، سنة ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م المطبعة الرسمية تونس .
(٦) **يجاجين** : وهى مدينة جليلة ، بمقربه من سبتة ، تقع على نهر ، بها جامع ، وأسواق ، وحمام ، وهى لمصمودة [الحميرى : مصدر سابق ، ص ٦١٧]
(٧) مجهول : تاريخ مدينة فاس ، ص ٨ .
البكرى : المغرب ، ص ١١٤ .

رابعا: الآبار : وهى من عمل الإنسان ، ويكون وجودها نتيجة مياه جوفية ، وتتركز الآبار فى منطقة طنجة التى يوجد بها مياة جوفية كثيرة ، ويستخرج من سبتة ماء عذب من آبارها (١)

وفى بلاد الجريد فى أقصى الجنوب تقل الأمطار حتى تكاد تنعدم لذلك تعتمد هذه المنطقة بصورة أساسية على الآبار والعيون (٢) ولضمان تدفق المياة بسهولة ، وبدون عوائق كان لابد للسكان من التعاون فى اصلاح وترميم السواقى إذا خربت ، وإذا حدث نقص فى المياه نتيجة عدم التطهير ، فيعمل السكان على تطهير الترع ، والقنوات حتى يتاح للزراع سقى محاصيلهم المختلفة ، وهذا ما حدث فى تطهير وادى مصمودة ، وذلك بكنس مجراه وما يتعلق به ، وينتج عن عملية التطهير رفع منسوب المياه فى الآبار، وكانت تكنس إذا استويت أو خربت ، وكان التطهير يقوم به الزراع المستفيدون من هذه المياه (٣)

التربة : تعد التربة أحد عوامل قيام حرفة الزراعة ، فهى عنصر هام ، لذا نجد ارتباطا قويا بين التربة الخصبة ، وكثافة السكان.

وللتربة فى المغرب أنواع أربعة : النوع الأول ... التربة السوداء ، وتعتبر هذه التربة أفضل الأنواع على الإطلاق ، وتوجد التربة السوداء فى السهول الساحلية الكبيرة مما جعلها من المناطق الرئيسية للزراعة فى بلاد البربر ، ومن هذه المناطق ، سهول السوس الأقصى ، وسهول الريف ، وسهول دكالة هذه السهول تنمو بها أنواع مختلفة من الحبوب مثل ، القمح ، وسائر البقول(٤)

النوع الثانى : التربة الرملية: وتعتبر أقل جودة من التربة السالفة ، لأنها تربة فقيرة تحتاج إلى كثير من العمارة ، وتحتاج أيضا إلى تقوية ، فيوضع بها زبل مخدوم ليقوم بتضيق مسام الأرض ، فتتحسن ، وتجود به زراعة

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٩ .
(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٠٦ .
(٣) الونشريسى : المعيار المغرب ، جـ ٥ ، ص ٢٠ ، ٢٣ ، ٣١ ، ٣٢ ، تحقيق محمد حجى ، وآخرون ، سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، دار الغرب الإسلامية ، بيروت .
(٤) ابن حوقل: مصدر سابق ، ص ٩٢ .

الفواكه كالتين ، والرمان ، والمشمش (١) وهذه الأشجار تكثر فى جبل درن ، ونفوس الأقصى (٢) وتوجد هذه التربة بخاصة فى التلول ، والزوايا ، الموجودة بجبال الريف بدولة المغرب الآن (٣)

النوع الثالث : التربة الحمراء: وهى تربة يابسة ، تحتاج إلى مجهود كبير لخدمتها سواء كان حرثا ، أو تقليبا لجعلها صالحة للزراعة ، بالإضافة إلى حرارة الجو الشديدة التى تؤثر عليها سلبا ، ويزرع فى هذه التربة كل ما يحتاج إليه من محصولات ، وخاصة القمح ، والشعير (٤) ، وهذه التربة تتحمل الماء الكثير ، ونجد هذا واضحا فى برقة حيث بها تربة حمراء شديدة الحمرة(٥)

النوع الرابع : التربة الجبلية: وهى تربة يابسة مائلة إلى الخشونة ليس لها مسام مفتوحة ، مما يجعلها تربة مقصورة على زراعات معينة ، يغلب عليها البرودة ، وتحتاج إلى تقوية مستمرة ، وماء كثير ، هذه التربة يجود فيها زراعة اللوز ، والبلوط ، والنخل ، والزيتون (٦)

وأيا كان نوع التربة ، فقد تميزت المناطق التى يسكنها بربر الشمال بصفة عامة بأنها سهول زراعية خصبة ، فنجد أن مدينة سبتة ذات بساتين وجنان (٧) وفى مدينة تطوان قرى ذات مزارع خصبة (٨) وتنتشرحقولها إلى مسافة كبيرة حيث توجود الأراضى المستوية (٩) بالإضافة إلى سهول دكالة

---

(١) رضى الدين الغزى : كتاب الفلاحة ، ص ١٠٨ ، مخطوطة بدار الكتب ، رقم ٢٤٢ ميكروفيلم ٤١٢٩ ، زراعة ، خليل أغا .
(٢) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٢٩ : ٣٣٠ .
(٣) الغزى : مصدر سابق ، ص ١٩. محمد أحمد حسونة : أثر العوامل الجغرافية ، ص٥٢.
(٤) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ١٠١ .
(٥) اليعقوبى : البلدان ، ص ٣٤٣ ، ليدن ، سنة ١٨٩٥م. الغزى : مصدر سابق ، ص ١٩.
(٦) اليعقوبى : مصدر سابق ، ص ٣٥٠ .
(٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٩ .
(٨) البكرى : المغرب ، ص ١٠٧ .
(٩) يوجد بعض العلامات لنوعية الأراضى :
النوع الأول : الأرض الخصبة الزكية الحرث اذا أصابتها أمطار ، يكثر نبتها فى الشجر ، ويكون ملتفا غليظا.
النوع الثانى : الأرض الوسط يكون ما ينبت فيها من الشجر رقيقا غير ملتف ، متوسط الغلظة.=

التى تمتعت بخصوبتها ، مما نتج عنه ، وجود ثمار ، وخيرات كثيرة ، هذا إلى جانب منطقة السوس الأقصى التى تعتبر أكبر الحقول الخصبة فى بلاد المغرب الأقصى حيث يبلغ طولها حوالى مائة وعشرون ميلا ، وعرضها خمسة وعشرون ميلا ، وتبلغ مساحتها سبعة آلاف ، وخمسمائة ميلا مربعا (١)

هذه المساحة الكبيرة نشأت عليها قرى متصلة ، وعمائر كثيرة ، بها البساتين ، والجنات ، كما انتشرت المزارع الكبيرة فى مدينة أغمات لذلك إمتازت بلادهم بزكاء منابتها ، وطيب أرضها فى السهل والجبل (٢)

طريقة الزراعة : تجهز الأرض قبل الزراعة ، فتعدل ، وتسوى بحيث يؤخذ التراب من المكان المرتفع إلى المكان المنخفض حتى إذا جرى الماء عليه وصل إلى جميع أجزاء الأرض المراد ريها ، فإذا استوت الأرض يتم تقسيمها ، ثم تزرع بالمحاصيل المراد زراعتها ، وقبل إجراء عملية الزراعة لابد من تقوية الأرض ، ورفع درجة خصوبتها ، فكان الزراع يستخدمون مقوى الأرض "السماد العضوى" سواء كان من البقر ، أو الغنم ، أو الخيل أو الحمير ، بالإضافة إلى الكناسات ، ورماد الحمامات ، وزبل الحمام (٣)

المحاصيل الزراعية : ***أولا القمح :*** وهو من المحاصيل الشتوية التى تزرع فى الساحل الشمالى للبحر المتوسط ، ووقت زراعته من سبتمبر إلى يناير ، وميعاد حصاده فى إبريل ، ومايو ، وتنتشر زراعته فى مناطق متعددة منها ، مدينة باجة التى سميت بباجة القمح (٤) لكثرة ما بها من قمح ، ويزرع أيضا فى تونس وطبرقة (٥) وبونة (٦) وتنتشر زراعتة فى سهول السوس الأقصى،

=**النوع الثالث :** الأرض الرديئة نبتها قليل ، وشجرها عبارة عن حشائش رقيقة ضعيفة [الحكيم غسطوس : كتاب الفلاحة الرومية ، جـ ٢ الباب الرابع؟ مخطوطة بدار الكتب رقم ٣٣ زراعة ميكروفيلم ٤٢١٧٤]

(١) دائرة المعارف الإسلامية : جـ ١٥ ، ص ٣٦٩ .

(٢) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٦ . اليعقوبى : البلدان ، ص ٣٦٠ .

(٣) الغزى : كتاب الفلاحة ، ص ٢١ ، ٢٢ .

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٥٦ . ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ١٤٠ .

(٥) **طبرقة** : غير "طبرق" ، فطبرقة تقع بن درنة ، وباجة وبينها وبين بنزرت سبعون ميلا ، وهى على نهر كبير بقرب بحر الروم ، تدخله السفن ، بين طبرقة ، وباجة بحيرة عظيمة ، متصلة بالبحر ، وتصب فيه [الحميرى : مصدر سابق ، ص ٣٨٦ ، ٣٨٧]

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٦ .

بكثرة فى بلاد الجريد التى سميت بذلك لكثرة النخيل بها (١) ، كما اشتهرت مدينة توزى بأجود أنواع التمور الذى ينسب إليها ، ويسمى "شذاخ" (٢) كما امتدت زراعته فى إقليم الزاب ، وخاصة بسكرة ، حيث كثرت بها أنواع التمور مثل الليارى (٣) والكسب (٤) بالإضافة إلى قسنطينة (٥)

كما انتشرت زراعته أنواع أخرى من الفواكة فى إفريقية مثل التين الذى تنتشر زراعته فى مدينة مذكود بإقليم قمونية (٦) ، وطرابلس (٧) كما اشتهرت جبال درن بالتين المتناهى فى الطيب البالغ فى الحلاوة (٨) ويزرع فى بلاد السوس التين ، والأترج، والجوز (٩)

خامسا الكروم : تجود زراعة العنب فى إقليم الساحل ، وينتشر حول مدينتى سفاقس وبنزرت (١٠) ومن المناطق التى تنتشر فيها زراعة الكروم أيضا جبل غمارة (١١) وقد توسع الرومان فى زراعته (١٢) ومن الفواكه المنتشرة فى بلاد المغرب الرومان ، والسفرجل ، وتجود زراعة الفواكه هذه فى بلاد المغرب الأقصى فى جبل درن (١٣) كما وجدت أنواع أخرى من المزروعات مثل الكتان الذى يزرع فى بونة (١٤) وطنجة فى بلاد الزاب.

---

(١) مجهول : الإستبصار ، ص ١٥٠ ، ١٦٠ .
(٢) أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ص ، ١٣٨ هامش .
(٣) **الليارى** : من الأنواع الجيدة للتمر ولونه أبيض أملس [البكرى : المغرب ، ص ٥٢]
(٤) **الكسبا** : لقب يطلق على نوع من التمر وبه جزء فى حجم بيض الحمام ، تكاد تنفذها ببصرك لصفاء لونها ، ورقة بشرتها ، وهم يجعلونه فى ازيار ، إذا أخرجوه منها بقى فى قعر الزير عسل ألذ من عسل النحل ، وأعظم ، ويصنعون منه الحلاوة [الحميرى : الروض المعطار، ص ٤٧٨. البكرى : مصدر سابق ، ص ٥٢]
(٥) اليعقوبى : البلدان ، ص ٣٥٠ .
(٦) البكرى : مصدر سابق ، ص ٧٥ .
(٧) الإدريسى : صفة المغرب : ، ص ١٢١ .
(٨) الحميرى : مصدر سابق ، ص ٢٣٥ .
(٩) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٠ . الحميرى : مصدر سابق ، ، ص ٣٢٩ ، ٣٣٠ .
(١٠) اليعقوبى : مصدر سابق ، ص ٣٥٠ .
(١١) البكرى :مصدر سابق ، ص ١١٤ .
(١٢) الحميرى : مصدر سابق ، ص ٤٥ .
- د/ جلال يحيى: مشكلات الأقليات ص٢٨٦.
(١٣) مجهول : رسالة فى الجغرافيا ، ص ١٩٩ . الحميرى : مصدر سابق ، ص ٢٣٥ .
(١٤) ابن حوقل : مصدر سابق ، ص ٧٧ .

ووادى شلف [١] كما اشتهرت بلاد السوس الأقصى بزراعة السمسم ، وسائر البقول [٢] ، ومن الجدير بالذكر أن معظم هذه المحاصيل ، والفواكه لا توجد معظمها إلا فى المغرب الأقصى ، وكان البربر يقومون برعاية هذه المزروعات ، حيث وجود التربة الخصبة التى تساعد النباتات ، والمحاصيل على النمو ، بالإضافة إلى الأمطار ، وحسن المناخ ، وعندما أتم العرب فتح المغرب على يد موسى بن نصير فى العصر الأموى سنة ٩٢هـ / ٧٠٩م تركوا هذه الأرض فى يد أصحابها ، لكى لا تتأثر هذه المحاصيل ، حيث أنها كانت سياسة جيدة إتباعها الأمويون فى سائر البلدان التى فتحوها ، وجعلوا جل همهم فى فتح المدن ، والبلدان ، ونشر الإسلام ، واللغة العربية ، فنجد أن طائفة الأفارقة أو الأفارق ، كانت تعمل بالزراعة ، والصناعة قبل دخول العرب إلى إفريقية [٣]

الأشجار والغابات :

يتم نمو الغابات ، والأشجار طبيعيا دون تدخل الإنسان فى رزاعتها ، لأن شروط النمو متوفرة من حيث وجود المطر الغزير ، والأرض الخصبة ، وخاصة فى الجبال ، والمرتفعات مما يساعد على وجود أنواع مختلفة من أشجار الغابات ، وأشجار الفاكهة ، فنجد هذا واضحا فى جبل غمارة ، حيث توجد أشجار الأرز التى تستخدم فى صناعة السفن ، وتوجد غابات كثيرة عبارة عن أشجار كبيرة كالبلوط ، والكافور ، والزان [٤] وتعتبر منطقة جبل درن أكثر أشجارا ، فقد انتشرت بهذا الجبل أنواع مختلفة من الأشجار ، مثل الصنوبر ، والأرز ، والبلوط [٥]

---

(١) الإدريسي : صفة بلاد المغرب ، ص ٩٣ . اليعقوبى: البلدان ، ص ٣٥٨ .
(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩١ . اليعقوبى : مصدر سابق ، ص ٣٥٨ .
(٣) د/ عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، جـ ٢ ، ص ٥١ .
(٤) حسن الوزان : وصف إفريقية ، ص ٨٢ .
– د/ طه عبد العليم : جغرافيا العالم الإسلامى ، ص ٣٥٠، سنة١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، بدون مكان.
(٥) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٢٣٥ .
البكرى : المغرب ، ص ١٤٧ .

من ناحية أخرى أدى وجود الأشجار ، والزراعات المختلفة ، وانتشارها فى بلاد البربر ، وخاصة المغرب الأقصى ، إلى انتشار خلايا النحل ، وتربيته مما أدى كثرة انتاج العسل ، فقد اشتهرت بلاد السوس الأقصى ، بعسلها الذى تفوق على عسل جميع الأمصار كما ذكر الحميرى (١)

ملكية الأرض وأوضاع الفلاحين :

بدأت ملكية الأرض الزراعية فى إفريقية مع بداية تأسيس مدينة القيروان ، عندما أمر عقبة بن نافع بتقسيمها خططا ، ودورا ، وكان من نصيب الفهريين المنطقة المجاورة للمسجد ، بالإضافة إلى المنطقة المجاورة لدار الإمارة ، وظلت تابعة لهم حتى اشتراها بشر بن صفوان بغرض توسيع المسجد (٢) أما أراضى النبلاء البيزنطيين ، وخاصة الموجودة على الساحل ، فقد استولى عليها العرب بعد أن هرب الروم ، وطردوا إلى صقلية ، والأندلس (٣) من جانب آخر نجد أن حسان بن النعمان اتفق مع صاحب قرطاجنة (٤) على أن يفتح له بابا لدخول المدينة فى مقابل ، أن يخصص له منطقة بها أرض ، ومنازل ، وخاصة الموجودة بين الجبلين ، والتى يقال لها فحص مرناق (٥) وهى ثلاثمائة قرية فأعطاه حسان ما اشترطه (٦) ويذكر أن حسان بن النعمان قسم الأرض بين العرب والبربر بعد هزيمته للكاهنة (٧) ومع قلة النصوص الدالة على وجود ملكيات ذات حجم كبير خلال العصر الأموى، إلا أن صاحب معالم الإيمان يورد أن مسروق والد محمد بن الزاهد ترك لابنه قرى ، وضياعا كثيرة ، فقد دخل إفريقية مع موسى بن نصير (٨) كما قام موسى بن نصير ببناء دار له عندما رجع إلى القيروان واتخذ فيها

---

(١) الحميرى : الروض المعطار، ص ٣٣٠ .
(٢) البكرى : المغرب ، ص ٢٣ .
(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٣٥ .
(٤) **صاحب قرطاجنة يسمى مرناق:** هو بطريقا كان يحكم قرطاجنة فى وقت فتح حسان لإفريقية [البكرى : مصدر سابق ، ص ٣٧ ، د/ حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٢٣٩]
(٥) **الفحص** : بفتح أوله وسكون ثانيه ، وهو السهل المحيط بالمدينة ، وبالمغرب عدة مواضع منه [ابن الأثير : الكامل ، جـ ٢ ، ، ص ٣٣ . د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ٣١٩]
(٦) البكرى : مصدر سابق ، ص ٣٧ .
(٧) الدباغ : معالم الإيمان ، جـ ١ ، ص ٦١ ، سنة ١٩٦٨م، مصر.
(٨) الدباغ : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٤٥ .

خيلا فسميت "بئر منيه" الخيل (١) وهذا دليل على امتلاك الضياع ، لأن شق الأنهار ، وبناء القصور ، أو الدور الخاصة من لواحق الإقتطاع (٢)

وكان معظم اهتمام خلفاء بنى أمية وعمالهم موجها لنشر الإسلام ، فتركوا الأراضى الزراعية فى يد أصحابها من أهالى البلاد الأصليين ، وكان يفرض على هذه الأراضى خراجا أو ضريبة محدودة ، وهذا الخراج أحد الموارد المالية الهامة بالإضافة إلى الزكاة ، والجزية ، **فالخراج :** هو مقدار معين من المال أو من المحاصيل ، يفرض على الأرض التى فتحها المسلمين عنوه ، ويؤخذ عن الأرض التى أفاء الله بها على المسلمين ، فملكوها ، ثم صالحوا أهلها على أن يتركوهم بخراج معلوم يؤدنه إلى بيت مال المسلمين(٣)

وكان الخراج يجبى نقدا ، أو عينا ، ولم يكن محددا فى مقداره كالجزية ، بل كان يراعى فى تقديره كمية المحصول ، وحالة الأرض من حيث المساحة ، والجودة ، فقد كانت الأرض تختلف عن بعضها من عدة أوجه ، يؤثر كل واحد منها فى زيادة الخراج ، أو نقصانه:

أحدهما : يختص بالأرض من جودة يزكوا بها زرعها ، أو رداءه يقل بها ريعها.

الثانى : يختص بالزرع من اختلاف أنواعه من الحبوب ، الثمار ، فمنها ما يكثر ثمنه ، ومنها ما يقل ثمنه فيكون الخراج بحسبه.

الثالث : يختص بالسقى ، والشراب ، فإذا كانت تسقى بالدواليب فإن ذلك لا يحتمل من الخراج ، ما يحتمله السقى بالأمطار.

الرابع : قرب الأرض ، أو بعدها من البلدان ، والأسواق لزيادة أثمانها ونقصانها. (٤)

أما الزكاة فهى أحد الموارد المالية ، وكان حسان بن النعمان ٧٣ – ٨٥هـ/٦٩٢ – ٧٠٤م أول من أمر بجبايتها ، فولى حنش بن عبد الله الصنعانى على "صدقات الناس ، والسعى عليهم" (١) واقتصر نشاطه على المغرب الأدنى الذى تم اخضاعه فى عهده.

وبلغ الإهتمام بالزكاة حدا كبيرا فى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ٩٩ – ١٠١هـ/٧١٨ – ٧٢٠م حيث عهد بولاية إفريقية إلى اسماعيل بن عبيد الله ، فاهتم بجمع الزكاة.

بالإضافة إلى **الجزية** : وهى المورد الثالث ... فهى تعد مواردا هاما من موارد بيت المال فى إفريقية ، وكانت جبايتها مع بداية الفتح كبيرة ، وصارت تتناقص بأنتشار الإسلام خاصة أيام الخليفة عمر بن عبد العزيز ٩٩- ١٠٠هـ/ ٧١٨ – ٧١٩م الذى حرص على إسلام البربر ، وغيرهم من أهل البلاد المفتوحة (٢)

ثانيا الرعى : انتشرت حرفة الرعى فى بلاد البربر بصفة عامة ، وقد ساعدت على ذلك توافر الكلأ ، والعشب ، وتمتد منطقة الرعى من القيروان شرقا إلى غرب إفريقية ، وبصفة خاصة فى شرق المغرب الأوسط فى منطقة الزاب ، ولما كانت هذه المنطقة تنحصر بين حشائش الإستبس والصحراء فقد وجدت منطقة فسيحة للزراعة حيث توجد الأمطار الكافية(٣)

ومن الجدير بالذكر أن بإفريقية منطقتان زراعيتان **الأولى** الساحل الشمالى الشرقى حيث تقوم حرفة رعى الماشية بها كما تربى الماشية فى المناطق الموجودة بها مراعى غنية كبلاد الريف وتامسنا (٤) وقد استخدم السكان كهوف الجبل لحفظ المواشى فى الشتاء خوفا من البرد (٥) ووجدت

---

(١) المالكى : رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ٣٨ .
(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٤٨ . الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص٩٧.
(٣) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٤٨ .
(٤) طه عبد العليم رضوان : جغرافية العالم الإسلامى ، ص ٣٥٤ ، سنة ١٩٨٠م .
(٥) مارمول: إفريقية ، جـ ٢ ، ص ١٢٧ ، ترجمة محمد حجى وآخرون ، سنة ١٩٨٨، ١٩٨٩م، الرباط.

أعداد كبيرة من الماشية فى المغرب الأقصى بدليل رخص أسعار اللحوم بهـا، كما اشتهرت مدينة سوسه بأطيب لحوم إفريقية ، وذلك لطيب مراعيها (١)

المنطقة الثانية : هى المنطقة الجنوبية فى بلاد الجريد ، حيث تربى الأغنام ، والإبل ، ويطلق عليها ابن خلدون الشاوية (٢) وقد تميزت بلاد البربر بصفة عامة بوجود المراعى ، فنجد فى بداية الفتح ومن خلال غزوة عبد الله بن سعد سنة ٢٧هـ/٦٤٩م حينما تقدمت حملته ، وغنموا غنائم كبيرة ، فقام بنحر الإبل ، والأغنام ، واستاقوا كثيرا من المواشى ما قدروا عليه (٣) وانتشرت المراعى الجيدة فى منحدرات جبال درن المواجهة للجنوب (٤) واشتهرت جبال أوراس بالمراعى الكثيرة (٥) وقد اشتهرت مناطق كبلاد الريف (٦) والسوس الأقصى بانتشار تربية الأغنام ، والماعز بها ، لأن بها مناطقة رعى أقل غنى من مراعى الماشية ، ويعتبر نبات الحلفا من النباتات التى تقوم عليها حرفة الرعى ، ويوجد هذا النبات فى هضبة مراكش ، وما يتاخمها ، كما ينتشر فى منطقة القيروان ، وحيث أن هذه المنطقة صالحة للرعى ، فقد اختارها عقبة بن نافع حين قال لأصحابه "قربوها من السبخة ، فإنه أكثر دوابكم الإبل لتكون إبلكم على باب مراعيها آمنة (٧)

---

(١) البكرى : المغرب ، ص ٣٤ .

(٢) **الشاوية :** معناه القائمون على رعاة الشاه ، والبقر [المقدمة ، ص ٢١٢ . د/ سعد زغلول تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ١٠٣]

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٢٨ .

(٤) مارمول : إفريقيا ، جـ ١ ، ص ٤٤ ، جـ ٢ ، ص ٦٢ .

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٤ .

جبال أوراس : عبارة عن سلسلة جبال فى الجنوب الشرقى من بلدة قسنطينة بالجزائر ، ويبلغ أقصى ارتفاع لها ٢٣٠٠ متر [د/ حسن سليمان محمود : ليبيا بين الماضى والحاضر، ص ١١٢ ، سلسلة الألف كتاب ، بدون تاريخ ، القاهرة]

(٦) **بلاد الريف :** الريف **فى اللغة** أرض بها زرع ، أو هو ما قارب الماء من أرض العرب أو هو حافة البحر ، وأيضا يسمى الريف السعة فى الرزق ، والريف فى **الإصطلاح الجغرافى** يطلق على المنطقة الساحلية بالمملكة المغربية المطلة على البحر المتوسط بالقرب من الحدود الجزائرية إلى ميناء سبتة ، وتتكون من مجموعة السلاسل الجبلية الوعرة ، وتنحدر بشدة نحو البحر ، وتغزر بها الأمطار ، وتتراكم فوق رؤسها الثلوج إبان فصل الشتاء ، وسميت بلاد الريف على اسم هذه الجبال [أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى ، جـ ٢ ، ص ٦٢٠. د/ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ١٢٩]

(٧) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٩ ، ٢٠ .

كما وجد الجمل بأعداد وفيرة فى بلاد البربر كلها ، وبخاصة فى الصحراء ، ويستخدم فى النقل والركوب ، نجد هذا واضحا فى حملات موسى بن نصير فى نواحى إفريقية ، وما أسفرت عنه من جمع أعداد كبيرة من الإبل ، والبقر ، والأغنام ، والخيل. (١)

وينقسم الرعاة إلى ثلاثة أقسام : **الأول** يقوم كبار الملاك باستئجار من يقوم بالرعى ، وتكون الإجارة للرعاة بقدر معلوم. (٢)

النوع الثانى : يقوم صاحب الملكية الصغيرة هو وزوجته بالعمل على تربية، وبيع منتجات الماشية ، والأغنام. (٣)

النوع الثالث : ينتشر نظام الرعى بالمشاركة بعدد متساو بين الماشية والأغنام، بحيث يقومان ببيع هذه الأغنام فى السوق ، وأن يقوم الرعاة بخدمة الحيوانات نظير جزء معلوم ، أو يقوم بخدمة حيواناته مقابل أن يبيع له جزءا منها على أن يخدم له الباقى. (٤)

من ناحية أخرى يوجد رعاة للإبل ، وينتشر هذا النوع من الرعى على حافة الصحراء ، حيث يقل الماء ، مما يؤدى إلى وجود أنواع من النباتات الخشنة الصالحة لرعى الإبل ، والتى لا تصلح طعاما لغيرها من الحيوانات الصغيرة ،ويعتمد هذا النوع من الرعاة فى معاشهم على الإبل يشربون ألبانها، ويأكلون لحومها ، كما يتغذون بالتمر الموجود بالواحات.

---

(١) استخدم العرب **الإبل** فى منطقة شمال إفريقية ، كوسيلة للنقل ، والترحال ، حيث أن الإبل تقوم بالدور الذى تقوم به السكك الحديدية اليوم ، وبما أن الرومان لم يقوموا على هذه الخطوة فتتضح أهمية هذه الخطوة من جانب العرب ، ويرى أحد الدارسين أن دخول الجمل من آسيا إلى شمال إفريقية كان خلال القرن الثالث الميلادى أى قبل دخول العرب إفريقية ، يتضح من هذا أن الجمل كان موجودا بإفريقية قبل مجئ الإسلام إليها ، لكن بمجئ العرب إلى إفريقية إزداد ، وانتشر ، لأنه يعتبر أهم وسائل النقل فى هذه المرحلة ، بل يعتبر أفضلها جميعا لأنها أشهر وسيلة للفاتحين [جورج يعقوب : أثر الشرق فى الغرب ، ص ٣٥ سنة١٩٤٦م ، القاهرة . د/ يسرى الجوهرى : جغرافية العالم العربى ، ص ٨٠ . د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ١٠٥]

(٢) الونشريسى : المعيار المغرب ، جـ ٨ ، ص ٢٢٦ ، ٢٦١ ، ٣٣٠ ، ٣٣٥ .

(٣) المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٣٩ .

(٤) الونشريسى : مصدر سابق ، جـ ٨ ، ص ١٧٩ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ١٩٥ .

ويعتبر هؤلاء الرعاة هم البدو الحقيقيون لأنهم يمتازون بالجرأة ، والفروسية على الإبل ، بالإضافة إلى الحس العالى فى الإستدلال علىالمياه فى الصحراء (١) من جانب آخر يوجد **نوعان** من الرعاة : **الأول** رعاة يجمعون بين الزراعة والرعى عامة ، ويوجد هذا النوع فى المناطق المعتدلة المطيرة ، والمناطق الجافة الصحراوية ، وخاصة فى المنطقة المعروفة بالتلول من المغرب الأوسط ، وفى إقليم الريف ، ووادى ملوية ، ووادى أم الربيع فى المغرب الأقصى ، بالإضافة إلى سفوح تونس الغربية ، وفى طرابلس وجبل برقة فيتحولون بقطعانهم بين المراعى سواء كانت مرتفعة فى الجبال أو المناطق المنخفضة الدفيئة ، النوع **الثانى** : رعاه جمعوا بين زراعة الحبوب ، وتربية الغنم ، والماشية ، وخاصة فى الأقاليم الصالحة لذلك، حيث توجد الزراعة فى الوديان والرعى فى الهضاب والمرتفعات. (٢)

الصيد : تتمتع بلاد المغرب بسواحل كبيرة ممتدة من ناحيتين الأولى سواحل ممتدة ومطلة على بحر الروم و "البحر المتوسط" ، الناحية الثانية سواحل مطلة على البحر المحيط "المحيط الأطلنطى" بالإضافة إلى كثرة البحيرات ، والخلجان ، والرؤوس المتقدمة ، وقد أدى هذا إلى انتشار حرفة الصيد فى بلاد المغرب. (٣)

كما أدى تنوع البيئات البحرية إلى وجود أنواع متعددة ، ومختلفة من الأسماك ، حتى إن مدينة سبتة يوجد به أنواع كثيرة من السمك كالبورى ، وقد اشتهرت إفريقية "تونس" بثروتها المائية سواء من الأسماك ، أو المرجان، حتى إن مدينة بنزرت كان لها نشاط كبير ، وشهرة واسعة فى صيد الأسماك، مما أدى إلى وفرة إنتاجها ، ورخص أسعارها ، وكان السبب فى ذلك تنوع مصادر المياه بها ، حيث توجد بحيرة متصلة بالبحر ، فيمدها بالماء تسمى بنزرت. (٤)

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٨ ،
 - د/ سعد زغلول :تاريخ المغرب العربي جـ ١ ، ص١٠٤ .
(٢) د/ سعد زغلول : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١٠٣ ، ١٠٥ .
(٣) د/ طه عبد العليم رضوان : جغرافية العالم الإسلامى ، ص ٢٥٤ .
(٤) **بنزرت** : "تبزرت" ، وهى مرسى تونس ، وهى مدينة على نهر لها بحيرة عذبة فى جنوبها، وأخرى مالحة فى شرقها [القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٠٩]

ومن هذه البحيرة يستخرج أجود أنواع الحوت فى إفريقية. (١)

لم يقتصر صيد الأسماك على الساحل الشمالى فقط ، فنجد مدينة سفاقس التى تقع على الساحل الشرقى تشتهر بصيد السمك (٢) وتعتبر منطقة هامة لصيد السمك ، كما نجد بالقرب من مدينة بون بركة بها سمك كثير (٣)

صيد الحوت : وكان صيد الحوت نظرا لضخامته يتم عن طريق الرماح ، حيث يوضع فى الرمح أجنحة بارزة تنشب فى ظهره ، ولا تخرج (٤)

صيد المرجان : يوجد صيد المرجان بمدينة سبتة المحاذية لبلاد الأندلس المعروفة بالجزيرة الخضراء ، لكنه قليل الجودة ، كما اشتهرت مدينة مرسى الخزر التى تقع على الساحل بصيد المرجان.

ثالثا: الصناعة : تعتبر الصناعة أحد أسس النشاط الإقتصادى الهامة ، وللصناعة شروط منها المواد الخام ، سواء زراعية كالحبوب ، والأشجار ، والغابات ، أو مواد خام حيوانية كالصوف ، والجلود ، أو مواد خام معدنية ، كالحديد والنحاس وغيره ، بالإضافة إلى الأيدى العاملة ، ورأس المال ، والسوق الذى يتم فيه توزيع المنتجات ، ومما هو جدير بالذكر أن معظم الصناعات التى قامت فى بلاد البربر فى العصر الأموى كانت صناعة يدوية يسيطر عليها الأفراد ، وهناك قليل من الصناعات التى تشرف عليها الدولة ولا يسمح للأفراد بالإشراف عليها مثل صناعة السفن .. فنجد أن عبد الملك ابن مروان الخليفة الأموى ، أمر والى مصر ، عبد العزيز بن مروان ، أن يرسل لحسان بن النعمان ، ألف قبطى ممن لهم خبرة بصناعة السفن ، لإنشاء قاعدة للأسطول الإسلامى ، حتى يتمكنوا من بناء المراكب اللازمة لصد هجمات الروم فى البر ، والبحر ، هذا إلى جانب هجوم المسلمين على الروم، حتى يشغلوهم عن مهاجمة المدن الإسلامية مثل القيروان ، وغيرها ، فأقام

---

(١) البكرى : المغرب ، ص ٥٨ .
(٢) هناك طريقة سهلة لصيد السمك فى هذه المنطقة ، بحيث تصاد بحظائر قد زربت ، وعملت فى الماء فتوجد بأيسر سعى [ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٣]
(٣) البكرى : مصدر سابق ، ص ٥٨ .
(٤) ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، جـ ٢ ، ص ٣٦٥ .

حسان لهؤلاء الأقباط بتونس دارا لصناعة السفن ، وقد ساعد البربر فى هذه الصناعة بتجهيز ، وجر الأخشاب اللازمة لصناعة المراكب ، والسفن (١)

صناعة المنسوجات :

وقد قامت فى بلاد البربر صناعة المنسوجات المختلفة ، واشتهرت بها، فقد اشتهرت بلاد السوس الأقصى بصناعة الثياب كالبرانس والجبب ، والثياب الرفيعة التى تشتهر بها سوسه (٢) والتى يحملها التجار إلى جميع البلاد شرقا وغربا (٣) بالإضافة إلى فرشهم التى ينامون عليها ، وكان للمرأة دور كبير فى هذه الصناعة ، وخاصة فى الجنوب (٤) ، وقد برع الكثير من البربر فى نسج الصوف وكانوا يعتمدون فى صناعة نسيج الصوف على الشعر المأخوذ من الإبل ، والصوف المؤخوذ من الأغنام ، فيصنعون منه الثياب ، والخيام ، والفرش ، والأغطية وغيرها. (٥)

كما اشتهرت مدينة أغمات بصناعة الأكسية الرفيعة ، والثياب الصوفية الفاخرة والعمائم (٦) وفى منطقة السوس الأقصى قامت صناعة الثياب الكتانية(٧) ومن الجدير بالذكر أن صناعة النسيج شهدت عناية خاصة فى العصر الأموى ، لأنها تعتبر من أهم مظاهر التحضر ، والتمدين (٨)

صناعة الجلود : كانت تقوم على صناعة الجلود أنواع منها صناعة "السروج" سواء كانت بسيطة عادية أو مطرزة ، هذا إلى جانب صناعة الأحذية ، والمحافظ ، وتجليد الكتب الذى ظهر قبل عصر الأغالبة بقليل

---

(١) البكرى : المغرب ، ص ٣٨ ، ٣٩ .
(٢) تشتهر مدينة سوسه أيضا بالحرير ، وكان يباع بها غزله زنة المثقال منه بمثقالين من ذهب ، وبها كانت تقصر ثياب القيروان الرفيعة [البكرى : مصدر سابق ، ص ٣٦]
(٣) مجهول : الإستبصار ، ص ١١٩ .
(٤) تتمتع المرأة فى بلاد المغرب بالنشاط ، والحيوية ، والظروف ، والذكاء ، وحسن الجمال [ابن الوردى : خريدة العجائب ، ص ١٥]
(٥) دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٤٧ .
(٦) الحميرى : الرون المعطار ، ص ٤٦ .
ابن الوردى : مصدر سابق ، ص ١٥ .
(٧) الوزان : وصف إفريقية ، ص ١٢٩ .
(٨) د/ حسن الباشا : دراسات فى الحضارة الإسلامية ، ص ١٧٣ ، سنة ١٩٧٥م، دار النهضة العربية القاهرة .

أى فى نهاية العصر الأموى ، وإبتداء العصر العباسى فأضاف الأغالبة إلى تجليد الكتب ، وتحليتها بالتطريز ، والتكامل بالجواهر. (١)

صناعة الزجاج والبلور: فقد كانت لانتشار هذه الصناعة وجود سوق خاص بها فى القيروان (٢) بالإضافة إلى صناعة النحاس ، والفضة ، والذهب، فقد كان الصائغ يصنع السلاسل من معدن النحاس ثم يطليها بماء الذهب ، ثم يبعث بهذه البضاعة إلى السودان (٣)

أما عن الثروة المعدنية : فقد كانت توجد فى مناطق متفرقة بالمغرب، فنجد فى بلاد كتامة (٤) حجر اللازورد ، ومعادن النحاس ، والحديد على ساحل البحر (٥) ومنها يحمل إلى أنحاء إفريقية ،وغيرها حيث تستقر بها قرب الساحل (٦) وفى مدينة طبرقة يوجد معدن المرجان (٧) أما عن معدن الذهب فيوجد فى سجلماسة ، بالإضافة إلى منطقة زويلة التى بها الذهب النقى إلا أن الوصول إليه صعب (٨)

كما كان هناك اهتمام بالتعدين ، والمناجم ، وخاصة لإستخراج "الفضة والكحل ، والحديد ، والرصاص" (٩)

أما عن الصناعات الخشبية فقد ساعد وجودها ، واستمرارها على وفرة الخامات لصناعة السفن ، وغيرها فكان بشمال إفريقية إلى الغرب من تونس كميات وفيرة من الأخشاب خاصة ما كان يرد من غابات الجبال الداخلية (١٠) ففى مدينة بجابة كان الخشب فى أوديتها موجودا بكثرة (١١) أما

---

(١) د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ١٥٩ .
(٢) د/ محمد زيتون : المرجع السابق ، ص ١٦٠ .
(٣) المالكى : رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ١١٧ .
(٤) **بلاد كتامة** : تقع على مرسى بجاية حيث تقع الجبال التى تسكن بها قبائل كتامة [ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٤]
(٥) المراكشى : المعجب ، ص ٣٦٢ .
(٦) البكرى : المغرب ، ص ٣٣ ، ٣٨ .
(٧) الكرخى : مسالك الممالك ، ص ٣٨ .
(٨) الكرخى : المصدر السابق ، ص ٣٩ .
(٩) د/ محمد زيتون : مرجع سابق، ص ١٦١ .
(١٠) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ١٩٩ .
(١١) الإدريسى : صفة بلاد المغرب ، ص ٩٠ .

مدينة بونة فكان بها الخشب الجيد (١) هذا إلى جانب الصناعات الغذائية ، وبخاصة القائمة على زيت الزيتون الذى اشتهرت به منطقة الساحل ، فكانت صفاقس أهم مراكز إنتاجة ، ومنها ما كان يغمر أسواق إفريقية (٢)

الصناعات الغذائية صناعة استخراج زيت الهرجان (٣) الذى يزرع فى جبل درن ، ويتم استخراج هذا الزيت من ثمار شجر الهرجان ، وهو فى حجم حبه المشمش ، عن طريق التجميع أولا ثم يقدم للماعز فتأكل قشرتها العليا ، ثم يجمع ، وينظف ، ويكسر ، ويدق لبه ، ويعصر فيخرج من الزيت الكثير ، وهذا الزيت منتشر فى بلاد المغرب الأقصى ، ويعتبر زيت الهرجان أنقى من زيت الزيتون ، وهناك طريقة أخرى لاستخراج هذا الزيت ، وهى عبارة عن جمع الثمار ، وتركها حتى تزبل ، ثم توضع فى إناء بعد ذلك من الفخار على الحرارة ، فيستخرج دهن طعمه يشبه طعم القمح المقلو ، أما فائدته فهو محمود الغذاء يسخن الكلى ويدر البول (٤)

صناعة العطور : من جانب آخر اشتهرت القيروان بصناعة العطور ، وكان يزرع من الرياحين بمنتزهات منية الخيل بفحصها الشئ الكثير (٥) بالإضافة إلى أن عطورها كانت تصنع أيضا ، مما كان يجلب إليها من رياحين مدينة جلولاء التى فاقت معظم مدن إفريقية بما كان بها من الورود والياسمين فيذكر ابن أبى دينار أنه "كان يدخل القيروان أربعون حملا وردا جلوليا فى اليوم" (٦) كما كان يجلب إلى القيروان من قفصه دهن البنفسج وخل العنصل (٧)

---

(١) الإدريسى : صفة بلاد المغرب، ص ١١٦ ، ١١٧ .
(٢) البكرى : المغرب ، ص ٢٠ . مجهول : الاستبصار ، ص ١١٦ .
(٣) يسمى أيضا بعدة أسماء أخرى ... منها **أركان** ، **أرقان** ، **أو يرجان** ، هذه الشجرة تشبه شجرة الكمثرى ، إلا أنها لا تعلوا كعلو شجرة الكمثرى ، وأغصانها ثابتة من أصلها وهى شجرة لاساق بها ولا شوك لها [الحميرى : الروض المعطار ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٣٣٠]
(٤) ابن خلدون : العبر ، جـ ٦ ، ص ٥٥٧ .
مجهول : رسالة فى الجغرافيا ، ص ١٩٨ . الحميرى : مصدر سابق ، ص ٣٣٠ .
(٥) الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ١٥٨ .
(٦) ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٢٥ .
(٧) أبو الفداء: تقويم البلدان ، ص ١٠٨ .

كما راجت الصناعات المعدنية كالحلى ، والمجوهرات ، وكذلك الأدوات المنزلية (١) وكانت قبيلة لواتة تسيطر على مناجم الفضة بمجانة المعادن القاطنة بها (٢) وحول سجلماسة كان معدن الذهب الفضة يوجد بها كالنبات (٣) بالإضافة إلى بلاد السوس الأقصى الموجود بها معدن الفضة وخاصة زجندر (٤)

أما معدن النحاس : فيوجد فى منطقة السوس بالإضافة إلى معدن التوتيا (٥) ويجلب منها النحاس المسبوغ إلى بلاد الأندلس ، والروم (٦) ويستخدم معدن النحاس فى صناعة السلاسل ، وتدهن بماء الذهب من خلال حرفة الصياغة (٧)

صناعة الأوانى الفخارية : يؤكد وجود تلك الصناعة استخدام البربر المقلاة المصنوعة من الفخار فى زيت الهرجان (٨)

صناعة الزبيب :أدى انتشار مزارع الكروم فى معظم بلاد البربر ، وخاصة فى الساحل المطل على البحر ، إلى قيام صناعة الزبيب ، وكان العنب يؤخذ بعد منتصف شهر أغسطس تحت أشعة الشمس ، وإذا سقطت الأمطار فى شهر سبتمبر يصنع العنب الباقى نبيذا ، ونجد هذا بصورة واضحة فى أقليم الريف (٩)

---

(١) الدباغ : معالم الإيمان ، جـ ٢ ، ص ١٢٤ ، ٢١٢ .
(٢) البكرى : المغرب ، ص ١٤٥ .
(٣) اليعقوبى : البلدان ، ص ٣٥٩ .
(٤) المراكشى : المعجب ، ص ٣٦١ .
(٥) هذا المعدن يوضع على النحاس الأحمر فيصير أصفر [المراكشى: المصدر السابق ، ص٣٦٣]
(٦) مجهول : رسالة فى الجغرافيا ، ص ١٩٧ .
(٧) اشتهرت مدينة إيجلى بالسوس الأقصى بصناعة سبك النحاس الذى يصنع منه أساور ، وحلق، وخواتم ، وكان يصدر إلى بلاد السودان [ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٨٢١]
(٨) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٧١ ، ٣٣٠ .
– مجهول : رسالة فى الجغرافيا ، ص ١٩٨ .
– مجهول : الإستبصار فى عجائب الأمصار ، ص ٢١٢ .
(٩) الوزان : وصف إفريقية ، ص ٨٨ .

طحن الغلال : اشتهرت بلاد المغرب بكثرة انتاج الحبوب كالقمح ، والشعير ، فمن المعتقد أن يكون طحن هذه الغلال عن طريق الإرحاء "الرحايا" وهى نوعان بالمياه أو بالحيوانات ، وكانت الغلال تطحن فى مدينة أغمات بواسطة الإرحاء التى على النهر الذى يشق المدينة (١) لكن فى بلاد السوس الأقصى لم يستخدموا المياه فى إدارة الإرحاء (٢) لذلك نعتقد أنهم استعملوا الإرحاء التى تديرها الحيوانات.

أما عن تعليم الحرف الصناعية : فنجد مثلا فى حرفة الخياطة ، يأتى الغلمان إلى أصحاب هذه الحرفة ليتعلموها ، وكان العمل يرتبط بالإنتاج من خلال كمية معلومة يلتزم بها كل صبى (٣) وكان يطلق على من يعمل فى هذه الصناعة لقب صانع (٤)

رابعا التجارة : تتمتع بلاد المغرب بوحدة جغرافية متصلة بعضها ببعض ، لا توجد حواجز أو مواقع تفصل بين أجزائها المتسعة.

ويوجد طريقان رئيسيان للتجارة : الأول الطريق الساحلى الممتد من برقة إلى طنجة ، مارا بين مختلف المناطق الساحلية ، وقد سلكه العرب من مصر حين أرادوا فتح بلاد المغرب (٥) ويمثل البحر عاملا من عوامل ربط المدن بعضها ببعض (٦) لذلك نجد أن العرب عندما شرعوا فى فتح هذه البلاد قد سيطروا على هذا الطريق ، وقد ساعد هذا الطريق كثيرا من تجار العرب الذين خرجوا لنشر الإسلام **أولا** وخاصة بنى أمية المشهور عنهم المهارة فى حرفة التجارة على الإشتراك فى هذا الفتح ، فنجد أن مروان بن الحكم ، قد اشترك فى بداية الفتح العربى للمغرب مع عبد الله بن سعد سنة

---

(١) ابن الوردى : خريدة العجائب ، ص ١٧ .
(٢) البكرى : المغرب ، ص ١٦٢ .
- الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٣٠ .
(٣) المالكى : رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ١٣١ .
(٤) السقطى : كتاب الحسبة ، ص ٦٢ .
(٥) محمد أحمد حسونة : أثر العوامل الجغرافية ، ص ٥٤ .
(٦) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٧٣ .

٢٧هـ/٦٤٩م، بالإضافة إلى اشتراك ابن عبد الملك فى غزوة ابن حديج [١] ٤٥هـ/٦٢٣م

وقد ساهم فى إزدهار حركة التجارة ، تأسيس المدن العربية على الطريق الساحلى لخدمة الفتح ، والتجارة وخاصة مدينة القيروان ، وتونس [٢] واعتبرت مدينة القيروان مركزا لتجميع ، ونقل التجارة الواردة من البحر المتوسط ، وتوزيعها إلى المشرق ، وبلاد السودان ، من ناحية أخرى نجد الرقيق القيروانى يعبر عن وجود التجار ، وبقائهم عقب مقتل عقبة فى تهوذه بقوله "خرج منها أهلها ، ولم يبق بها إلا أصحاب العيال ، وكل مثقل من التجار" [٣]

الطريق الثانى الطريق الداخلى الصحراوى. ويمتد من غرب مصر إلى الجنوب حتى جنوب المغرب الأقصى ، وعلى الرغم من امتداده فى قلب الصحراء ، وبما يوحى من أول وهلة أنه طريق عسير صعب السير فيه ، لكن هذا الطريق على الرغم من عدم سهولته بالمقارنة بالطريق الساحلى ، إلا أننا نجد به ينابيع المياه المتمثلة فى الواحات الموجود على امتداده ، والتى تعتبر نقاط تزويد للقوافل التى تقطعه من أوله إلى أقصاه ، بالإضافة إلى أن هذا الطريق يعتبر أقصر من الطريق الساحلى بحوالى ثلث المسافة ، وهذا يعنى أن الصحراء مثلها مثل البحر ، تشكل طريقا للمواصلات بين أقاليم المغرب المتخلفة ، فهى بذلك تشكل عامل ربط بينها [٤] لذلك نجد أن بلاد الجريد لها أهمية تجارية كبيرة ، حيث أنها تعتبر مستودعا لمعظم التمور ، والزيتون ، والفواكه ، هذا بالإضافة إلى أنها تتصل بقيطون بياضة [٥] وهى آخر بلاد المغرب التى تعتبر من المراكز التجارية الواقعة على الطريق الصحراوى ، المؤدى إلى مناطق عديدة فى المغرب بصفة عامة ، فنجد طرقا

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٦ .
(٢) د/ طه عبد العليم :جغرافية العالم الإسلامى ، ص ٣٤٠ .
(٣) الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ٤٦ .
(٤) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٧٧ .
(٥) **قيطون بياضة** : وهى على ثلاث مراحل من قفصة ، وبينها وبين نقطة مرحلة ، وإلى توزر مرحلة وإلى نفزاوه مرحلة [الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٨٨]

عديدة تتفرع إلى السودان ، وطرابلس ، والقيروان ، وفيها تتجمع معظم القبائل للخروج من هذه البلاد (١)

من ناحية أخرى تسهم قبائل المصامدة ، وغمارة (٢) وهم من بربر المغرب الأقصى فىالتجارة عبر الصحراء ، وكان جل اهتمامهم متجها إلى بلاد السودان ، على الرغم من بعد طريقهم ، ومشقته ، والأخطار التى تحيط به من هلاك الدواب ، أو التعرض للسرقة والنهب ، والسلب ، ويرجع ذلك إلى المكاسب الكبيرة التى كان يجنيها التجار من أموال ، حيث أن السلع الموجودة فى بلاد السودان كانت قليلة لذلك نجد أسعارها مرتفعة ، كما أن السلع المصدرة إلى السودان قليلة ، لذلك نجد أسعارها مرتفعة أيضا (٣)

ويضيف أحد الباحثين (٤) **طريقا ثالثا** ، وهو طريق القوافل الرئيسى ، الذى يصل بين المدن فى الصحراء ، والمدن على الساحل ، ويشبهه "بالهيكل العظمى الذى يربط البلاد ، ويشد أطرافها من البحر المحيط ، حتى برقة ، هذا إلى جانب الجبال والأدوية المحاذية للساحل التى وصلت الأقاليم الشرقية، بالأقاليم الغربية ، مما يساعد على الوحدة بين الأقاليم الخصبة ، والأقاليم الصحراوية ، مما أدى إلى إعطاء البلاد عمقا يتناسب مع طولها الكبير ، هذا إلى جانب الجبال التى تعتبر عائقا طبيعيا يفصل بين المناطق بعضها البعض، لكن الجبال الموجودة فى المغرب تمتد فى سلاسل أفقية محاذية للساحل ، مما جعلها عامل من عوامل الربط ، والوحدة بين مختلف قبائل البربر ، وخاصة فى المغرب الأوسط ، والمغرب الأقصى ، حيث توجد هذه الجبال.

ومن الجدير بالذكر أن أهم مصادر التجارة التى كانت سائدة فى إفريقية كثيرة منها:

---

(١) البكرى : المغرب ، ص ٧٤ .
(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٥٧ ، ٣٣٠ .
(٣) تمثل القبائل البربرية همزة وصل عبر الصحراء بين أقاليم البحر المتوسط شمالا ، والأقاليم السودانية جنوبا ، فكانت تحمل إلى الجنوب منتجات البحر المتوسط والملح ، وتحمل إلى الشمال الذهب والدقيق والجلود [د/ يسرى الجوهرى : جغرافية العالم العربى ، ص ٨١]
(٤) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٧٧ ، ٧٨ .

١- ***تجارة الزيتون :*** ويعتمد عليها إعتماد كبيرا فى حركة التجارة ، بالإضافة إلى الزيت المستخرج منه ، وفى ذلك يذكر البكرى "أن تجارة الزيت كانت رائجة منذ القدم مع الروم ، ثم توسع فى تصديره إلى مصر ، وصقلية" (١)

٢- ***تجارة المنسوجات والأقمشة :*** كانت هذه التجارة مزدهرة فى أسواق إفريقية ، وقد ساعد على ذلك توافر الخامات كالحرير ، والكتان ، والصوف، فقداشتهرت قابس بالحرير ، كما كان يرد إلى أسواق القيروان أفخر أنواع الثياب الرفيعة ، والعمائم التى اشتهرت بها سوسه (٢) بالإضافة إلى أن مدينة طرابلس بها صناع ، وأمتعة يتجهز بها كثير من الجهات المختلفة (٣)

٣- ***تجارة الحيوانات والطيور :*** فكانت أسواق إفريقية عامرة بالبقر ، والغنم والدجاج ، ومن الدواب ، والإبل ، والبغال ، والحمير بالإضافة إلى رواج تجارة الخيول ، هذا راجع إلى إقبال الناس على اقتناء الخيل للركوب والسباق(٤) التبادل التجارى بين إفريقية ، وبين عدة مناطق مختلفة منها:

بلاد السودان : ومن بداية الفتح العربى لإفريقية ، فطن العرب إلى أهمية بلاد السودان فاتجه عقبة بن نافع بعد استيلائه على فزان إلى كوار (٥) كما أرسل عبيد الله بن الحبحاب حبيب بن أبى عبيدة إلى السوس ، وبلاد السودان (٦) بالإضافة إلى إهتمام عبد الرحمن بن حبيب بذهب السودان من خلال تأمين طرق القوافل بين تادمكت وأدغست (٧) كذلك نجد أن القيروان كانت تصدر إلى السودان بعض المصنوعات منها السلاسل المصنوعة من النحاس المطلى بالذهب الذى يجعل فى اللجم. (٨)

---

(١) البكرى : المغرب ، ص ٢٠ .
(٢) مجهول :الإستبصار ، ص ١١٩ .
- البكرى : مصدر سابق ، ص ١٧ ، ٣٦ .
(٣) الإدريسى : صفة المغرب ، ص ١٢١ .
(٤) المالكى : رياض النفوس ، جـ ١، ص ٢٣٢ .
- الدباغ : معالم الإيمان ، جـ ٢ ، ص١٧.
(٥) تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٢٠٦ .
(٦) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٥١ .
(٧) البكرى : مصدر سابق ، ص ٥٧ .
(٨) المالكى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ١١٧ .

من ناحية أخرى نجد أن بلاد السودان كانت تستورد الملح ، والنحاس، وتصدر الذهب (١) والأبنوس (٢) إلى الدول الخارجية مثل الأندلس ، وصقلية ، هذا إلى جانب طريق القوافل الممتد بين سجلماسة (٣) وبلاد الحبشة ، وخاصة كوكا ، وبلاد أجناوة ، بالإضافة إلى بلاد غانة ، والسودان ، والأخيرة كانت تدخل إليها القوافل من بلاد السوس ، وبلاد المغرب (٤)

التجارة مع صقلية : كانت محدودة فى العصر الأموى ، وكانت بصفة أساسية تعتمد على زيت الزيتون ، وصناعة الزيوت ، وكان إقليم سفاقس من الأقاليم التى تكثر بها زراعة ، وكانت تصدر منه كميات كبيرة إلى مصر ، والمغرب ، وصقلية ، وبلاد الروم. (٥)

التجارة مع الأندلس : كانت توجد علاقة تجارية بين إفريقية ، وبلاد الأندلس ، وقد اتسعت هذه العلاقة بعد الفتح الإسلامى ، ورسوخ قدم المسلمين بهذه المنطقة ، فكانت الأندلس تصدر إلى إفريقية ، الثياب الفاخرة المرصعة ، بالإضافة إلى الحصر ، والسكاكين ، أما السلع التى كانت تصدرها إفريقية إلى الأندلس ، فيأتى فى مقدمتها زيت الزيتون ، بالإضافة إلى التين ، والحنة والزعفران ، والفستق ، والسفرجل المعتق. (٦)

ومما ساعد على إزدهار عملية التبادل التجارى بين إفريقية ، والأندلس وجود الموانى ، والمراسى التى يسرت للتجار القيام بهذه المهمة ، فنجد على ساحل البحر المحيط ميناءان كان لهما دور كبير فى هذا المجال وهما **طبرقة،(٧) وتونس.**

---

(١) روى البعض أن هناك طريقة فريدة لإستخراج الذهب في بلاد السودان ، وخاصة بلاد النوبة ... وهى أن يؤتى بصحاف من الأبنوس ، وصحاف من عظام ريش الطير المتوفر عندهم ، فيغسلون كل ذلك بالرمل ، ويخرجون منه التبر ، ويصدر إلى بلاد المغرب ، والأندلس [مجهول : رسالة فى الجغرافيا ، ص ١٩٣]

(٢) البكرى : المغرب ، ص ١٤٩ . مجهول : مصدر سابق ، ص ١٩٨ .

(٣) د/ يسرى الجوهرى : جغرافية العالم العربى ، ص ٢٧٨ .

(٤) مجهول : مصدر سابق ، ص ١٩٨ ، ٢٠٤ .

(٥) البكرى : مصدر سابق ، ص ٢٠ .

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٧ ، ٨٥ .

(٧) البكرى : مصدر سابق ، ص ٥٧ ، طبرقة مع صغرها ، فإنها اشتهرت بكثرة ورود المراكب بالأندلسين ، والتجار عليها [ابن حوقل : مصدر سابق ، ص ٧٦]

أما الميناء الأول : طبرقة فهى مواجه للأندلس ، ومنها يركبون إليها ، لذلك اشتهرت طبرقة بورود التجار اليها (١)

الميناء الثانى : تونس التى أنشأنها حسان بن النعمان على أنقاض مدينة قرطاجنة لتكون نواه لميناء يستقبل السفن الحربية ، والتجارية ، ويشرف على حوض البحر المتوسط (٢)

الأسواق : تعتبر الأسواق مركزا لحركة التجارة ، ومحورا للحياة الإقتصادية، ففى الأسواق تجرى عمليات البيع ، والشراء خاصة المحاصيل الزراعية ، بالإضافة إلى السلع الأخرى ، لذا تعتبر الأسواق من أهم مظاهر الحياة الإقتصادية.

وكان للسوق فى عهد عمر بن الخطاب إدارة يشرف عليها صاحب السوق المعروف "بصاحب الحسبة" (٣) ولا يتولى هذا المنصب إلا من توفرت فيه عدة شروط منها : أن يكون فقيها فى الدين ، عادلا قائما مع الحق ، نزيه النفس ، عالى الهمة ، ذا أناه ، وحلم مع الناس مع مراعاة آداب السلوك ، والمحافظة على الأخلاق العامة (٤) ويجب عليه النظر فى معايش المسلمين ويتولى هذا المنصب أحيانا القاضى أو الوالى أو صاحب الشرطة ، ويولى عنه نواب فى سائر الأقاليم التابعة له (٥)

وكان المحتسب يبدأ جولته فى الأسواق يتفقد نظامها من حيث ترتيبها، ومواضعها المخصصة كما كان يحول دون بروز الحوانيت حتى لا يعوق

---

(١) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ .
(٢) د/ محمد الزيتون : القيروان ، ص ٦٥ .
(٣) **يعتبر عمر بن الخطاب** أول من وضع نظاما للحسبة ، وكان يستخدم الدرة ، والسوط فى معاقبة المخالفين ، وأخذ هذا النظام ينمو شيئا فشيئا ، وطالت فترة النمو خاصة فى العصر الأموى ، وبعد أن استقر العرب فى إفريقية ظلت موجودة ، ولكن بشكل غير منظم ، ولم تتحدد واجب هذا المنصب بشكل واضح إلا فى نهاية القرن الثانى الهجرى ، والحسبة وظيفة دينية ، يعين فيها من يكون أهلا لها [ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩٨ : ٣٩٩ . د/ حسن الباشا : دراسات فى الحضارة الإسلامية ، ص ٧٥]
(٤) د/ حسن الباشا : المرجع السابق ، ص ٧٦ .
(٥) د/ حسن الباشا : المرجع السابق ، ص ٧٥ .

نظام المرور (١) وكان يطلب من أعوانه الإنتشار فى الأسواق لمراقبة أصحاب التجارات ، بل كان له الحق فى أن يدعوا الباعة إلى دار الحسبة ، ويكلفهم بإحضار موازنيهم ، ومكاييلهم ، لقياسها ومعايرتها (٢) ، كما كان للمحتسب وأعوانه أن يتأكد من أن العملة المتداولة فى السوق غير مزورة ويؤكد هذا ما ذكره ابن خلدون (٣) فى قولة "وأما السكة فهى النظر فى النقود المتعامل بها بين الناس ، وحفظها مما يداخلها من الغش أو النقص"

أما الأسواق فى العصر الأموى فقد كانت تخضع لإشراف موظف يدعى العامل على السوق يتمتع ببعض الصلاحيات القضائية ، والتنفيذية ، ويعين معه بعض الأفراد الذين يساعدون على القيام بعمله لمراقبة الموازيين، والمكاييل وحل الخلافات التى قد تنشأ بين الباعة فى السوق ، ولقد أكد القرآن الكريم على ضرورة ضبط الموازين والمكاييل وعدم الغش فى الكيل والوزن وذلك مراعاة لصالح الناس فقال تعالى "ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون" (٤)

أسلوب التعامل فى الأسواق :

يعتبر النظام النقدى كالتعامل بالدينار ، والدرهم (٥) ، أبرز وسائل التعامل التى سادت الأسواق ، وقيمة العملة المستخدمة هامة لمعرفة الأسعار ، وضبط

---

(١) حسن ابراهيم حسن / النظم الإسلامية ، ص ٢٩٨ سنة ١٩٧٠م، مطبعة النهضة المصرية القاهرة .

(٢) حسن ابراهيم حسن / المرجع السابق ، ص ٢٩٨ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٢٦ .

(٤) سورة المطففين آية ١ : ٣.

(٥) الدينار ، والدرهم ، والدانق ...

أولا الدينار: وهو يونانى مشتق من أحد أعلامها على ما يظن وهو لفظ "دينار يوس" والدينار مقداره منذ تعريبه ٤,٢٥ من الجرام ، والدرهم ٧ : ١٠ من الدينار

ثانيا الدرهم : وهو عدة أنواع *منها بغلى* ، وينسب إلى ضراب يهودى ضرب تلك الدراهم ، وكان يسمى بغل أو رأس البغل ، وهذا الدرهم مقداره ثمانية دوانق.

٢- درهم *طبرى :* المضروب فى طبرستان ، ومقداره أربعة دوانق .

٣- درهم *يمنى :* يساوى ستة دوانق ، ويقال واحد .

٤- درهم *مغربى :* مقداره ثلاثة دوانق.

ثالثا الدانق : بفتح النون أو كسرها ، أو داناق ، أو دانك ، مشتق من اللغة الفارسية ، ومعناه الأحمق ، أو الساقط من الرجال.

والدانق : وحدة صغيرة من وحدات السكة الإسلامية ، ومقداره سدس الدرهم أو وزن ٨,٤ من حبات الشعير المتوسطة ، والوزن الحقيقى للحبة ١/١٠ من المثقال ، أى ٠,٠٤٤٦ جرام=

الإيرادات ، والمصروفات ، وكانت العملة السائدة عند العرب قبل الإسلام "الدينار ، والدرهم" فلما جاء الإسلام أقر التعامل بهما ، ولم يحدث أى تغير ، ولما تولى عمر بن الخطاب رأى أن الدراهم المستعملة مختلفة الوزن فعمل على أن يجمع بين جميع الدراهم المستخدمة ، ويوحدها ، فجعل الدرهم الإسلامى ستة دوانق (١)

وبعد أن إستقر الأمر لعبد الملك بن مروان ، فكر فى توحيد العملة المستخدمة فى سائر أنحاء الدولة لتدعيم البناء الإقتصادى ، والسياسى للدولة، لما فيها تعبير عن سيادة الدولة العربية ، فتداول عملات بيزنطية ، وفارسية يتعارض مع تطبيق سياسة عربية ، سواء كانت إقتصادية ، أو سياسية (٢)

دار سك العملة "ضرب النقود" والسكة هى الحديدة التى يطبع عليها الدينار ، أو الدرهم (٣) وكانت دار ضرب النقود تقع بجوار دار الإمارة بالقرب من المسجد الجامع ، وكان لها ناظرا يشرف عليها ، ويساعده عمال ماهرون فى إذابة المعادن ، وسبكها ، بالإضافة إلى عمليات الوزن ، والنقش، والطبع ، وقد ظلت هذه الدار تؤدى عملها فى القيروان خلال العصر الأموى(٤)

ويعد حسان بن النعمان أول من اهتم بالإصلاحات الإقتصادية فى المغرب ، فقد غير فى الشعار القومى الذى اتخذته قرطاجنة منذ اعتنقت الديانة المسيحية بصورة لا تنافى التقاليد الإسلامية فكان الشعار يرسم هكذا  فرفع رمز الصليب ، ووضع كرة الأرض على العمود الإسطوانى  وجعل ذلك شعار للمسلمين (٥) من جهة أخرى حسان تعديل فى العملة المستخدمة فى المغرب فهى كانت كالأتى :

=أو ١/٩٦ من المثقال أى ٠,٠٤٨ جرام [الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ١٥٤ ، أبو الحسن على بن يوسف : الدوحة المشتبكة ، ص ٨٠ ، تحقيق حسين مؤنس ، المجلد السادس ، سنة ١٩٥٨ مدريد . أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى ، جـ ٢ ، ص ٣٣٢]

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٣٣ .

(٢) د/ السيد سالم : التاريخ السياسى والحضارى للدولة العربية ، ص ٤٢١ : ٤٢٢ .

(٣) أبو الحسن على بن يوسف : مصدر سابق ، ص ٤٩ .

(٤) د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ١٥٤ .

(٥) عبد العزيز الثعالبى : تاريخ شمال إفريقية ، ص ٨٠ الطبعة الثانية ،١٤١٠هـ/١٩٩٠م لبنان.

الإيرادات ، والمصروفات ، وكانت العملة السائدة عند العرب قبل الإسلام "الدينار ، والدرهم" فلما جاء الإسلام أقر التعامل بهما ، ولم يحدث أى تغير ، ولما تولى عمر بن الخطاب رأى أن الدراهم المستعملة مختلفة الوزن فعمل على أن يجمع بين جميع الدراهم المستخدمة ، ويوحدها ، فجعل الدرهم الإسلامى ستة دوانق (١)

وبعد أن إستقر الأمر لعبد الملك بن مروان ، فكر فى توحيد العملة المستخدمة فى سائر أنحاء الدولة لتدعيم البناء الإقتصادى ، والسياسى للدولة، لما فيها تعبير عن سيادة الدولة العربية ، فتداول عملات بيزنطية ، وفارسية يتعارض مع تطبيق سياسة عربية ، سواء كانت إقتصادية ، أو سياسية (٢)

دار سك العملة "ضرب النقود" والسكة هى الحديدة التى يطبع عليها الدينار ، أو الدرهم (٣) وكانت دار ضرب النقود تقع بجوار دار الإمارة بالقرب من المسجد الجامع ، وكان لها ناظرا يشرف عليها ، ويساعده عمال ماهرون فى إذابة المعادن ، وسبكها ، بالإضافة إلى عمليات الوزن ، والنقش، والطبع ، وقد ظلت هذه الدار تؤدى عملها فى القيروان خلال العصر الأموى(٤)

ويعد حسان بن النعمان أول من اهتم بالإصلاحات الإقتصادية فى المغرب ، فقد غير فى الشعار القومى الذى اتخذته قرطاجنة منذ اعتنقت الديانة المسيحية بصورة لا تنافى التقاليد الإسلامية فكان الشعار يرسم هكذا  فرفع رمز الصليب ، ووضع كرة الأرض على العمود الإسطوانى  وجعل ذلك شعار للمسلمين (٥) من جهة أخرى حسان تعديل فى العملة المستخدمة فى المغرب فهى كانت كالأتى :

=أو ١/٩٦ من المثقال أى ٠,٠٤٨ جرام [الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ١٥٤ ، أبو الحسن على بن يوسف : الدوحة المشتبكة ، ص ٨٠ ، تحقيق حسين مؤنس ، المجلد السادس ، سنة ١٩٥٨ مدريد . أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى ، جـ ٢ ، ص ٣٣٢]

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٣٣ .

(٢) د/ السيد سالم : التاريخ السياسى والحضارى للدولة العربية ، ص ٤٢١ : ٤٢٢ .

(٣) أبو الحسن على بن يوسف : مصدر سابق ، ص ٤٩ .

(٤) د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ١٥٤ .

(٥) عبد العزيز الثعالبى : تاريخ شمال إفريقية ، ص ٨٠ الطبعة الثانية ،١٤١٠هـ/١٩٩٠م لبنان.

ومن الجدير بالذكر أن قيمة الدينار ٢٤ قيراطا ، والقيراط ٧٢ حبه شعير ، أما الدرهم فمنه أربعة دوانق ، وللدرهم شكل مدور فى العصر الأموى وحتى ظهور الدولة الموحدية وعليه نوع من النقش البيزنطى ، ونسبة وزن الدرهم إلى وزن الدينار ٣ : ٢ أى أن كل ثلاثة دراهم فضة تزن دينار من الذهب (١)

ومن الأدوات التى تدخل فى نطاق العملة: الصنوج ، وهى قطعة مستديرة بقدر الدرهم ، أو الدينار تتخذ من الزجاج ، ويرسم على أحد وجهيها فقط كتابة بارزة تدل على أن مثقالها هو وزن الدرهم ، أو الدينار الشرعى ، وغالبا ما يكتب عليها اسم الأمير ، أو الوالى الذى أمر بضربها ، وبهذه الصنج يتمكن الصيرفى أو التاجر من معرفة النقص فى وزن الدرهم ، أو الدينار. (٢)

وقد انتشرت الأسواق فى معظم بلاد البربر ، فنجد أسواق **برقة، وإفريقية ، والمغرب.**

أولا:أسواق برقة : اشتهرت أسواق برقة بأنواع من الأكسية (٣) والثياب الصوفية نظرا لوفرة الحيوانات ، وتعتبر برقة أول منزل ينزله القادم من مصر ، وبها من التجار ، وكثرة الغرباء فى كل وقت ما لا ينقطع طلابا لما فيها من التجارة ، وعابرين عليها مغربين ، وشرقيين ، ومن بين منتجاتها الجلود ، والتمور ، والقطران التى ترد إلى أسواقها من مدينة أوجلة (٤) وكان يعرض بأسواق برقة بيوع الصوف ، والفلفل ، والعسل ، والشمع ، والزيت ، ومعظم التجارة الصادرة من الشرق ، والواردة من الغرب (٥)

---

(١) أبو الحسن على بن يوسف : الدوحة المشتبكة ، ص ٨١ .
(٢) حسن حسنى عبد الوهاب : الورقات ، القسم الأول ، ص ٤١٠ ، ٤١٤ ، ٤١٩ ، سنة١٩٦٤م، تونس . د/ محمد زيتون : لقيروان ، ص ١٥٤ .
(٣) البكرى : المغرب ، ص ٤ ، ٥ .
- المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٣٩ ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٠٦م ، القاهرة .
(٤) **أوجلة :** أوجيلة : بالقرب من أجدابية من أعمال برقة [ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٧٠. محمد شفيق غربال:الموسوعة العربية الميسرة ، جـ ١ ، ص ٢٤٢]
(٥) الإدريسى : صفة المغرب ، ص ١٣١. ابن حوقل : مصدر سابق ، ص ٦٩ .

ولبرقة أسواق متعددة حافلة بأنواع الثمار ، والحاصلات الزراعية ، منها سوق أوجلة ، الحافل بأنواع الثمار ، والحاصلات الزراعية ، حيث يوجد بها أسواق ، وجنان ، ومزارع كثيرة ، مما يفيد كثرة المعروض بتلك الأسواق من حبوب ، ومزروعات مختلفة (١)

ومن أسواق برقة **ودان** : وهى من أعمال برقة ، وهى عامرة بجميع أنواع التمور المتعددة (٢)

أما أسوق **لمطة** : فقد كانت تشتهر بالورق الأبيض، كما كانت تشتهر بنوع من الجلود المتينة (٣) وأخيرا أسواق زويلة التى تشتهر بالجلود المصنعة ، بالإضافة إلى تجارة الرقيق حيث إمتلات أسواقها بالكثير من العبيد (٤)

ثانيا:أسواق إفريقية "القيروان" والمغرب :

يعد سوق القيروان أشهر أسواق إفريقية والمغرب ... يحيط هذا السوق بالمسجد الكبير ، وقد خصص الطريق الرئيسى الذى يقع فيه لجميع المتاجر ، والصناعات ، وقد ورد فى وصفه أن سوق القيروان كان سطحا متصلا فيه جميع المتاجر والصناعات ، طوله من باب أبى الربيع "فى الجنوب" إلى الجامع ميل وثلثى الميل ، ومن الجامع إلى باب تونس ثلث الميل، وكانت السلع الموجودة بسوق القيروان منتشرة حول المسجد الجامع فى غير نظام ، ولا ترتيب حتى أمر الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥هـ / ٧٢٣ - ٧٤٣م) عامله عبيد الله بن الحبحاب (١١٦ - ١٢٣هـ/٧٣٤-٧٤١م بتنظيمة ، وترتيبه. (٥)

وكان من أثر تنظيم سوق القيروان ظهور الأسواق المتخصصة ، كسوق التمارين لبيع التمر (٦) وسوق العطارين الذى يضم مختلف أنواع

العطارة ، وسوق الصوافين ، وسوق الكتانيين ، وسوق الغزل (١) وسوق السراجين (٢) وسوق الوراقين لبيع الرقوق الجلدية ، وأدوات الكتابة. (٣)

على أن هناك بعض الصناعات ، والتجارات قد أبعدت أسواقها عن قلب المدينة ، فأقيم بعضهاعلى مقربة من السور لحاجتها إلى مكان فسيح مثل سوق الدجاج بجوار باب تونس (٤) كذلك اقتضت الضرورة أن تقام بعض الأسواق خارج السور لأن منتجاتها ذات رائحة كريهة تؤذى السكان كسوق الدباغين (٥) واللحاميين (٦) والحدادين ، وكان يباع فيه الآلات الحديدية كالسيوف ، والرماح والحراب وغيرها.(٧)

وكان من الطبيعى بعد أن اتسعت المدينة أن تقوم بها عدة أسواق منها ما سمى بأحد معالم المدينة كسوق دار الإمارة (٨) كما نسب بعضها إلى بعض مشاهير الرجال "كسوق اسماعيل" نسبة إلى إسماعيل بن عبيد الله الأنصارى، وكان يقع هذا السوق بجوار مسجده بمحرس الأنصار. (٩)

كما كان بالقيروان سوق يسمى بسوق الخميس ، وآخر يسمى الأحد(١٠) ولعل هذا السوق كان من الأسواق الأسبوعية التى يخصص للتجارة فيها يوم واحد فى الإسبوع تعرف به .

أما أسواق مدينة **لبده :** فكانت عامرة بصنوف الفاكهة كالخوخ والكمثرى ، وقد اشتهرت بإنتاجها الجيد.

---

(١) الدباغ : معالم الإيمان ، جـ ٢ ،.ص ٢٣٦ .
(٢) المالكى : رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ١٠٩ .
(٣) الدباغ : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ٩ .
(٤) الدباغ : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٣٦ .
– حسن حسنى عبد الوهاب : بساط العقيق ، ص ٦ سنة ١٣٣٠هـ تونس .
(٥) الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ١٥٨. ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١، ص٩٨.
(٦-٧) الدباغ : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ٤٨ .
(٨) أبو العرب : طبقات علماء تونس ٥٩ . حسن حسنى :ورقات عن الحضارة ، جـ ١، ص٦١.
(٩) أبو العرب : مصدر سابق ، ص ٩٧ . حسن حسنى : مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ٦١ .
(١٠) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٤ .

أما أسواق مدينة **سرت** فكانت عامرة بأصناف التمور ، والفواكة، والأعناب ، وقد اشتهرت أيضا بصناعة الأكسية ، والبسط الصوفية لوفرة إنتاجها من الأغنام. (١)

أما أسواق مدينة **طرابلس** ، فكانت عامرة بمختلف المحاصيل التى تنتجها القرى المحيطة به ، خاصة الفواكه ، والتمور ، والعسل. (٢)

كما كان لسوق مدينة **شروس** الواقعة فى وسط جبل نفوسه شهرة كبيرة ، حيث إنها تشتهر بالكروم ، والتمور الجيدة ، بالإضافة إلى الشعير الذى كانوا يعتمدون عليه فى صناعة الخبز ، وحتى وصف هذا الشعير بأنه أطيب من خبز الحنطة (٣)

كما عمر سوق مدينة **قابس** بالثمار الوفيرة كالموز ، وأصناف كثيرة من الفاكهة ، ومن الجدير بالذكر أن مدينة قابس تشتهر بكثرة شجر التوت الذى ينتج منه الحرير الطبيعى ، ويعتبر من أجود ، وأرق أنواع الحرير ، وليس فى عمل إفريقية حرير إلا فى قابس (٤) فضلا عن الصناعات الجلدية التى تشتهر بجودتها لتفوق ملمسها (٥)

أما سوق مدينة **قسنطينة** ، فقد كان يعرض فيه منتجاتها من التمور ، والزيتون ، وتميزت برخص سعر التمر لوفرته ، حتى كان الحمل يباع بدرهمين (٦)

وكان سوق مدينة **طنجة** عاصمة إقليم الزاب عامرا بصنوف إنتاج الأقاليم الزراعية من القطن ، والحنطة ، والشعير ، والفواكه (٧)

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٠ ، ٧١ .
(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ١٢٤ .
(٣) ابن حوقل : مصدر سابق ، ص ٩٢ .
(٤) البكرى : المغرب ، ص ١٧ ، ٧٢ .
- المقدسى : مصدر سابق، ص ٢٢٤ .
(٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٠٤ .
(٦) المقدسى : مصدر سابق ، ص ٢٣٠ .
(٧) ابن حوقل : مصدر سابق ، ص ٨٤ .

أما أسواق مدينة **بونه** فقد عمرت بتجارة الغنم ، والماشية ، وخاصة البقر ، واشتهرت بانتاج الصوف ، وتصنيعه (١) بالإضافة إلى منتجات القرى المحيطة بمدينة بونه من الفواكه ، والكروم ، والقمح ، الشعير ، والكتان (٢)

كما اشتهر سوق مدينة **تاهرت** بعرض الإنتاج الزراعى للمنطقة من الكتان ، والحبوب ، والسمسم فضلا عن العسل ، ومنتجات الحيوان ، وحيث اشتهرت بتربية أعداد كبيرة من الماشية (٣) كما عمرت أسواق مدينة سجلماسة بالمنتجات الزراعية ، وخاصة الذرة ، والتمور ، والأعناب ، وأنواع الذبيب ، ويذكر ابن حوقل أن الزراعة بها كانت تعتمد على ماء نهرهم "الذى يزيد كزيادة النيل فى مصر بمائة حسب زروع مصر". (٤)

كما اشتهر سوق مدينة **أغمات** فى السوس الأقصى بعرض كثير من المنتجات الزراعية ، وأهما قصب السكر ، والجوز ، واللوز ، والسمسم ، وأنواع البقول.

وذخرت أسواق مدينة **سبتة** بأنواع المزروعات من الكتان ، والفاكهة، والبقول ، وقصب السكر الذى يرد من المدن المجاورة لها. (٥)

من جهة أخرى روعى وجود السوق عادة بين المناطق العامرة بالسكان ، وكان أكثر الأسواق ازدهارا ، القريب من المسجد الجامع حيث تكثر حركة البيع والشراء ، فكانت أسواق القيروان تحيط بالمسجد الجامع ، وكان الطريق الرئيسى الذى يقع فيه المسجد الجامع مقر الأسواق. (٦)

وكان البيع والشراء يجرى طوال ايام الأسبوع بالأسواق الكبرى بالمدن مثل سماط سوق القيروان ، أما الأسواق الصغيرة التى تعقد فى نواحى

(١) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ١٢٦ .
(٢) الإدريسى : صفة المغرب ، ص ١١٦ ، ١١٧ .
(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٦ .
(٤) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٩ .
(٥) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ٢٦ .
(٦) البكرى : المغرب ، ص ٢٥ .
- اليعقوبى : البلدان ، ص ٣٤٧ - ٣٤٨ .
- الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ٤٦٥ .
- ابن خرداذ به : المسالك والممالك ، ص ٨٧ ، طبعة ليدن ، بدون تاريخ.

المدينة ، أو القرى فكان البيع ، والشراء يقتصر على أحد أيام الأسبوع مثل سوق الأحد بالقيروان (١) وسمى بذلك لانعقاده يوم الأحد كل أسبوع.

(١) المالكى : رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ٣١٢ .
- الدباغ : معالم الإيمان ، جـ ١ ، ص ٤١.

الفصل الرابع

الباحث

الحالة الإجتماعية لدى البربر في العصر الأموى

- القبيلة
- توزيع القبائل البربرية
- العصبية ودورها في المجتمع البربرى
- عناصر المجتمع فى بلاد المغرب
- النشاط الصناعى
- مظاهر الحياة الإجتماعية
- الإحتفالات العامة والخاصة

الفصل الرابع

الحالة الأجتماعية لدى البربر فى العصر الأموى

مما لا شك فيه أن التنظيم الإجتماعى لشعب البربر يقوم على أساس قبلى فالبربر قسمان : **برانس** ، **وبتر** ، ومنهما يتفرع البربر إلى عدة قبائل رئيسية ، ومن هذه القبائل الرئيسية تنبثق قبائل صغيرة ، ثم تنقسم هذه القبائل إلى فروع ، وبطون ، وأفخاد ، وفصائل .

وعلى هذا ينقسم البربر إلى عدة فئات إجتماعية ، على رأس هذه الفئة الإجتماعية بصفة عامة **شيخ القبيلة** .. وشيخ القبيلة يطلق عليه عند البربر لفظ "**أمغار**" بمعنى رئيس ، أو كبير ، أو سيد ، أو زعيم القبيلة (١) يعتبر شيخ القبيلة أعلى سلطة تنفيذية فى القبيلة ، حيث يتولى شئون القبيلة تبعا للتقاليد، والعادات الخاصة بالقبيلة ، فيعين الضعفاء ، ويفتح بيته للنزلاء والأضياف ، ويدفع الديات عن فقراء قبيلته ، ومن الجدير بالذكر أن لشيخ القبيلة صفات، وشروط لابد من توافرها فيه حتى يستطيع أن يتولى هذا المنصب ، منها أن يكون من ذوى العصبية ، ورجاحة العقل ، والغنى ، والهيئة ، والسخاء، والحلم ، والشجاعة ، والحنكة ، والمحافظة على تماسك القبيلة فرب هفوه صغيرة تصدر منه تثير حربا أو تسبب كارثة للقبيلة (٢)

القبيلة : هى جماعة من الناس ينتمون إلى أصل مشترك تجمعهم وحدة الجماعة ، وتربطهم رابطة العصبية (٣) للأهل والعشيرة .

والقبيلة فى البادية دولة صغيرة ، لها مقومات الدولة باستثناء الإرض الثابتة التى تحدد منطقة نفوذها ، فأهل الوبر بسبب تنقلهم الدائم وراء مصادر

---

(١) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص٤٦٤ .

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ٤٦٤ . د/ السيد سالم : التاريخ السياسى والحضارى للدولة العربية ، ص١٢ .

(٣) **رابطة العصبية** : هى شعور بالتماسك ، والتضامن ، والإندماج بين من تربطهم الدم ، وتقوم العصبية أساسا على النسب [د/ السيد سالم : مرجع سابق ، ص٩]

المياه لم يكن لهم أرض ثابتة (١)

وتعتمد القبيلة على قاعدة أساسية : وهى الأسـرة ، التـى تنسب إلـى فرع رئيسى سواء كان لجد ، أو لأب ، ومن هنـا تـأتى محافظـة القبيلـة علـى نسبها، بحيث لا تسمح بدخول فروع غريبـة إلـى القبيلـة بصفـة عامـة ، لذلك يكون الإتحاد القوى بينهم عن طريق رابطة الدم ، ممـا يجعل الإرتبـاط بين الأفراد وثيقا إلى الحد الذى يجعل كل فرد مسئولا عن الجريمـة التـى يرتكبهـا أحد أفراد أسرته (٢) والفرد يلبى نداء قبيلته إذا دعته إلـى نصرتهـا فـى ساعة الخطر ، ويقبل الفرد داخل القبيلة تحمل بعض مسئولية أعمال غـيره (٣) وكـل قبيلة تحكم تبعا لرغبات الأهليـن أنفسـهم بـلا تدخـل مـن أحد (٤) وقـد تتفـاوت القبيلة من حيث عدد أفرادها (٥) فنجد شكل القبيلة قد يتحول إلى شكل الأمـة ، أو الشعب ، فنرى قبيله زناته ، وصنهاجـة تضم كل واحدة منهـا عـددا مـن القبائل ، حتى إن صنهاجة تبلغ فى عددها حوالى ثلـث أمـة البربر (٦) وتضـم القبيلة طبقات إجتماعية متعددة تعتبر قاعدة المجتمع البربرى وتشمل العلماء ، والتجـار ، والصنـاع ، والـزراع ، والرعـاة . بالإضافـة إلـى اليهـود ، والنصارى، وقـد تمكـن العـرب مـن الإستقرار خـلال العصـر الأموى وعـن طريق هذا الإستقرار تم الإندماج بين القبـائل البربريـة ، وخاصـة بعد ولايـة حسـان بـن النعمـان التـى امتـازت بالإهتمـام بـالعمل الإدارى الـذى أدى إلـى استقرار القبـائل العربيـة الوافدة إلـى المغـرب ، فاستقرت حيث مكـن لهـا ، وبدأت حياتها على هذه الأرض التى فتحها ، وصالحت عليها (٧)

من جانب آخر لا تعرف القبيلة الحدود السياسية الموجودة الآن ، وإنما لها مناطق نفوذ تستطيع أن تتحرك فيها بسهولة ويسر ، فنجد القبائل البربريـة

---

(١) د/ السيد سالم : التاريخ السياسى والحضارى للدولة العربية ، ص١٠ .
(٢) محمد عبدالفتاح إبراهيم : إفريقية الأرض والناس،ص٥٩،مكتبة الأنجلو المصرية،بدون تاريخ.
(٣) د/ السيد عبدالعزيز سالم : مرجع سابق ، ص١٠.
(٤) محمد عبدالفتاح ابراهيم : مرجع سابق ، ص٥٨.
(٥) لكل فرد الحق فى الحديث فى هذا المجتمع ، وإن كانت السيطرة فى الواقع ترجع إلى كبار السن وحدهم [محمد عبدالفتاح ابراهيم : مرجع سابق ص٥٨]
(٦) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص١٥٢ . د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ١ ، ص٩٨ ، ٩٩ .
(٧) د/ شكرى فيصل : المجتمعات الإسلامية فى القرن الأول ، ص١٧٠ ، سنه ١٩٥٢م، مصر .

كانت موزعة فى إفريقية على مساحات كبيرة قبل الفتح الإسلامى ، فنجد مثلا فى مدينة برقة قد إستقرت قبيلة لواته التى عقد معها عمرو بن العاص صلحا فى بداية الفتح الإسلامى (١) ويرجع استقرار قبيلة لواته فى برقة منذ قدوم البربر إلى بلاد المغرب (٢) وقد تفرعت قبيلة لواته إلى عدة قبائل منها فزاره، ومغرطه ، ومصعونه ، وزكوده ، ومزاته (٣) وقد ساعد استقرار قبيلة لواتة فى هذه المنطقة إلى إمتداد نفوذها من سرت إلى مدينة أجدابية ، بالإضافة إلى المناطق الممتدة على سواحل برقة وطرابلس ، فضلا عن المناطق الممتدة فى الصحراء التى تسيطر على طرق قوافل التجارة بين السودان ، وموانى البحر المتوسط إلى التجارة مع مصر فى الشرق ، وقد شاركتها قبيلة مسراته فى التجارة بين مصر ، وبلاد الجريد بين إفريقية وأرض السودان (٤) وفى مدينة طرابلس ، كانت تسيطر عليها قبيلة هوارة البرنسية من أول مدينة تورغه من آخر أعمال مدينة سرت إلى طرابلس ، وظلت هوارة تسيطر على طرابلس خلال العصر الأموى ، حيث انطلقت منها عدة ثورات شاركت فيها قبيلة هوارة (٥) وقد استقرت أيضا فى السواحل الممتدة من سرت إلى شرقى جبل نفوسة (٦) كما شاركت قبيلة زناته قبيلة هوارة فى سكنى طرابلس (٧) بالإضافة إلى إستقرار قبيلة نفوسة فى جبل نفوسة وجبل طرابلس (٨) وفى مدينة **قابس** كانت تسكن كثير من القبائل البترية من لواتة ونفوسة ، ويسكن فى جلولاء قبائل من ضريسة ومرينة (٩) وبالقرب من مدينة سفاقس كانت تستقر قبائل من لواته ونفوسة (١٠) كما وجدت عشائر صغيرة تعود إلى هوارة قرب مرماجنة فى وادى مجردة الأعلى (١١) وفى بلاد الجريد كانت تسكن قبائل

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص٢٨٨.
(٢) الإدريسى : صفه بلاد المغرب ، ص٥٧.
(٣) اليعقوبى : البلدان ، جـ١ ، ص٢٤٤.
(٤) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص١٤٢.
(٥) ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص٣٠١.
(٦) الجربى : مؤنس الأحبة ، ص٣٢.
(٧) الجربى : المصدر السابق ، ص٣٢.
(٨) اليعقوبى : مصدر سابق ، جـ١ ، ص٣٤٧.
(٩) البكرى : المغرب ، ص٥٣ ، ٥٤ .
(١٠) ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ٦ ، ص ١١٤ ، ١١٨.
(١١) اليعقوبى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٢٤٨.

بدوية حيث تكثر بها الواحات بالقرب من نفطة وتوزر ، وقفصة قبائل نفزاوة وحول بسكره قبائل سدراتة وبنو مغراوة (١) كما يسكن قسنطينة بعض بطون نفزاوة (٢) أما مدينة الأربس (٣) فكانت عامرة بالبربر من بطون هوارة التى امتدت من ضواحى الأربس ، وتبسة ، وساحل تونس حتى ضواحى باجة (٤) أما كتامة فكانت تمتد فى المنطقة الواقعة بين بجاية وقسنطينة ، كما كانت قبائل زوارة تتاخم منطقة استقرار قبيلة كتامة (٥) واستقرت حول مدينة باغة قبائل مزاته وضريسة (٦) وفى باجة استقرت قبيلة صنهاجة فى الجبال المطلة على المسيلة (٧) كذلك كان جبال الأوراس موطنا لكثير من القبائل خاصة أوربة التى سكنت فى غرب الزاب والأوراس منذ بداية الفتح (٨) وجراوة قبيلة الكاهنة فضلا عن قبائل من هوارة ، ومكناسة ، وكتامة ، ولواتة ، ونفزة، ونفوسة ، ومديونة (٩) **على الجانب الأخر** انتشرت القبائل العربية فى مختلف أنحاء إفريقية ، فنجدنهم يتركزون بصفة خاصة فى المدن الكبرى، ونقاط الحاميات ، فنجد مدينة برقة من أوائل المدن التى استقر بها العرب نظرا لقربها من مصر ، بالإضافة إلى أنها تعتبر مقر لإستقبال الحملات المتقهقرة ، وإعدادها مرة أخرى لاستئناف الحملات مرة أخرى ، فنجد زهير ابن قيس البلوى تراجع أمام كسيلة ، وكان يريد برقة ولكنه قتل ، وأيضا حسان بن النعمان فبعد هزيمته من الكاهنة رجع إلى برقة واستقر بها وبنى

---

(١) البكرى : المغرب ، ص ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٢ .
(٢) ابن خلدون : العبر ، جـ ٦ ، ص ١١٦.
(٣) **مدينة الأربس** : بالضم ثم السكون ، والباء مضمومة : مدينه بإفريقية بينها وبين القيروان ثلاثة أيام من جهة المغرب [البكرى : مصدر سابق ص٤٦ .
– ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١، ص ١٦٥ ،]
(٤) المصدر السابق : جـ٦ ، ص ١٤٢.
(٥) المصدر السابق : جـ ١ ، ص ١٢٨.
(٦) البكرى : مصدر سابق ، ص ١٤٤ ، ١٤٥.
(٧) ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ٦ ، ص ١٤٥.
(٨) ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ٦ ، ص ١٤٦ .
(٩) اليعقوبى : البلدان ، جـ١ ، ص٣٥١ . أحمد سوسه : العرب واليهود فى التاريخ ، ص ٦٠٠، الطبعة السادسة ب دون تاريخ ،دمشق .

هناك قصورا تسمى قصور حسان (١) ومكث بها حتى أعد العدة ، واستطاع أن يهزم الكاهنة مرة أخرى .

ومن الجدير بالذكر أن وجود حسان بن النعمان فى مدينة **برقة** قد ساعد على إستقرار بعض القبائل العربية ، وخاصة العرب اليمنية سواء كانوا من الأزد ، أو لخم ، أو غسان ، كما استقر بجوار برقة بصفة خاصة فى ودان قبائل يمنية من حضرموت ، وقيسية من بنى سهل. (٢)

أما مدينة طرابلس .. فقد سكنها أيضا العرب اليمنية ، ودليلنا على ذلك أن أهم زعماء الإباضية فى طرابلس ، وكان من بينهم عبدالله بن مسعود التجيبى ، وعبدالجبار بن تليد الحضرمى (٣) وكذلك أبو الخطاب عبدالأعلى بن السمح المعافرى (٤)

بالإضافة إلى **مدينة القيروان** ، التى تعتبر معقلا هاما للعرب منذ اختطاطها ، فقد وزعت الخطط عليهم ، وليس هناك من شك فى أن قريش استأثرت بالإقامة فى القيروان لذلك أخذ الفهريون المنطقة المجاورة للمسجد مع الجهة الشمالية منه (٥) ووزعت الأراضى على بقية القبائل من المدينة وهم الأنصار ، وبقية القبائل اليمنية الأخرى الذين ينتمون إلى عشائر غفار وحضرموت وغيرهم ، فقد اختطوا منازلهم فى الأماكن المجاورة ، وكذلك من مضر ، وربيعة ، وقحطان (٦) وقد تعرض سكان القيروان للنزوح منها خلال بعض الفترات ، فنجد أنه بعد مقتل عقبه فى تهوذه ، وتمكن كسيلة من دخول القيروان ، نزح منها جزء من العرب (٧) وحدث ذلك أيضا بعد أن تمكنت الكاهنة من الإنتصار على حسان بن النعمان ، وكان إنتشار العرب فى المدن الساحلية مثل الأربس التى كانت من أهم المعاقل الحربية المتاخمة

---

(١) ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٧٠.
(٢) البكرى : المغرب ، ص ١١.
(٣) ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٣٠١ ؛ ٣٠٢ .
(٤) البكرى : مصدر سابق ، ص ٢٣ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٢٣ .
(٦) اليعقوبى : البلدان ، جـ١ ، ص ٣٤٨.
(٧) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ١ ص٣١.

للقبائل البربرية ، وخاصة فى العصر الأموى (١) كما أنتشر العرب أيضا فى مدينة **قابس وسوسه** حيث يوجد بها رهط عمر بن الخطاب (٢) وأخيرا مدينة تونس التى كان بها من الجند والعرب ما يعادل القيروان وخاصة من أهل الشام (٣) كما أنتشروا فى خط مستعرض فى داخل البلاد ، فاستقروا فى سطفورة ، حيث يوجد بها قوم من قريش ، وقضاعة ، وغيرهم. (٤)

ولعل إختلاط العرب من سكان إفريقية من يمنية ، وقيسية أدى إلى النزاع بينهما ، ويعرف عرب الشمال "بالمضرية" أو "القيسية" ، وعرب الجنوب يعرفون "بالكلبية" أو "اليمنية" ، ومن الواضح أن الصراع بين اليمنية، والقيسية صراع قبلى ، ولكنه فى الحقيقة صراع على السلطة ، والنفوذ والمكانة الإجتماعية ، وقد استفادت الخلافة الأموية من هذا الصراع لإيجاد التوازن بينهما ، بالإضافة إلى تنمية موارد الدولة المالية حتى أن هشاما مال إلى اليمنية فى بداية حكمه ، ثم تحول عنهم ومال إلى القيسية ، لأنه كما يرى أحد الدارسين (٥) عرف كيف يستميلهم لما طبعوا عليه من حب المال ، فعهد إليهم بحكم الولايات التى عرفوا كيف ينتزعون منها الضرائب ، وأرى أن هذا الرأى قد جانبه الصواب لما فيه مبالغة فى حق هشام بن عبدالملك أحد ساسة بنى أمية المشهور لهم بالكافأة وحسن السياسة والكياسة ، فليس من المعقول أن يميل هشام مرة إلى هذه القبيلة ومرة أخرى لتلك القبيلة لمجرد جمع المال، وإنما الصواب هو أنه كان يرى أن هذه القبيلة لا تصلح فى هذه الفترة ، وإن رأى فى ظروف جديدة تستدعى تغير نظام حكمه هذه القبيلة لما فيه من المصلحة ونشر الإسلام بين البربر ، ومن الجدير بالذكر أن القبائل

(١) وقد دخل مدينة الأربس فى العصر الأموى بنو غافق ، ووجوده من جند بنى أمية ، وخاصة خلال خلافة هشام بن عبدالملك ،ولكن هؤلاء اضطروا إلى ترك المدينة إلى قسنطينة ، وبلاد الجريد نتيجة لإصطدمهم بالبربر [ابن الآبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٨٢ ، ٨٣]
(٢) اليعقوبى : البلدان ، جـ١ ، ص٣٤٨.
(٣) الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ١٨٦.
(٤) اليعقوبى : مصدر سابق ، جـ١ ، ص ٣٤٨.
(٥) دوزى : تاريخ مسلمى أسبانيا ، ص ١٤١.

اليمنية قد إعتمد عليها معاوية بن أبى سفيان فى العمليات البحرية فى الشام لما عرف عنهم من حب للتنظيم والطاعة (١)

العصبية ودورها فى المجتمع البربرى :

العصبية : هى شعور بالتماسك ، والتضامن ، والإندماج بين من تربطهم رابطة الدم ، وتقوم أساسا على النسب بالإضافة إلى أنها تعتبر رابطة إجتماعية تربط أفراد جماعة قائمة على القرابة بصفة دائمة ، ويظهر هذا بوضوح عندما يكون هناك خطر يهدد الأفراد كأفراد ، أو جماعة (٢)

والعصبية نوعان : *الأولى* عصبية الدم هى أساسا تعتمد على القرابة فى البيت الواحد.

الثانية : عصبية الإنتماء إلى أب أو جد مشترك من نسله تكونت القبيلة أو القبائل المنتسبة إليه (٣) وتدل كلمة عصبية على التنازع ، والفرقة ، والإهتمام بالأنساب ، وقد استقر في الأذهان ، أن العصبية دعوة إلى الفرقة ، والعمل على نصره فريق ضد آخر .. ولكننا لا نجد هذا إلا فى حالة النزاع فقط ، لأن الحياة القبلية تعتمد فى حالة الحرب ، والدفاع عن النفس إلى اتحاد أكثر من قبيلة حتى تستطيع إثبات وجودها بين القبائل ، **وفى هذا المعنى نجد أن العصبية تعنى** "شدة ارتباط المرء بعصبته ، أو **جماعته**"، والجد فى نصرتها والتعصب لمبادئها (٤) وتساعد العصبية على الترابط الإجتماعى بين أفراد القبيلة ، بالإضافة إلى أن العصبية تعتبر من أهم الصلات القبلية ، وإلى هذا يشير ابن خلدون قائلا :" إن صلة الرحم طبيعى فى البشر إلا فى الأقل ، من صلتها النعــر ة على ذوى القربى ، وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة ، فإن القريب يجد نفسه غضاضة من ظلم قريبه ، أو العداء عليه ، ويود لو يخول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك". (٥)

---

(١) د/ أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣.
(٢) محمد عابد الجابرى : العصبية والدولة ، ص ٢٥٣ : ٢٥٤ ، سنه ١٩٧١ م ، الدار البيضاء.
(٣) د/ السيد عبدالعزيز سالم : التاريخ السياسى والحضارى للدولة العربية ، ص ٩.
(٤) لويس معلوف : المنجد فى اللغة ، ص ٥٠٨. الجابرى : مرجع سابق ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٤.
(٥) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٢٨ .

وصفوة القول : أن العصبية ضرورة من ضروريات حياة المجتمع القبلى،فلا وجود للقبيلة إلا بعصبيتها ، والعصبية تضمن سلامة القبيلة ، وتحمى بقائها، وتدافع عنها وعن طريقها تلتمس لنفسها أسباب الحياة فى المجتمع القبلى.

ومن الجدير بالذكر أن القبيلة بها عدد من العصبيات ، ولابد لأحدهما أن تكون لها السيطرة على باقى العصبيات ، وذلك لتحقيق قوة القبيلة فابن خلدون يذكر : "أن القبيل الواحد ، وإن كانت فيه بيونات مفرقة ، وعصبيات متعددة ، فلابد من عصبية تكون أقوى من جميعها ، تغلبها وتستتبعها ، وتلتحم جميع العصبيات فيها ، وتصير كأنها عصبية كبرى ، وإلا وقع الإفتراق المفضى إلى الإختلاف ، والتنازع". (١)

ومما لا شك فيه أن استقرار الأسر العربية فى إفريقية "بلاد البربر" قد ساعد مجتمع البربر فى انتشار الإسلام بين قبائله ، فقد خضع هذا المجتمع بعد الفتح العربى فى نظمه الإجتماعية ، وأخلاقه ، وتقاليده ، وعاداته لقواعد الإسلام ، فنجد أن العرب قد توالوا على إفريقية منذ بدأت مرحلة الفتح الأولى، فقد شاركت أعداد كبيرة منهم فى حملة **عبدالله بن سعد بن أبى سرح** فى سنه ٢٧هـ / ٦٤٨م وتصدرت قريش هذه الأعداد بكثير من أبنائها بما فيهم أعداد من الصحابة ، بالإضافة إلى القبائل المحيطة بالمدينة المنورة ، مثل جهينه وسليم ، وغفار ، وغطفان (٢) كما ضمت حملة معاوية بن حديج عام ٣٤هـ / ٦٥٤م عددا من المهاجرين والأنصار ومن أبنائهم ، وخاصة ممن كانت لهم خبرة بالحرب فى إفريقية ، فنجد عبدالملك بن مروان ، وسليمان بن يسار ، وجبلة بن عمرو الأنصارى (٣) بالإضافة إلى عبدالله بن عمر ، وعبدالله بن الزبير ، ويحيى بن عبدالحكم (٤) كما دخل أهل الشام مع **حسان بن النعمان** ٧٤ هـ / ٦٩٣ م (٥) وكانوا فى الغالب من العرب اليمنية ،

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٣٩.
(٢) أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ص ٦٨ ، ٦٩ .
(٣) ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٩٣.
(٤) المالكى : رياض النفوس ، جـ١ ، ص ١٨.
- ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ١ ، ص ١٦ .
(٥) المالكى : مصدر سابق ، جـ ١، ص ٣١.

كما دخلت جموع من العرب اليمنية مع **موسى بن نصير** ٨٧هـ / ٧٠٦م وظل العرب يتوافدون على إفريقية طوال العصر الأموى ، وخاصة العشرة التابعين الذين أرسلهم **عمر بن عبدالعزيز** عام ١٠٠هـ / ٧١٨م إلى جانب العرب الذين وفدوا إليها للتجارة والإستقرار بها ، بالإضافة إلى جيش **كلثوم بن عياض القشيرى** الضخم الذى أتى لإفريقية لقمع ثورات البربر التى اندلعت فى أواخر العصر الأموى ١٢٢هـ / ٧٤٢م (١) **ومما هو جدير بالذكر** أن استقرار القبائل العربية فى إفريقية أدى إلى نقل العادات والتقاليد العربية إلى قبائل البربر المختلفة ، وقد ساهم ذلك التشابه الكبير بين العرب والبربر فى العادات ، والتقاليد ، ونمط الحياة مما جعل هذا التأثير واضح ، فقد حاول العرب فى بداية فتحهم لإفريقية إلى كسب ثقة البربر ، وأن العرب جاءوا بالإسلام ، ومبادئه السمحة قوم غير اليونان ، والرومان فعمل العرب على نشر الإسلام ، وتوضيح مبادئه ، ولم يكن هذا العمل بالأمر السهل ، وخاصة فى بلاد المغرب "البربر" نظرا لطبيعة البلاد ، وكثرة المحتلين لأرضهم ، والذين تسببوا فى ترك بقايا من الخوف ، والكراهية لدى البربر لكل ما هو شكل من أشكال الحكم ، والسلطة ، فكان على العرب إزالة هذه البقايا ، وتمهيد الطريق لنشر الدعوة الإسلامية ، ومن حسن الطالع أن مساوئ الروم قد إزدادت فى الفترة التى سبقت فيها دخول العرب بلاد المغرب ، وذلك بعدما فقدت الروم مصر ، فركزوا على بلاد المغرب ، كى تمدهم بالحبوب اللازمة لدولتهم وإلى جانب الضرائب الكبيرة التى بالغوا فى جمعها من السكان فما كان منهم إلا أن تركوا مزارعهم ، ومتاجرهم ، والنجاة بأنفسهم ، أدى هذا كله إلى وجود حالة من الكراهية ، والعداء بين الجانبين ، فما كان البربر إلا أن تلمسوا سبيل الخلاص من الروم (٢)

على الجانب الأخر نجد أن عقبة بن نافع الفهرى شرع فى بناء مدينة القيروان عام ٥٠ هـ / ٦٧٠ م والتى ساعدت على اجتذاب السكان اليها ، فنهض العرب فى نشر الإسلام بين السكان الأصلين "البربر" فى جد ، واجتهاد ، وخاصة بعد أن تهيأت للعرب فرصة الإتصال بالبربر بالإضافة

---

(١) د/ حسين مؤنس : ثورات البربر ، ص ١٧١ .
(٢) محمد بن تاويت : الأدب المغربى ، ص ٤٤ .

إلى أن العرب حرصوا على إشراك جند من البربر مع جنود العرب فى الفتوح ، فنجد أن أبا المهاجر عندما ظفر بكسيلة زعيم قبيلة أوربة ، فما كان أبو المهاجر إلا أن عرض عليه الإسلام فأسلم ، ثم أحسن اليه أبى المهاجر(١) ولم يجد العرب أيه صعوبة تمنعهم من الإختلاط بهؤلاء السكان ، وإنما وجدوا أحوالهم العامة تشجع على الإندماج ، والوحدة السريعة معا داخل الدين الإسلامى ، فالتشابه الكبير بين العرب ، والبربر فى البيئة التى يغلب عليها الطابع الصحراوى ، وهو الأمر الذى ترتب عليه نتائج ذات طبيعة متشابهة من حيث الإجتماع والعمران ، فكأن المغرب "البربر" عرفوا التنظيم القبلى مثل العرب ، وعرفوا حياة الحضر ، والإستقرار ، كما عاشوا حياة التنقل، والبداوة ، فطبيعة بلاد المغرب الصحراوية تشبه جغرافية بلاد العرب ، وأن العصبية القبلية مثلما هى عند العرب أساس نظامهم الإجتماعى (٢) وهذا التشابه فى العمران أوجد عادات وتقاليد مؤلفة أو متقاربة ، وقد لاحظ حسان ابن النعمان تتطابق السمات والظروف بين العرب والبربر ، فقسم الأراضى والفئ بينهم بالمساواه التامة (٣) أى أنه لم يفرق بين العربى والبربرى فى الواجبات والحقوق ، بالإضافة إلى التسوية بينهم فى الحرب وعند النصر فى الأسلاب والغنائم ، أدت هذه المعاملة الحسنة التى عامل بها حسان البربر وخاصة بعد انتصاره على الكاهنة ، فلم تأخذه نشوه الإنتصار والإنتقام من البربر ، فضرب لهم حسان المثل والقدوة فى المعاملة ، والتى يدعوا إليها الدين الحنيف ، أدى هذا تدعيم الصلات والتقارب بين العرب والبربر ، وكان من الطبيعى أن يقبل البربر على الإسلام بمبادئه السمحة حين يتم النصر للعرب (٤)

ومن الجدير بالذكر أن حسان بن النعمان يعتبر من أول الولاة الذين خطوا خطوات كبيرة ومؤثرة فى دعم العلاقات بين البربر والعرب ، فقد أشرك حسان البربر ضمن صفوف جيشه بل أكثر من هذا ، فقد ولى محمد

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ١ ، ص ٢٨ : ٢٩ .
(٢) د/ سنوسى يوسف اباهيم : زناته والخلافة الفاطمية ، ص ٤٩.
(٣) المالكى : رياض النفوس ، ص ٣٦ . ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ١ ، ص ٣٨ .
– الناصرى السلاوى : الإستقصا ، جـ١ ، ص ٩٤.
(٤) د/ حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٢٨٥ ، ٢٨٧ .

ابن أبى بكر ، وهلال بن اللواتى على مقدمه جيشه وهم من البربر ، بالإضافة إلى الجنود التى بلغت اثنى عشر ألفا الذين انضموا إلى الجيش الإسلامى عقب انتصار حسان على الكاهنه ، فعقد حسان عليهم لولدى الكاهنة فخرج هذا الجيش يجاهد مع إخوانهم العرب ضد ممن لم يدخلوا فى الإسلام سواء كانوا من الروم ، أو البربر (١) وقد حاول موسى بن نصير تغير الحالة السيئة لبلاد المغرب ، تلك الحالة حولت أهلها إلى السكون ، بعد أن أرهقهم منازعات عمال الروم ، فاتجه موسى إلى بث روح الإسلام فى السكان ، وذلك بالعمل على الرفع من شأنهم ، وتكريمهم ، بأن الإسلام يهدف إلى حماية حقوقهم ، وأموالهم من عدوان الحكام ، كان هذا خير نافذه يسلك منها موسى لأهل المغرب ، ومشاركتهم فى السراء ، والضراء ، فقد ثبت أن موسى بن نصير دأب على الخروج لمواساة الناس أثناء المجاعات التى تعرضوا لها ، فخرج مع الناس مرة إلى الصحراء للإستسقاء ، وقام فيها إلى منتصف النهار ثم خطب الناس ، ولكنه لم يذكر الوليد بن عبدالملك ، فقيل له ألا تدعوا لأمير المؤمنين فقال هذا مقام لا يدعى فيه لغير الله تعالى ، فاستجابت السماء لصلاة الإستسقاء وانهمرت الأمطار وعمرت البلاد بالزروع والأقوات (٢) .

وعمل موسى أيضا على احترام السكان بالسهر على مطالبهم ، وراحتهم ، فأدى ذلك إلى إزالة الرواسب التى تخلفت لدى البربر عن أصحاب السلطان ، فاعتبر العرب الأراضى التى كانت تابعة للسكان الأصلين "البربر" أرضًا مفتوحة صلحا ، وتركوها فى يد أصحابها يؤدون عنها المال للدولة ، واعتبروا البربر أحرارا لهم ما للعرب من حقوق ، عليهم ما عليهم من واجبات ، من ناحية أخرى ، اعتبر العرب الأراضى التى كانت تابعة للروم أراضى مفتوحة عنوة ، واعتبروا من بقى فيها من الروم ، وتابعيهم موالى يتصرفون فى شئونهم كما يريدون (٣) هذا إلى جانب أن العرب تركوا

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ١ ، ص ٣٨ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ص ١١٢ .
- ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ ١ ص٤٢.
- ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، جـ ٢ ، ص .
(٣) د/ حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٢٧٧.

حرية التصرف للبربر فى شئونهم الخاصة ، بحيث تكون لكل قبيلة من القبائل نظام ، أو خطة تتصرف فيها ، وتؤدى مالها ، وتكون مسئولة عنها ، هو الشئ الذى لم يألفه البربر من قبل من الروم ، فأدت هذه الخطوة إلى تقارب القبائل بصفة عامة إلى العرب حيث التشابه فى طبيعة البلاد والنظام الإجتماعى ، فكان من السهل على العرب تقوية حلقة الإتصال ، وجعلها متينة تقوم على أساس من الإحترام المتبادل ، والثقة الكاملة ، فساهم ذلك فى الإمتزاج الحقيقى بين الطرفين ، والقضاء على وثنية الحضارات القديمة، وسيطرة الروم ، ونقل المغرب إلى الحياة الإسلامية العربية الجديدة ، وكان التطور سريع واسع الخطى (١)

وقد ساعد موسى بن نصير على الإنطلاق السريع فى أداء رسالته ما تمتع به من حرية كبيرة فى تصريف الأمور ، فقد فوضته الخلافة فى إختيار العمال الذين بعث بهم إلى شتئ أنحاء بلاد البربر ، وقد ثبت أن أولئك العمال كانوا على درجة عالية من المقدرة ، وحسن التصرف فى تنفيذ ما جاء به العرب إلى أرض البربر ، وقد كفل التنظيم الإدارى الذى وضعه موسى بن نصير لبلاد المغرب ، الإستقرار والهدوء ، حيث ألف البربر الفاتحون الجدد "العرب" وإدارتهم . هذا وقد اعتمد موسى بن نصير على أبنائه فى الرقابة الإدارية على العاملين فى المغرب لأنهم أصحاب خبرة كبيرة ، ومكانه عالية بشئون المغرب بفضل ما قاموا به من حملات فى شتئ أرجائه (٢) وقد ظهرت ثمار التطور فى بلاد المغرب ، وخاصة موسى بن نصير الذى صنع من أبنائها جندا يتسابقون فى رفع راية الإسلام ، ولم يكتفى موسى بذلك ، وإنما أتاح للتطور الطبيعى لعلاقة العرب بالبربر بأن يعهد بالقيادة العليا للجيش الموجود بطنجة إلى رجل من البربر وهو "طارق بن زياد" ، وهذه الخطوة كانت فريدة من نوعها حيث أنها لم تقتصر على البربر فقط ، وإنما عمل تحت قيادته جند من العرب قدر بحوالى سبعة عشر ألفا ، بالإضافة إلى اثنى عشر من البربر (٣) ويعتبر ظهور طارق بن زياد خير دليل على ما

---

(١) شكرى فيصل : المجتمعات الإسلامية فى القرن الأول الهجرى ، ص ١٧٤ ، ١٨٥.
(٢) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ١ ، ص ٢٦٠.
(٣) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ٢٢٠. ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ١ ، ص ٤٢.

تجلى به هذا القائد من دعم الصلات بين العرب والبربر ، وخاصة بعد أن أصبح المغرب يطل على أرض جديدة هى أوربا إذا علمنا الدور الكبير الذى لعبه البربر مع العرب فى فتح الأندلس ونشر الإسلام بها .

ومن الجدير بالذكر أن القبائل العربية التى هاجرت إلى بلاد المغرب ، واتلطت بالبربر قد قامت بعملية تطعيم لهذه البلاد بألوان الحضارة الإسلامية(١) التى وصلت إلى مستوى مرتفع فى عهد عبدالملك بن مروان الذى كان له الفضل فى نقل الدواوين إلى العربية فى الشام ومصر والعراق، ومن الواضح أنه شمل إفريقية حيث كون حسان بن النعمان نظام إدارى وحياة حكومية منظمة تقريبا (٢)

وكان أهم الد واوين فى بلاد المغرب التى تنفذ سياسة الأمويين وتتولى الإشراف على مصالح العرب والبربر على قدم المساواة "ديوان الجند" الذى ينظم توزيع العطاء أى رواتب الجند ويسجل أسمائهم ، ويصرف لهم عطائهم(٣) هذا ، ويعتبر البربر البتر أسرع إندماجا بين الفاتحين الجدد ، وذلك بسبب التشابه الشديد بين العرب ، وبينهم سواء كان فى النظام القبلى أو أسلوب الحياة (٤)

عناصر المجتمع فى بلاد المغرب :

البربر : وهم الغالبية العظمى التى يتكون منها سكان بلاد المغرب وقد تحدثنا عنهم بالتفصيل فى التمهيد (٥)

= – ليفى بروفنسال : نخب تاريخية ، ص ١١ ، سنه ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٣ م،المغرب .
– حسن ابراهيم حسن : زعماء الإسلام ، ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، الطبعة الأولى ، سنه ١٩٥٣م.
(١) د/ محمد المعتصم سيد : القاهرة والحضارة الإسلامية فى إفريقية ، ص ١٥ .
(٢) د/ شكرى فيصل : المجتمعات الإسلامية ، ص ١٨٢ .
– د/ السيد سالم : التاريخ الحضارى للدولة العربية ، ص ٤٢٢.
(٣) د/ شكرى فيصل : مرجع سابق ، ص ١٨٢ . د/ عبدالشافى عبداللطيف : العالم الإسلامى فى العصر الأموى ، ص ٥٦١ ، سنه ١٩٨٤م القاهرة .
(٤) د/ حسين مؤنس : عالم الإسلام ، ص ٨٩ ، ٩٠ ، الزهراء للإعلام العربى سنه ١٩٨٩م .
(٥) راجع التمهيد ، ص ١ : ٢٦ .

الأفارقة : أطلق عليهم العرب منذ بداية الفتح عجم إفريقية ، أو الأفارقة الأعجام ، وكان استقرارهم بصفة خاصة فى مدينة قابس التى عرفت بأنها مدينة الأفارقة الأعجام (١) أما أهم الأعمال التى كانوا يقومون بها فإن معظمهم إما زراع ، وإما تجارا ، بالإضافة إلى وجود أصحاب الحرف بينهم ، لذلك نجد هؤلاء الأفارقة يحرصون على الإلتزام بدفع الجزية للعرب ، وخاصة فى بداية الفتح لابن أبى سرح من الأموال التى نتجت عن الإتجار فى زيت الزيتون (٢) وكان لهم نشاط فى ثورات الخوارج ، فقد مالوا إلى الصفرية ، وكان عبدالأعلى بن جريح الأفريقى زعيما لهم ولاه ميسرة حكم مدينة طنجة(٣)

الروم : استقر الروم فى عدة مدن منها مدينة الزاب وقسنطينة ، وتورز بالإضافة إلى استقرارهم بالساحل (٤) وقد اصطدم العرب بالروم فى بداية الفتح ، ثم اتحدوا مع البربر لمقاومة الفاتحين العرب ، ولم يعدل الروم عن سياسة مساندة البربر إلا بعد أن لحقت بهم أضرارا ، وخسائر من جراء سياسة الكاهنة التخريبية للبلاد ، ومن هنا لجاؤا إلى حسان ، واستنجوا به وقدموا له الأموال (٥) لكن الروم أغاروا على قرطاجنة فما كان من حسان بن النعمان إلا أن أمر بهدم المدينة عام ٧٨ / ٦٩٧. (٦)

ويضم مجتمع البربر بين جنباته أيضا عدد من الأقليات مثل النصارى، واليهود.

---

(١) **الأفارقة** أو "الأفارق" : هم خليط من المستعمرين اللاتنين وبقايا الشعب القرطاجنى القديم ومزارعى البيزنطيين وصناعهم ونفر من البربر المتحضرين استقروا ، ودخلوا فى طاعة البيزنطيين ، وكانوا يسكنون النواحى الساحلية العامرة المحيطة بالمدائن البيزنطية ، ويجمع هذا الخليط حياة مشتركة فى الأرض ، والإرتباط فى المعيشة ، فهم إما زراعا ، أو تجارا ، أو أصحاب مهن ، ولكنهم ليسوا أرباب حكم ، أو أصحاب سلطان ، لذلك دخلوا فى طاعة المسلمين بلا مقاومة [د/ حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٥ .
د/ شكرى فيصل : حركة الفتح الإسلامى فى القرن الأول الهجرى الطبعة الأولى ، سنه١٩٥٢ م ، دار العلم للملايين ، بيروت]

(٢) ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٤٨.

(٣) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ١١٩.

(٤) المالكى : رياض النفوس ، جـ١ ، ص ١٧.

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ٤ ، ص ٣٢.

(٦) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٣٤.

النصارى : استقر النصارى بمناطق متعددة فى بلاد المغرب ، وخاصة فى المدن الساحلية حيث كانوا يشتغلون بتجارة الزيتون (١) فقد اشتهرت مدينة تطوان بأنها كانت عامرة بالنصارى قبل دخول الإسلام إليها (٢) كما وجدوا فى مدينة القيروان منذ انشائها ، كما وجدوا أيضا فى مدينة تونس التى عمرت منذ بداية إنشائها بمائة أسرة قبطية من مصر منذ ولاية حسان بن النعمان (٣) ، من ناحية أخرى تمكن معظم النصارى من الهرب من إفريقية أثناء تخريب الكاهنة لإفريقية عندما ظنت خطأ أن العرب إنما يطلبون الإستيلاء على المدن والذهب والفضة ، فأمرت قومها بقطع الشجر ، وهدم الحصون ، وإتلاف المزارع ، والمراعى ، "فخرج يومئذ من النصارى ، والأفارقة خلق كثير ، مستغثين مما نزل بهم من الكاهنة ، فتفرقوا على الأندلس ، وسائر الجزر البحرية (٤) فمنهم من هاجر إلى أسبانيا ، وصقلية والولايات البيزنطية الأخرى ، وخاصة بعد أن صفى حسان بن النعمان ، وموسى بن نصير الموقف الحربى (٥) أما البقية الباقية منهم ، وخاصة كبار الزراع ، وأصحاب الصناعات ، والتجار ، لا يعنيها بالدرجة الأولى من يكونون هؤلاء الفاتحين بقدر ما يهتموا بمصالحهم الخاصة ، ومن الجائز أن يستجيبوا لهم فيما يدعون إليه ، تدفعها إلى ذلك حاجتها التى تحكمها ، والتى تسيطر عليها فهى أقرب إلى أن تتخلى عن لغتها إلى لغة أخرى وما ينطبق على اللغة ، يسرى على الدين لأنهم عندما يتركوا لغتهم ، ويتحولوا إلى لغة هؤلاء الفاتحين ، وهى اللغة العربية ، سوف لا يمنعهم مانع من تغير دينهم إما عاجلا ، أو آجلا ، والدخول فى الإسلام ، وأما من تمسك بدينه فقد وجد فى الإسلام حرية ، وسماحة للعقيدة ، فنجد أن حسان قد صالح عجم ، ونصارى إفريقية على الجزية (٦) وتثبت هذه الرواية أن حسان بن النعمان ، على إرساء المبادئ الإسلامية فى السكان بصفة عامة ، وغير المسلمين بصفة

---

(١) أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ص ١٣١.
(٢) محمود داود : تاريخ تطوان المجلد الأول ، ص ٦٤،طبعة تطوان،بدون تاريخ .
(٣) البكرى : المغرب ، ص ٧ ، ٣٩.
(٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٣٦ ، ٣٧.
(٥) د/ شكرى فيصل : المجتمعات الإسلامية ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ .
(٦) ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ١ ، ص ٣٨.

خاصة ، ولم يقم بالتعذيب ، أو الطرد ، أو النفى ، وإنما أقرهم على دينهم ، وصالحهم على الخراج ، والجزية .

واصل موسى بن نصير ما بدأه الولاة السابقين ، وخاصة حسان فى إرساء المبادئ الإسلامية ، فعند فتوحاتة لمدينة أغمات هيلانة ، وجد بها جماعات من المسيحيين الذين ذاقوا ألوان الإضطهاد الدينى على أيدى الروم ، ولم يثبت أن موسى عامل هؤلاء المسيحيين كما عاملهم الروم ، ولكن عمل موسى على ترك مجموعة من الفقهاء العرب يعلمون السكان القرآن ، والفرائض ، ويثبت أركان الدين الجديد فى الطرف الشمالى من بلاد المغرب(١) ويعد السماح للنصارى ببناء كنائس أكبر دليل على سماحة الولاه فى العصر الأموى لهذه الطائفة من المجتمع ، ولم يذكر لنا أبو العرب أى من هذه الكنائس ، ومكانها ، وأهم الأعمال التى كانوا يمارسونها سوى حرفة الطب ، والتجارة (٢)

اليهود : دخلت الأفكار اليهودية إلى المغرب منذ وقت مبكر مع المهاجرين الذين أتوا من الشام منذ الإضطهاد الرومانى (٣) ثم مع المتهودين الذين جاءوا من اليمن ، وقد سكن بربر اليمن الجبال فى الغالب ، وبربر الشام سكنوا جزيرة جربه حيث توجد بقاياهم إلى الآن (٤) وربما كان بعض هؤلاء البربر دانوا بدين اليهودية ، وأخذوا عن بنى اسرائيل عند استفحال ملكهم للشام ، فدخلوا المغرب ، وكانت قبيلة الكاهنة أهل جبال أوراس التى كانت تدين باليهودية يقاتلون العرب لأول الفتح (٥) ويعتبر اليهود أقلية ليس لها تأثير فى المجتمع ، وقد استقروا فى عدة مدن منها مدينة جادوا (٦) حيث يسكنها يهود كثيرون ، كما وجدوا أيضا فى مدينة أغمات حيث كان لهم نشاط كبير فى

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٤ ، ص ١١٢.
– د/ عبدالمنعم : التاريخ السياسى للدولة العربية ، جـ ٢ ، ص ٢٦٦.
(٢) أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ص ٩٩ ، ١٨٤.
(٣) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ١١٦.
(٤) الكعاك : البربر ، ص ٥٠ .
– د/ سعد زغلول : مرجع سابق ، ص ١١٦.
(٥) الكعاك : مرجع سابق ، ص ٥١.
(٦) **مدينة جادوا** : وهى أحدى مدن جبل نفوسه [البكرى : المغرب ، ص ٩]

التجارة الخارجية والداخلية (١) وقد استقروا أيضا فى مدينة القيروان وإنتشروا فى أرجائها وكان لهم سوق خاص بهم (٢)

استطاع هؤلاء اليهود نشر ديانتهم بين البربر ، حتى إنه يروى أن الكاهنة كانت تعتنق اليهودية (٣)

ويضم مجتمع البربر فئات مختلفة أخرى مثل الرعاة ، والفلاحين ، والصناع ، والتجار.

الرعاة : عرف العرب ، والبربر النظام القبلى ، وهذا النظام يتفق مع طبيعة البيئة الصحراوية التى عاشوا فيها ، من ناحية أخرى كان نشاط هذه القبائل يتفاوت حسب طبيعة البيئة ، ما بين الزراعة عند أهل الإستقرار ، وبين الرعى عند أهل البداوة ، فالرعاة ينتشروا فى كل أنحاء المغرب ، وخاصة المغرب الأوسط ، حيث وجود نبات الحلفا ، كما نجد مدينة برقة التى تشتهر بمراعيها التى تجود فيها تربية الغنم المعروفة بلذة لحمها ، وكثرة شحمها(٤) ورعاة الغنم ينتقلون عاداة بقطعانهم بين المراعى المرتفعة الموجودة على الجبال ، والتلول لما تتميز هذه المناطق بالدفء الضرورى للحيوان ، وخاصة من أجل النتاج (٥)

من الجدير بالذكر أن رعاة الغنم ، والإبل ينتشرون حيث توجد النباتات الخشنة الصالحة لرعى الإبل ، والتى لا تصلح طعاما لغير من الحيوانات الصغيرة ، وتوجد هذه النباتات فى صحراء المغرب الأقصى يطلق على هذا النوع من الرعاة "الرعاة العظام" (٦)

الفلاحون : سكن الفلاحون فى الأقاليم ، والقرى الزراعية الجيدة مثل باجة ، وتونس ، وطبرقة ، وبونة ، وبجاية ، وقسنطينة ، ومعظمها مدن تشتهر

---

(١) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٦ ، ٣٧.
(٢) الرقيق القيروانى : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ١٩٨.
(٣) الدباغ : معالم الإيمان ، جـ ١ ، ص ٥٥.
(٤) مجهول : الإستبصار ، ص ١٤٣.
(٥-٦) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٢١.

بزراعة القمح (١) هذه المدن تتوافر بها الأمطار ، وأيضا المناطق الساحلية فى المغرب الأقصى ، بالإضافة إلى الأقاليم الشرقية من المغرب فى مرتفعات غرب ، وشمال تونس ، وفى جبل نفوسه جنوبى طرابلس ، هذا إلى جانب جبل برقة. (٢)

ومن الجدير بالذكر أن أهم العوامل التى أثرت على مجتمع البربر "العامل الإقتصادى" ومدى تأثيره فى حياة القبائل البربرية ، من ناحية ضعفه وقوته ، ومما لا شك فيه أن تطور مجتمع البربر له دور فى تحسين ، وارتفاع مستوى معيشة أفراده ، **ويضم العامل الإقتصادى ، الزراعة والصناعة ، والتجارة .. ففى الزراعة** اشتهر الشمال الأفريقى بالزراعة لاعتدال مناخه وجودة تربته ، وقد زرعها الرومان قبل الإسلام ، فلما فتحه المسلمون وجدوا ظلال أشجاره متصله من طرابلس إلى قرطاجنةّ ومنها إلى شمال قسنطينة (٣) بالإضافة إلى القمح ، يوجد الشعير الذى يزرع فى أماكن متفرقة من البلاد ، فقد زرع بالقرب من مدينة برقة هذا إلى جانب شهرة جبل نفوسه بزراعة أنواع جيده منه كما وجد أيضا فى مدينه طنجة وبونةّ (٤)

أما محصول الأرز فكانت زراعته قليلة ، واقتصر وجوده على بعض الأماكن من بر العدوه فى المغرب الأقصى لقله الطلب عليه ، ولذا لم يولوه العناية الكافية (٥) محصول الذرة .. زرع فى أماكن قليلة من بلاد المغرب ، وكان يأتى فى المرتبة الثالثة لمحصول غذائى بعد القمح ، والشعير ، وقد اهتمت بزراعتهّ مدن ودان ، وزويلة (٦) وكان محصول الذرة يستخدم كغذاء للفقراء فى مدينة أودغست بينما كان الأغنياء الميسورين يأكلون القمح (٧)

---

(١) البكرى : المغرب ، ص ٥٦.
- ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦٤ ، ٦٧ .
- الإدريسى : صفه المغرب ، ص ٩٩.

(٢) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ١٠٠.

(٣) حسن حسنى : بساط العقيق ، ص ٣٢.

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٧ ، ٨٠ ، ٩٤ ، ٩٥.

(٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٧٥.

(٦) الإدريسى : صفة المغرب ، ص ٦ ، ١٣٣.

(٧) البكرى : المغرب ، ص ١٥٨.

وأغلب أشجارها من الزان الذى كان يرسل إلى إفريقية. (١)

النشاط الصناعى :

كان لوفرة أعداد المواد الأولية اللازمة للصناعة ببلاد المغرب ، عاملا هاما فى استمرار وتطور الإنتاج الصناعى ، والمواد الأولية المختلفة سواء كانت معدنية ، أو نباتية ، أو حيوانية، والخامات المعدنية متعددة منها الحديد والفضة ، والذهب ، والنحاس أضف إلى هذا معدن التوتيا المستخدم فى صنع النحاس الأحمر، وتحويله إلى نحاس أصفر (٢)

أما الحاصلات الزراعية ، والثروة الحيوانية ، فقد استخدمت فى توفير بعض المواد اللازمة للصناعة فإلى جانب الأخشاب ، والقطن ، والكتان ، والحرير ، والزيتون ، فقد وجد شجر التاكوت الذى يدبغ به الجلد الغدامسى ، هذا إلى جانب أشجار الهرجان التى يستخرج منها الزيت (٣)

أما الثروة الحيوانية فقد اهتم السكان فى بلاد المغرب بتربية الحيوانات للحصول على لحومها ، وألبانها ، وجلودها ، بالإضافة إلى الأعمال المتصلة بالزراعة من حرث ، ودرس ، ونقل ، ورفع المياة من الآبار ، وقد ساعدهم على ذلك انتشار المراعى الخصيبة فى أجزاء متفرقة من البلاد ، فقد اشتهرت مدينة برقة بتربتها الخصبة ، ومراعيها الدائمة الخضرة حيث تصلح فيها السائمة (٤) كما أن مدينة سرت تنتجع مراعيها بعد هطول الأمطار فى نواحيها ، بالإضافة إلى مناطق الرعى بالمغرب الأوسط ، فكانت المناطق المرتفعة ، وخاصة فى جبال أوراس حيث تتوافر المياة الغزيرة والمراعى الكثيرة (٥) تضم هذه المراعى حيوانات متنوعة ، وكثيرة

---

(١) البكرى : المغرب ، ص ٥٤.
(٢) المراكشى : المعجب ، ص ٣٦١.
(٣) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٧١ ، ٣٣٠.
 – الزهرى : كتاب الجغرافيا ، ص ١١٨.
(٤) مجهول : الإستبصار ، ص ١٤٣.
(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦٨ ، ٨٤ : ٨٥ .

العدد من الخيل ، والبغال ، والحمير ، والإبل ، والبقر ، والغنم ، والماعز ، أما الجاموس فلايوجد عندهم (١)

ومن الجدير بالذكر أن الصناعة فى بلاد المغرب كانت منظمة، وخاصة فى العصر الأموى فنجد المكان المعد للصناعة ويسمى "القيصرية" وهو عبارة عن دكاكين تقوم الحكومة " الوالى " ببنائها على نفقتها فى مكان مربع الشكل محاط به من كل الجهات ، ويدخل إليه من باب واحد ، ويعمل بهذا المكان أصحاب الصناعة مقابل أجر مناسب للحكومة فى كل شهر ، أو كل سنة حسب الإتفاق (٢) وقد راعوا فى تنظيم هذه المنشأت الصناعية ، إبعاد بعض الصناع عن قلب المدينة ، إما لحاجتهم إلى مكان فسيح ، أو لأن عملهم فى منتجات كريهة الرائحة تضر بالصحة ، أو ربما تكون الصناعات المقلقة للراحة ، وكان ينطبق هذا على صناعات متعددة ، منها صناعة الزجاج ، ودباغة الجلود ، والحدادة ، وصناعة الطوب ، والفخار (٣) ويدل تعدد النشاط الصناعى لدى البربر ، وخاصة البرانس فى المغرب الأقصى على إكتمال العمران الحضرى ، لأن العمران البدوى لا يحتاج من الصنائع إلا البسيط ، وخاصة المستعمل من الضروريات ، وإذا تحضر المجتمع ، وارتقى، تزايدت صنائع أخرى معها مما تدعو إلى عوائد الترف ، وأحواله. (٤)

وقد وجدت صناعات متعددة فى المغرب فى العصر الأموى مثل صناعة الصوف وخاصة التوزرى (٥) وصناعة القطن ، والحرير بالإضافة إلى صناعة الجلد التى لم تكن أقل نصيبا من المنسوجات ، ومن الصناعات

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١١٣ ، ١٧٦.
- ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٧.
(٢) هذا النظام كان متعرفا عليه ، ومنتشرا فى جميع مدائن المشرق ، والمغرب ، وقد اقتبس الأمويون هذا النظام من البيزنطيين ، وقد أدخله الخليفة هشام بن عبدالملك فى المدائن المغربية [حسن حسنى : الورقات ، جـ ٢ ، ص ٧٢]
(٣) حسن الباشا : الفنون الإسلامية ، جـ ٢ ، ص ٥١٣ ، ٥٦٢ ،سنة ١٩٧٥م ، القاهرة .
(٤) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٠١ .
(٥) نسبه إلى مدينة توزر فى الجنوب الغربى بتونس حاليا،[د/ محمد زيتون : القيروان ، ص١٥٨.]

أيضا الزجاج ، وصناعة الزرابى التى نقلت من فارس فى العصر الأموى [١] وقد دخلت القيروان فى نهاية العصر الأموى مع الجيش الخراسانى [٢]

مظاهر الحياة الإجتماعية:

أولا الملبس : كان للبربر زى متعدد من الملابس خاص بهم ، ويتحكم فى هذا الزى طبيعة المكان ، والوقت ، ويصنع هذا الزى بصفة عامة من الأقمشة الصوفية [٣] والجوخ [٤] إلا أن الخاصة ، والمياسير من البربر كان فى إمكانهم إرتداء من الأقمشة الرفيعة المصنوعة من القطن ، والكتان ، وهذا النوع من القماش يسمى "الإفريقى" ، وهو قماش رفيع من القطن ، والكتان معا ، أو من الكتان وحده ، وهذا النوع من القماش يعتبر أجل كساوى المغرب [٥] ونوع أخر يسمى "النفسارى" ، ويصنع من حرير ، وقطن ، ونوع أخر من القماش يعرف "بالجزرى" وهو صوف رفيع جدا [٦] وقد صنعت من هذه الأقمشة عدة أزياء منها :

١ - **القشابة :** وهو رواء من الصوف مقفل من أمام ، وبه كمان ، وغطاء للرأس موصول به من خلف ، يقى من برد الشتاء ، ولا يعوق الحركة ، ويستر الجسم كله حتى الرأس ، يفضل لبسها أهل الجبال من البربر [٧]

٢ - **البرنس :** يصنع من الحرير ، أو الصوف أو القطن ، أوخليط منهم ، ويبلس فوق الثياب ، وينسج قطعة واحدة مفتوحا من الأمام ، لا يخاط إلا ما

---

(١) حسن حسنى عبدالوهاب : بساط العقيق ، ص ٣٤ : ٣٦.
(٢) د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ١٥٨.
(٣) الإدريسى : صفة بلاد المغرب ، ص ٥٨ ، ٥٩ ، يرتدى سكان المغرب الأقصى الأكسية الصوفية لاشتهار بلادهم بصناعة تلك اللأكسية الصوفية [ابن خلدون : العبر ، جـ ٦، ص١٧٦]
(٤) ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، ص ٢٢.
(٥) العمرى : المصدر السابق ، ص ٨.
(٦) المصدر السابق ، ص ٢١.
(٧) دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٤٢ : ٤٣.

يقابل الصدر ليشده إلى الجسم وللبرنس غطاء للرأس موصول به من خلف يقى الرأس من البرد ، والأمطار ، والعواصف (١)

٣ - **السراويل** : وهى نوعان : **الأول** السراويل القصيرة التى تنتهى إلى أسفل الركبة وهذا النوع مازال موجودا فى تونس إلى اليوم.

النوع الثانى : السراويل الطويلة التى تصل إلى الكعبين ، وهذا النوع مازال موجودا بطرابلس ، ويلبسون بالتكه (٢) وأما غطاء الرأس فيسمى "الفنور" وهو عباة عن قلنسوه من الصوف ، عاليه ، ملبدة ، مدورة توضع على الرأس ، ويلبس فوقها لحاف صغير من الصوف رهيف ينسج خصوصا للرأس، وتوضع من فوقه بعمامة سوداء تتخذ من خيوط الوبر (٣)

ومن الجدير بالذكر أن المرأة البربرية كانت ترتدى القفطان واضعة فوقه الحزام الذى يصنع من الحرير ، أو الصوف (٤)

وقد ورث البربر عن الفنيقيين الصباغة الذين اشتهروا بها ، وقد أقاموا لهم مراكز أهمها قرطاجنة ، فلهذا انتشرت الألوان بين الأقمشة لدى البربر ، فابن حوقل يذكر عن أهل إفريقية أنهم كانوا معرفون بحمرة ثيابهم (٥)

لبس البربر النعال فى أقدامهم ، واتخذوها من الجلود ، ومنها ما كان يستر القدم ، ومنها ما يستر القدم وحده ، ومنها الأحذية المدورة ، والموصولة التى تستر الساق إلى الركبة (٦) ويخضع الملبس للعوامل المناخية، كما تؤثر فيه عوامل أخرى كالعادات ، والتقاليد ، واتصالات القبائل

---

(١) دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ص٤٢.
(٢) **التكه** : عبارة عن خيط يدخل فى حواشيه من أعلاه فيشد به إلى الخصر [دبوز : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٤٣]
(٣) دبوز : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٤٣.
(٤) أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ص ٩٧.
(٥) أبو العرب : المصدر السابق ، ص ٦٩.
(٦) دبوز :مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ٤٣.

ببعضها ، وقد تساعد الحرارة على انتشار العرى عند قبائل الطوارق ، وقد قضى الإسلام فى المناطق التى انتشرت فبه هذه الظاهرة (١)

وضع المرأة :

جرت العادة أن يكون النظام الأبوى هو السائد فى المجتمع البربرى ، فرب العائلة له من النفوذ المطلق على جميع أفراد الأسرة ، وكل من ينضم إلى الأسرة سواء بالزواج ، أو المصاهرة ، أو التبنى ، وهذا الأخير قضى عليه الإسلام ، ونظام التبنى كان معروفا لدى البربر ، فقد ذكر عن الكاهنة ، وهى ملكة جبال أوراس ، أنها تبنت خالد بن يزيد القيسى "العبسى" (٢) وآخت بينه ، وبين ولديها بوضع الطعام المعروف لديهم "بالبسيسة" على ثديها ليأكلوا منه سويا ، ثم قالت لهم ، أنهم صاروا أخوة (٣) وكانت العائلة البربرية على قدر من التماسك والإتحاد (٤) يدل على ذلك أن الأوغاد فى البربر قلائل ، والوغد عندهم هو المنفرد الوحيد الذى لا أخ له ، ولا ابن عم (٥) وقد احتلت المرأة البربرية مكانة بارزة فى المجتمع البربرى فى بلاد المغرب ، وقد بلغت مكانه المرأة البربرية إلى درجة أن بعض القبائل البربرية كانت تمجد المرأة كل التمجيد ، ولا يغيب عنا ما وصلت إليه كاهنة جبال أوراس من سيطرتها على أتباعها (٦) فقد كان بها من الصفات ما جعلها ملكة عليهم ، فقد كانت قوية الشخصية ، ذكية الفؤاد ، حسنة التدبير لشعبها ، فأحبها البربر فخضعوا لها ، ودانوا برعاتها (٧) والقاعدة العامة التى يتبعها البربر فى الزواج هى التزوج بامراة واحدة (٨) وللمرأة البربرية حق فى اختيار

---

(١) د/ أحمد سويلم العمرى : الإفريقيون العرب ، ص ٣٩، مكتبة الانجلو المصرية،سنة١٩٦٧م.
(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ص ٣٢.
- الناصرى السلاوى : الإستقصا ، جـ ١ ٨٣.
(٣) الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ٥٨ ، ٥٩.
- الدباغ : معالم الإيمان ، جـ ١ ، ص ٥٧.
(٤) دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ١ ، ص ٧٥.
(٥) البكرى : المغرب ، ص ١٣٦.
(٦) الدباغ : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٥٦.
(٧) دبوز : مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ٧٢.
(٨) دائرة المعارف الإسلامية : جـ ٣ ، ص ٥١٢.

شريكها(١) وكانت المرأة البربرية لا تكره على وضع الحجاب (٢) لذلك كانت تعتنى بزينتها ، وتتأنق فى ملبسها ، فنجد مثلا نساء السوس اشتهرن بجمالهم الفائق ، وحسنهن البارع ، وأنشاطهن للعمل ، وطاعتهن لأزواجهن (٣) بالإضافة إلى نساء المصامدة اللائى كان لهن اهتمام بشعرهن ، فكن يصبغنه بالحناء ويغسلنه برقيق البيض والطيب الأندلسى (٤)

ومن الجدير بالذكر أن المرأة البربرية كانت موصوفة بالجمال ، فالخليفة الأموى هشام بن عبدالملك كتب إلى عبيدالله بن الحبحاب واليه على المغرب فى طلب الجوارى البربريات واصفا إياهن بالجمال الآخذ بالقلوب (٥) وقد وصف الرقيق المرأة البربرية "نساء لم يرى الناس فى الدنيا مثلهن" (٦) وقد أعجب العرب بالمرأة البربرية اعجابا شديدا فقيل "أن تزوجوا فى نسائهم، ولا تواخوا رجالهم" (٧) والمرأة فى كل زمان ، وكل مكان تحب الحلى والتزين به ، وقد تحلى البربر بالأقراط ، والخواتم ، والخلاخل ، والأساور المتخذة من مختلف المعادن ، وكانت الحلى مستعمله لدى الرجال ، والنساء على حد سواء (٨)

والمرأة البربرية : تتمتع بكل حقوقها ، ولها من الإحترام حيث أنها أساس الأسرة ، فهى أم ، وزوجة ، وأخت ، وقد أيد الإسلام حقوق المرأة فى المجتمع البربرى ، ولا زالت كثير من نواحى المغرب تحتفظ بهذه المكانة(٩)

المأكل والمشرب : لا شك أن الطعام من أبرز العادات الإجتماعية اليومية التى تبرز مستوى المعيشة ، وقبل بداية تجهيز الطعام ، لابد من تنظيف

---

(١) عبدالعزيز بنعبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ، ص ٢٩.
(٢) دائرة المعارف الإسلامية : جـ ٣ ، ص ٥١٢.
(٣) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٣٠.
 - السقطى : آداب الحسبة ، ص ٥٠.
(٤) الحميرى : مصدر سابق ، ص ٣٣٠.
(٥) حسن حسنى عبدالوهاب : شهيرات التونسيات ، ص ٦ ، المطبعة التونسية ، سنة ١٣٥٣هـ تونس.
(٦) الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ٤٦.
(٧) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٣٦٩.
(٨) أحمد صقر : مدينة المغرب العربى فى التاريخ ، جـ ١ ، ص ٦٣.
(٩) دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٧٣.

الأوانى المستعملة مع نظافة من يقوم بالطبخ (١) وتستخدم التوابل بشكل كبير فى تحضير الطعام عند البربر (٢) ومن عادات الطعام أن الخبز كان يدخل كل وجبة من وجبات الطعام ، يستوى فى ذلك الغنى ، والفقير ، وكان الخبز من القمح ، أو الشعير المتوفر لدى البربر ، وخاصة السوس الأقصى (٣) وينقسم الطعام إلى قسمين **أولا** : طعام الأغنياء وشيوخ القبيلة ، **ثانيا** : طعام العامة الذى اقتصر على عامة السكان.

أولا طعام الأغنياء وشيوخ القبيلة : كان كثير من أغنياء الناس وأتباعهم قد تعودوا على أن يوضع على كل مائدة بين يدى الرجال ألوان مفردة لون بعد لون. (٤) **أولا البقلية المكررة** : تصنع من لحم الضأن السمين ، وتوضع فى قدر ملح ، وبصل ، وفلفلة ، وكزبرة يابسه ، وكراويا ، وزيت ، ثم يرفع على نار معتدلة ، فإذا نضج اللحم يضاف اليه ماء الكزبرة الرطبة (٥)

ثانيا التفايا : وتتكون من لحم الضأن ، والملح ، والفلفل ، والكزبرة ، وقليل من الماء ، وبصلة مدقوقة ، يضاف إليها مغرفة من الزيت ، ثم يوضع على نار بسيطة ثم تحرك ، ويضاف إليه شئ من اللوز المقشر المقسوم ، وهو غذاء مولد للدم ، صالح للأصحاء ، والناقهين (٦)

ثالثا السويق : ويصنع كالأتى يخلط دقيق الشعير ، أو القمح ثم يقلى بالزيت، أو السمن ثم يضاف العسل ، وقد تطور السويق ، فصار يحلى بالسكر ، والتمر ، ويصنع منه نوع من الكعك للأعياد ، ولا زال موجودا فى أنحاء

---

(١) مجهول : الطبيخ فى المغرب والأندلس ، ص ٧٩ تحقيق أمبروزيو أدينى ميراندا ، منشورات معهد الدراسات الإسلامية ، المجلد التاسع والعاشر ، سنة ١٩٦١ - ١٩٦٢م ، طبعة مدريد.
(٢) تتكون التوابل من جزء من الفلفل ، وجزءان من الكراويا ، وثلاثه أجزاء من الكبر اليابس ، يدق جميع ذلك ، وينخل ، ويستعمل . [مجهول : المصدر السابق، ص ٧٩]
(٣) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٣٠.
الوزان : وصف إفريقية ، ص ١٢٧.
(٤) **لون** : كان الصنف الواحد من الطعام يسمى فى بلاد المغرب بهذا الاسم فيقال لون المخلل أى صنف المخلل.
(٥) مجهول : مصدر سابق، ص ١٥٩.
(٦) المصدر السابق ، ص ٥٨.

المغرب ، ولا سيما فى وادى ميزاب ، وهو زادهم فى الأسفار ، ويقدم لضيوفهم حيث أنه غذاء صحى لا يفسد بطول الزمان لائق لكل الفصول (١)

رابعا لون المثلثة وطريقته : يقطع لحم "الصدر" فى القدر ، ويصب عليه من الخل أربع مغارف ، ومن الفلفل ، والكراويا اليابسة ، وزن درهم من كل واحد ، ومغرفتان من الزيت ، وجزء من اللوز ، ومن الماء ما يغمر به اللحم، وما يلقى فى القدر حوالى سته فصوص ثوم ، ثم يوضع فى القدر على النار ، فإذا طبخ اللحم جيدا ألقى فى القدر أربع بيضات ، وقبل النضج يوضع عليه شئ من النعناع (٢)

خامسا لون المرى : يصنع بأن يجعل اللحم فى القدر ، وتوضع عليه توابل ، وبصله مدقوقة بكزبرة خضراء ، وملح ، ثم تلقى عليه ثلاث مغارف مرى ، ومغرفة واحدة من خل ، ومثلها من الزيت ، ويغطى بالماء ، ويطبخ حتى ينضج ، ثم يحمر ، وينثر عليه فلفل ، وقرفه (٣)

سادسا لون الفرطون : اسم لإناء ، وهو على شكل كأس كبير ، واسع الفم، ضيق من أسفل ، يوضع على نار بسيطة ، وبه زيت يترك حتى يغلى ثم يوضع عليه البيض ، والخل ، والزعفران ، والقرفة ، واللوز المخلل المطبوخ ، ويصب الجميع بداخل إناء الفرطون على الزيت المغلى ، ويترك حتى يعقد والتأكد لئلا يلتصق بالاناء (٤)

سابعا لون المعسل : الذى يحلى به بعد انتهاء الطعام .. فهو عبارة عن عسل نقى يضاف اليه من النشا أربع مغارف ، أو واحدة لكل رطل من العسل، مذاب فى ماء الورد ، ويوضع فى قدر ، ويقلب حتى يقارب على الإنعقاد ، ويصب عليه من الزيت العذب قدر ما يطبخ لئلا يحترق ، ويجمل بلوز

---

(١) دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ١ ، ص ٤٦.
(٢) مجهول : الطبيخ فى المغرب ، ص ١٢١ ، ١٤٣.
(٣) المصدر السابق : ، ص ١٢٠ ، ١٤٣.
(٤) المصدر السابق : ، ص ٢٧.

مقسوم ، وإذا كمل طبخة أنزل ، وفرغ فى صحفه ، وقد يزداد فيه شئ من السمسم المقشر (١)

القسم الثانى : الأكلات البسيطة المنتشرة بين عامة سكان البربر

أولا العصيدة : وتتكون من ماء مغلى يضاف إليه دقيق القمح ، ثم يحرك حتى ينضج ، ويرفع عليه مرق الزيت ، واللحم ، والبقول ، ولا تزال العصيدة سائدة فى أنحاء من جنوب تونس ، وفى طرابلس ، ولا سيما فى جبل نفوسه ، ويسميها البربر "آرواى" (٢)

ثانيا : الكسكس (٣) : هو عبارة عن دقيق القمح ينضج بالبخار ثم يوضع فى القدر مع مرق الحليب والسمن ، ومن مرق اللحم (٤)

ومن الأكلات المنتشرة : الشواء .. حيث يتم شواء اللحم ، وخاصة السمين فيؤخذ هذا اللحم ، ويشرح بسكين تشريحا رقيقا ، ويصب على اللحم قدر الحاجة من المرى ، والنعناع ، والخل ، والزعتر ، والفلفل ، والثوم المدقوق، وقليل من الزيت ، ثم يضرب الجميع ، وتمرغ فيه الشرائح ، ثم توضع فى أسياخ متساوية لا تكون متداخلة حتى تتمكن منها النار ، وتدار الأسياخ على الفحم إدارة دائمة حتى تنضج ، وتحمر ، كما كان الشواء يتم أحيانا فى الطاجين، ويوضع اللحم فيه ، ويوضع فى الفرن ، من ناحية أخرى كان يدخل فى الشواء الدواجن كالدجاج ، والأرانب ، وبعض الحيوانات كالخرفان والعجول (٥) وقد اشتهر أهل السوس الأقصى بأكل الجراد سواء كان مقلوا أو مملحا (٦) ، وقد اعتمد الرعاة فى غذائهم على ألبان الإبل ، ومن الحيوانات على اللحوم المقددة معنى هذا أن معظم البربر يعتمدون على النظام فى

---

(١) مجهول : الطبيخ فى المغرب ، ص ٢١٥ .
– ومن الجدير بالذكر أن معظم هذه الأطعمة بهذا الشكل لم تكن موجودة فى معظم بلاد البربر ولا فى العصر الأموى إلا بصورة بسيطة ثم حدث لها تطور حتى كانت بهذا الشكل .

(٢) دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ١ ، ص ٤٦.

(٣) **الكسكس** : يسمى "سكسو" باللغه البربرية وهى أصل كلمة الكسكس وهو الطعام المفضل لدى معظم البربر [أحمد صقر : مدينة المغرب العربى فى التاريخ ، جـ ١ ، ص ٦٢]

(٤) دبوز : مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ٤٦.

(٥) مجهول : مصدر سابق ، ص ٢٨ : ٣٣.

(٦) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٣٠.

غذائهم على الجانب النباتى المتوفر لديهم ، بالإضافة إلى بعض اللحوم هذا إلى جانب اعتمادهم على النظام فى الأكل (١) وكان هناك طريقة لتقديم الأطعمة أكثر شيوعا فى المغرب بين الخاصة ، والعامة على السواء ، وهى أن يوضع على كل مائدة بين يدى الرجال ألوان بعد ألوان ، وقد شاع استخدام هذه الطريقة منذ خلافة عمر بن العزيز (٢)

أصناف الحلويات:

أولا القطائف : عبارة عن ماء يوضع فى قدر حتى يغلى ، ويضاف إليه دقيق حتى يصبح غليط ، ويسوى على نار حتى يصير عصيده ، ثم يخرج من القدر، ويوضع فى صحفه ، ويقلى عليه العسل (٣)

ثانيا الجزينقات : وهى عبارة عن حشو العجين المماثل للكعك بالوز ، والسكر المجروش ، وتشكل على هيئة أزهار ، وورود ، تعد جميع القطع كذلك ثم تنقش ، وتقلى فى مقلاه نظيفة بزيت عذب ، ثم تخرج ، وتوضع فى مصفاه ، ويوضع عليه ماء قليل ، ويرفع (٤)

ثالثا القاهريات : طريقة عملها : يؤخذ رطل ، ونصف من السكر ، ويوضع عليه ماء قليل ، ويرفع على نار هادئه ، ثم يضاف إليه اللوز المقشر المدقوق مقدار رطلان ، ويقلب الجميع ، وينزل ، ويترك ساعة ، ويضاف إليه شئ من القرنفل مسحوق بماء الورد ، وشئ من الكافور ، ويقلب الجميع حتى يجف ، ويصنع من كعك ، وتترك حتى تجف قليلا ، ثم تغمس من النشأ المحلول فى صحفه ، وتترك حتى تجف ، وحينئذ توضع فى مقلاة زيت ، وبعد ذلك تغمر فى شراب الورد أو فى عسل مصفى (٥)

رابعا الشراب : نجد سكان المنطقة الشمالية بصفة عامة ، وسكان جبل درن بصفة خاصة يشربون عصير العنب ، وهم لا يستغنون عن شربه لشدة برد

---

(١) أحمد صقر: مدينة المغرب العربى فى التاريخ ، جـ ١ ، ص ٦٢.
(٢) مجهول : الطبيخ فى المغرب والأندلس ، ص ٨٩.
(٣) مجهول : المصدر السابق ، ص ٨١.
(٤) مجهول : المصدر السابق ، ص ٢١١.
(٥) المصدر السابق ، ص ٢١٢.

الجبل وثلجه (١) بالإضافة إلى عصر "آنزيز" وهو من العنب الحلو الذى يطبخ حتى يذهب منه الثلث ، ويرفع عن النار ، ويشرب ، ولا سبيل إلى شربه إلا أن يخلط بمثله ماء ، وأهل السوس يرون شربه حلالا مالم يتعدى إلى حد السكر ، لأنه يفعل بشاربه مالا تفعله الخمر (٢) ويعتمد معظم سكان البربر على شرب الماء الصافى فى حياتهم اليومية (٣)

المنزل :

يوجد اختلاف واضح فى المنزل فى بلاد المغرب ، ويتحكم فى هذا الإختلاط طبيعة المكان ، والأرض ، والمناخ ، وعلى ضوء هذا يتم البناء ، فنجد منازل المنطقة الشمالية المعتدلة التى يسكنها البربر الحضر عبارة عن قرى(٤) ومنازل صغيرة تبنى بالحجارة ، أو الطين (٥) ، وتسقف بالورق ، والأغصان مع تبليطها من أعلى بالطين منعا للمطر أن ينفذ إلى البيوت ، ومن سكان هذه المنطقة من يتخذ من الجبال منازل له حيث يحفرون فى الجبال عدة أمتار ، ويتشكل المسكن بطبيعة الحال بسقفه العالى ، والنوافذ المتعددة (٦) بالإضافة إلى إتخاذ سكان الجبال المنازل من الحجارة (٧) ففى جبل "شيشاوة" وهو فرع من جبل درن تبنى جدران المنازل من الحجر الجاف، أو المملط من الخارج ، وتدعم الأسطح بأعمدة عبارة عن جذوع أشجار مجردة من قشرتها ، ويتسع أعلاها لتتحمل ثقل الأخشاب العمودية (٨)

---

(١) مجهول : الإستبصار فى عجائب الأمصار ، ص ٢١١.
- الحميرى : الروض المعطار ، ص ٢٣٥.

(٢) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٣٠ .

(٣) أحمد صقر : مدينة المغرب العربى فى التاريخ ، جـ ١ ، ص ٦٢.

(٤) أحمد صقر : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٦.

(٥) **القرية** : وحدة إدارية تضم كل قريتين أو ثلاث قرى تربط بينهما وحدة ادارية يكونون قبيلة [محمد عبدالفتاح ابراهيم : إفريقية الأرض والناس ، ص ٥٨]

(٦) لهذه المنازل فوائد منها اعتدال الحرارة فى فصل الصيف ، والدفئ فى فصل الشتاء هذا إلى جانب الأمان من الأعداء ، وتوجد هذه المنازل بجبال أوراس ، وجبل نفوسه [دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٤١ ، ٤٢]

(٧) ابن خلدون : العبر ، جـ ٦ ، ص ١٧٥ . أحمد صقر : مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ٣٦.

(٨) عبدالعزيز بنعبدالله : الآثار الإسلامية بالمغرب ، ص ٣٦١ ، سنه ١٩٥٧م ، فاس.

وتأخذ المنازل شكل شبه مائلا للسقف حتى يسهل عملية انصراف المطر ، والثلج المتساقط عليها (١)

على الجانب الآخر نجد الجفاف ، وقلة المطر يسود المناطق الجنوبية، التى يسكنها البربر الوبر فيعتمدون فى البناء على الطوب ، والسقف من الخشب ، وبعض النباتات ، ويورد لنا الأستاذ دبوز (٢) طريقة للبناء فيقول عنها أنها عجيبة لدى البربر ، فهى عبارة عن بناء جدارين متوازيين ، ويملئون ما بينهما بالحصى فيصير جدارا واحدا مرصوصا ، هذه الطريقة غير مكلفة بالإضافة إلى أنها تقاوم البرد، والحر.

وتصنع أبواب المنازل من أخشاب مسمرة فى إطار فوق عوارض عمودية ، وقد نقش عليها رسوم بدائية ، وتتوسطها مطرقة من حديد على أنماط شتى (٣) وتفرش الأرض بالحصير الناعم ، ويستخدمون أغطية طويلة من الصوف يبلغ طولها من عشرة إلى عشرين ذراعا (٤) وتحوى المنازل على الأدوات المنزلية مثل القصعات من خشب محفورة بالسكين ، والمغارف والملاعق الخشبية ، والقدور المصنوعة من الفخار (٥) هذا ، ونعتقد أن منزل شيخ القبيلة ، والأثرياء من كبار التجار كانت تحوى حجرات عديدة منها للخدم ، ولخزن المؤن ، وأماكن للماشية ، ويحيط بالمنزل الحدائق ، والبساتين (٦)

الإحتفالات العامة والخاصة :

أثر العرب فى المجتمع ببلاد المغرب ، فأدخلوا كثيرا من التقاليد الإجتماعية التى لم تكن معروفة لديهم من قبل ، كالإحتفلات بالأعياد الإسلامية الدينية ، ومشاركة الحكومة للناس فى الإحتفال بها ، وهى الإحتفال

---

(١) الجربى : مؤنس الأحبة ، ص ٣٣ ، ٤ .
(٢) دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ١ ، ص ٤١.
(٣) عبدالعزيز بنعبدالله : الآثار الإسلامية فى المغرب ، ص ٣٦١.
(٤) الوزان : وصف إفريقية ، ص ١٠٩.
(٥) الوزان : المصدر السابق ، ص ١٠٩.
(٦) عبدالعزيز بن عبد الله : مرجع سابق ، ص ٣٦٢ .

بعيد الفطر ، وعيد الأضحى ، والإحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف ، والإحتفال برؤية هلال رمضان ، وكان بداية انتشار هذه التقاليد ، وثباتها فى العصر الأموى ، نتج عن هذا تغير النظم الإجتماعية الخاصة بالزواج ، والطلاق ، والميراث ، وآداب السلوك ، والعلاقات الاجتماعية ، وفقا لمبادئ الشريعة الإسلامية . فقد كان إحياء ليالى رمضان مناسبة دينية جليلة ، وحدثا اجتماعيا عند البربر ، فقد كانت المدن ، والقرى يتغير نمط الحياة فيها لمدة شهر كامل كل سنة.

وكان يتم احياء ليالى هذا الشهر المبارك بالخروج إلى المسجد الذى تتضاعف إنارتة الليلية ، وتغطى على دروسه النهارية مواد الدين على مختلف المستويات ، وبالتالى تتصاعد أعداد قاصديه ، ويحرص المسلمون على أداء صلاة التراويح ، وقيام لياله (١) كما تكثر الإجتماعات لسماع القرآن، والذكر ، فيقرأون جزءا من القرآن ، ويسمعون من كتب الواعظ ما أمكن ، ويذكرون ربهم بأنواع التهليل ، والتسبيح ، والتقديس فى العبادة ، وكان يحتفل فى هذا الشهر الكريم بليلة القدر فى السابع والعشرين منه احتفالا خاصا ، إذا فيها أنزل القرآن الكريم ، وكان فيها يقرأ القرأن الكريم بأكمله خلال الليل فى المساجد ، وكان يتناوب فى هذا رجال نذروا أنفسهم لذلك (٢) كما كانت وجبات الطعام تؤخذ عند الغروب ، ثم فى آخر الليل ، وكانت تكثر الدعوات عند تناول الإفطار. (٣)

وإلى جانب تناول طعام الإفطار ، والإمساك ، فقد كان جزء من الليل يصرف فى الإجتماعات ، ففى رمضان كانت تتم الزيارات الليلية للأقارب والأصدقاء.

الإحتفال بالعيدين :

الأعياد الإسلامية التى عرفها المسلمون واحدة فى جميع الأقطار الإسلامية ، وهما اثنان **عيد الفطر** ، **وعيد الأضحى** ، ويستعد المسلمون

---

(١) الونشريسى : المعيار المغرب ، جـ ١ ، ص ١٤٧.
(٢) الونشريشى : المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص ١٥٥ ، جـ ١١ ، ص ٢٨٠ : ٢٨٣.
(٣) التادلى : التشوف إلى رجال التصوف ، ص ١١٧.

ومنهم البربر للإحتفال بعيد الفطر إذا قاربت ليالى رمضان على الإنتهاء يبدأ الاحتفال بمشاهدة هلال شهر شوال ، وفى الصباح المبكر من أول أيام عيد الفطر يخرج الناس إلى المسجد لصلاة العيد ، ويحرص المسلمون على تقديم الزكاة بيومين ، أو ثلاثة ، أو تأخيرها حتى قبل صلاة العيد (١) كما كانت الهبات والعطايا تهدى للمعلمين (٢) كما كانت تعطى إلى الفقراء فنجد أن اسماعيل "تاجر الله" كان يوزع على الفقراء والمساكين فى ليلة عيد الفطر(٣)

أما عيد الأضحى : فهو يوافق العشر من شهر ذى الحجة من كل عام ، حيث يخرج المسلمون فى الصباح الباكر لأداء صلاة العيد ، ثم يقومون بنحر الأضاحى ، وتوزيعها على الفقراء ، والمعوزين (٤) من ناحية أخرى ، سلك البربر طريق الحج ، فكان يبدأ الموكب من المغرب الأقصى مارا بالمغرب الأوسط والأدنى مارا بطرابلس ، وبرقة ، ومصر. (٥) ونعتقد أنهم كانوا يخرجون مع ركب الحجاج المصريين.

المولد النبوى :

من الإحتفلات الإسلامية التى يعتنى باحيائها البربر المولد النبوى ، فهو عيد كريم يحتفل به تعظيما لرسولنا ، بتلاوة القرآن والأحاديث النبوية ، وذكر آثار الرسول (ص) ، ومعجزاته ، وتتبع سنته العظيمة ، بالإضافة إلى التزين بأفضل الملابس عندهم ، فهو يوم فرح وسرور (٦)

إن الإحتفلات الدينية المتبعة لدى قبائل البربر لم تختلف عن الإحتفلات فى سائر بلدان العالم الإسلامى .

---

(١) الونشريسى : المعيار المغرب ، جـ ١ ، ص ٣٧٣ .
(٢) الونشريسى : مصدر سابق ، جـ ٨ ، ص ٢٥٤.
(٣) الورقا ت : حسن حسنى عبدالوها ب ، جـ ٢ ، ص ٣٢٦ : ٣٢٨.
(٤) الونشريسى : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ٣٢.
(٥) العبدرى : رحلته ، ص ١٥٦.
(٦) الونشريسى : مصدر سابق ، جـ ١١ ، ص ٢٧٩ .

الفصل الخامس

إنتشار الإسلام واللغة العربية بين البربر

- دور الولاة والصحابة والتابعين فى نشر الإسلام .
- دور رويفع بن ثابت فى نشر الإسلام .
- دور معاوية بن حديج فى نشر الإسلام .
- دور عقبة بن نافع فى نشر الإسلام .
- زهير بن قيس البلوى ودوره فى نشر الإسلام .
- جهود حسان بن النعمان فى نشر الإسلام واللغة العربية .
- دور موسى بن نصير فى نشر الإسلام واللغة العربية .
- دور عمر بن عبد العزيز فى انتشار الإسلام ونشر اللغة العربية .
- عوامل إقبال البربر على الإسلام .
- أماكن التعليم .
- الخوارج ودورهم فى نشر الإسلام .

الفصل الخامس

انتشار الإسلام واللغة العربية بين البربر

أدت العلاقات التى نشأت بين العرب والبربر منذ الفتح الإسلامى لإفريقية إلى كثرة الإحتكاك بين الطرفين ، مما جعل البربر على مقربة من مبادئ الدين الإسلامى ، ولغة هؤلاء الفاتحين الجدد ، فنجد أن أول المدن التى فتحها العرب بعد الأسكندرية هى برقة ، والتى قد تأثرت تأثرا كبير بالطابع الإسلامى منذ فتحها ، وصحب ذلك انتشار اللغة العربية ، مما أدى إلى تغيير وجه برقة التى كانت تستوطنها قبائل البربر قبل الإسلام ، وتمثل هذا فى اللغة ، والعادات ، والتقاليد ، ومما ساعد على هذا الإنتشار السريع أن أهل برقة كانوا ساخطين على حكامهم البزنطيين لعسفهم ، وظلمهم ، ورأوا فى قدوم العرب ما يخلصهم من البيزنطيين (١)

كان الهدف الأول للفاتحين العرب هو : نشر الإسلام ، ولغته ، فنجد أن عمرو بن العاص بدأ فى نشر الإسلام عقب فتح مدينة برقة ، وأسلم معظم من بها ، وصالح أهلها على العشر ، ونصف العشر (٢) من ناحية أخرى أرسل عمرو بن العاص ، عقبة بن نافع الفهرى إلى جنوب برقة ، وخاصة فى صحرائها التى لم يجد صعوبة فى فتحها ، ولم يجد عقبة مقاومة فى طريقة حتى بلغ زويلة ، وما بينها ، وبين برقة من مسلمين كلهم طاعتهم حسنة ، وقد أدى مسلمهم الصدقة ، وأقر معاهدهم الجزية (٣)

---

(١) د/ محمد زيتون : المسلمون فى المغرب والأندلس ، جـ ١ ، ص ٩ .

(٢) **العشر** : يدفعه تجار أهل الحرب .
نصف العشر : يدفعه تجار أهل الذمة من اليهود والنصارى .
ربع العشر : يدفعه التجار المسلمين باعتبار أنه زكاة ، أو صدقة [د/ بدوى عبد اللطيف : النظام المالى الإسلامى المقارن ، ص ٦٦ ، سنة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، مطابع الأهرام التجارية، مصر . السيد محمد يونس: الحضارة الإسلامية فى العصر الأموى ، ص ١٧٣ : ١٧٤ ، رسالة دكتوراة بمكتبة بجامعة الأزهر ، تحت رقم ٩٥٣,٠٣ /١٤٩٦]

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٦٤ .

وقد بذل عقبة جهودا كبيرة استمرت حوالى ربع قرن من الزمان يدعوا سكان هذه البلاد إلى الإسلام ، واستطاع ضم معظم قبائل البربر الموجودة فى هذه المنطقة فدخلوا فى الإسلام (١)

ثم يأتى **دور عبد الله بن سعد** ، الذى أراد أن يزيل السمعة السيئة التى لصقت به ، وأراد أن يكفر عنها بنشر الإسلام بين قبائل البربر ، فقد بذل مجهودا كبيرا فى هذا المجال ، وقد ساعده على ذلك وجود عدد كبير من الصحابة والتابعين بين جنوده فى غزو إفريقية ، حتى لقد سميت هذه الغزوة "**بغزوة العبادلة**" ، وسمى الجيش جيش العبادلة ، لأنه اجتمع بهذا الجيش سبعة من أفاضل الصحابة كل واحد منهم يسمى عبد الله وهم:

الأول : عبد الله بن أبى سرح ، وقد سبق الحديث عنه فى الفصل الأول ص٣٦ .

الثانى : عبد الله بن عباس عبد المطلب بن هاشم : كنيته أبو الفضل ، ابن عم الرسول (ص) ولد قبل الهجرة ، دعا له النبى (ص) اللهم علمه الكتاب ، والحكمة فكان أعلم الناس بمعانى القرآن يقال له "الحبر ، والبحر" سمى ترجمان القرآن ، اشتهر بالعلم ، والفقه ، والحديث ، كان مجلسه جامعا للعلوم المختلفة ، غزا إفريقية مع ابن أبى سرح ، قسم الفئ فيها بين المساكين ، شهد مع على موقعتى الجمل ، وصفين ، روى عن النبى ، وكثير من الصحابة ، ذكر له ١٦٦٠ حديثا ، أخرج له الشيخان ٢٣٤ حديثا اتفقا على ٧٥ ، وانفرد البخارى بـ ١١٠ حديثا ، ومسلم بـ ٤٠ حديثا ، توفى عام ٦٨هـ / ٦٨٨م بالطائف ، وقيل أقل من ذلك ، وقيل أكثر. (٢)

الثالث : عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد ، ولد عام الهجرة ، أو بعد الهجرة بعشرين شهرا ، وهو أول مولود للمسلمين بالمدينة بعد الهجرة ،

(١) من هذه القبائل لواتـه ، نفوسه ، نفزاوة ، هوارة ، زواغة [ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ص٤٥]

(٢) المالكى : رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ٤١ . ابن الآبار: الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص٢٠: ٢٢.
- أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ص ٧٤ .
- الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٦٤ .

ويذكر أنه أول من كسا الكعبة بالديباج ، غزا إفريقية مع ابن أبى سرح قتل جرجير ملك الروم ، وقدم بكتاب الفتح على عثمان ، ثم غزا إفريقية ثانية مع ابن حديج ، شهد فتح جلولاء ، كما شهد الجمل مع عائشة ، له موافق مع الأمويين ، والشاميين ، منها أنه بويع بالخلافة بعد يزيد معاوية سنة٦٤هـ/٦٨٤م ، حدث عن الرسول أحاديث ، وعن أبى بكر ، وعمر ، وعثمان وخالته عائشة ، وغيرهم ، روى عنه الكثير ، قتله الحجاج بن يوسف سنة ٧٣هـ/٦٩٢م. (١)

الرابع : عبد الله بن عمر بن الخطاب ، شهد معظم المشاهد الإسلامية ، فتح مصر ، وغزا إفريقية مرتين ، **الأولى** مع ابن أبى سرح ، **والثانية** مع معاوية ابن حديج ، قيل فيه إنه جيد الحديث ، ولم يكن جيد الفقه ، كان يحفظ ما يسمع من رسول الله (ص) اتصف بالكرم ، والعبادة ، والورع ، وحرص على اتباع آثار الرسول (ص) وروى عن أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وغيرهم ، روى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين ، ذكر له ٢٦٣٠ حديثا، انفرد البخارى بـ ٨١ ومسلم ٣١ حديثا ، وأخرج له الشيخان ٢٨٠ توفى سنة ٧٣هـ/٦٩٢م وقيل ٧٤هـ/٦٩٤م (٢)

الخامس : عبد الله بن عمرو بن العاص القرشى السهمى ، أسلم قبل أبيه ، وكان يسكن مكة شهد مع أبيه فتح الشام ، وصفين مع معاوية ، ثم ندم ، وقال مالى ولقتال المسلمين ، شهد فتح مصر ، ونزل بها فى دار أبيه ، غزا إفريقية مع ابن أبى سرح ، أكثر من الرواية عن الرسول (ص) وكان قد أذن فى كتابة الحديث عنه ، وكان يقول حفظت عن النبى ألف حديث ؛ قال عنه أبو هريرة "ما كان أحد أحفظ لحديث الرسول (ص) منى ، إلا عبد الله بن عمرو ، فإنه كان يعى بقلبه وأعى بقلبى ، وكان يكتب وأنا لا أكتب" ،

---

(١) المالكى : رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ٤١.
- ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٢٤ ، ٢٥.
- أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ص ٧٤.
- الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٦٤.

(٢) أبو العرب : مصدر سابق ، ص ٧٣ .
- المالكى : مصدر سابق ، ص ٤٣ ، ٤٤ .
- الزاوى : مرجع سابق ، ص ٦٤ .

روى عن أبى بكر وعمر وغيرهما ، روى عنه أنس بن مالك ، وكثيرين اختلف فى مكان ، وزمان وفاته على أقوال كثيرة من سنة ٦٣ إلى ٧٣ - ٦٨٣ - ٦٩٢م فى مصر ، أوفلسطين ، أو مكه (١)

السادس : عبد الله بن جعفر ... كنيته أبو عبد الرحمن ، أسلم باسلام أبيه ، شهد بدرا ، وأحدا ، وكان عمره يوم بدر ١٢ سنة ، غزا إفريقية مرتين الأولى مع عبد الله بن أبى سرح ، والثانية مع معاوية بن حديج ، وكانت معه فى إفريقية أم ولد توفيت بها ، وكان له منها أولاد (٢) **ومن الجدير بالذكر** أن معظم هؤلاء الصحابة. لم يكثوا فى إفريقية فى هذه الغزوة إلا مدة لم تكف لإقامة حلقات علمية ، ولم يكن هناك مكان ليستقروا فيه كالقيروان فنجد أن ابن أبى سرح عاد إلى مقر ولايته فى مصر ، بعد أن قضى خمسة عشر شهرا فى هذه الغزوة، فوصل إلى مصر فى سنة ثمان وعشرين هجريه (٣) بالإضافة إلى مجموعة أخرى من الصحابة والتابعين (٤)

---

(١) المالكى : رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ٤٣ : ٤٤ . ابن الآبار : الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص١٧.
- أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ص ٧٣.
- محمود شيت خطاب : قادة فتح الشام ومصر ، ص ٦٨ ، ٦٩.

(٢) الطاهر الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٦٤.

(٣) د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ٣١.

(٤) **منهم : عقبة بن عامر بن عبس الجهنى** ، من قبيلة قضاعة أسلم بعد هجرة الرسول (ص) صحابى سكن مصر ، كان واليا عليها ، غزا منها إفريقية ، وروى عنه من الصحابة ابن عباس ، ومسلمة بن مخلد ومن التابعين كثير ، شهد أحد ، وصفين ، توفى فى خلافة معاوية بن أبى سفيان بالشام سنة ٥٨هـ/٦٧٨م ، وقيل بمصر [أبو العرب : مصدر سابق ص ٥٨ ، محمود شيت خطاب : مرجع سابق ، ص ٢٤٩]

ومنهم : أبو عبد الرحمن بن حفص العمرى ، روى عنه ابن عبد الرحمن ، والليث بن سعد، وآخرون ، اختلف فى قيمة حديثه ، والأكثرون على أنه توفى سنة ١٧١هـ/٧٨٧م [أبو العرب: مصدر سابق ، ص ٦٢]

ومنهم أبو عبد الرحمن المسور بن محرمة "مخرمة" القرشى ، أسلم أبوه يوم فتح مكه ، ولد فى السنة الثانية من الهجرة ، وتوفى النبى وهو ابن ثمان سنوات ، وأمه أخت عبد الرحمن ابن عوف ، صحب النبى (ص) وروى عنه، من فقهاء الصحابة ، وفضائلهم ، شهد فتح إفريقية مع ابن أبى سرح ، اختلف فى وفاته **والأرجح** أنه توفى عام ٦٤هـ/ ٦٨٤م عمره ٧٣سنة [أبو العرب : مصدر سابق ، ص ٦٨ ، المالكى : رياض النفوس ، جـ ١ ، ص٤٥]

ومنهم : أبو ذؤيب خويلد بن خالد الهذلى المخزومى ، صحابى ، اشتهر بشعره ، غزا إفريقية مع ابن أبى سرح ، اختلف فى وفاته زمانا ، ومكانا ، قيل مات فى طريق مكة، وقيل فى مصر ، وقيل غازيا بأرض الروم ، كان ذلك فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه [أبو العرب : مصدر سابق ، ص ٦٨] =

وتعتبر غزوة عبد الله بن أبى سرح أو غزوة (العبادلة) أكبر غزوة يكون بها هذا العدد الكبير من صحابه رسول الله (ص) ومن التابعين غزت

=**ومنهم : أبو صالح حمزه بن عمرو الأسلمي** ، صحابى ابن صحابى، روى عن النبى ، وأبى بكر ، وعمر ، ذكر له تسعة أحاديث ، اشتهر بصون الدهر ، شهد فتح إفريقية مع ابن أبى سرح ، له فيها مقامات محمودة توفى سنة ٦١هـ/٨١٠م [المالكى : رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ٤٩ . أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ص ٧٤]

ومنهم : أبو مسلم سلمه بن عمر بن الأكوع الأسلمي ، صحابى سكن المدينة ، شهد بيعة الرضوان ، بايع الرسول (ص) وغزا عدة غزوات ، كان شجاعا ، غزا إفريقية مع ابن أبى سرح ، روى عن أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وروى عنه ابن عباس ، وآخرون ، روى له عن الرسول (ص) ٧٧ حديثا ، توفى بالمدينة سنة ٦٤هـ/٦٨٤م ، وقيل تأخر إلى سنة٧٤هـ/٦٩٤م وهو الأشهر [أبو العرب : مصدر سابق ، ص ٧٤]

ومنهم : عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ، يكنى أبا محمد ، صحب النبى (ص) اختلف في زمن أسلامه ، روى عبد النبى (ص) أحاديث : وعن أبيه ، روى عنه عبد الله بن عمر وآخرون ، دخل إفريقية غازيا ، اختلف فى وفاته ، فقيل عام ٥٣هـ/٦٧٣م ، وقيل ٥٩هـ/٦٧٩م [أبو العرب : مصدر سابق ، ص ٧٥ . المالكى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص٤٦]

ومنهم : ربيعة بن عباد الديلى ، من قبيلة الديل بن بكر بن عبد مناه بن كنانه ، قرئ اسم أبيه بالكسر ، والتخفيف ، **وهو الأشهر** ، صحابى ، عمر دهرا طويلا ، دخل إفريقية مع ابن أبى سرح ، توفى بالمدينة فى خلافة الوليد بن عبد الملك [أبو العرب : المصدر السابق ، ص ٧٥ . المالكى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٥١ : ٥٢]

ومنهم : أبو العباس معبد أخو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، ولد فى عهد الرسول (ص) ، لم يسمع منه ، دخل إفريقية غازيا مع ابن أبى سرح ، قتل فى شبابه عام ٣٥هـ/٦٥٦م فى ولاية عثمان ، وقيل استشهد بعد ذلك فى خلافة معاوية ، ذكر أن عليا ولاه مكه [أبو العرب: مصدر سابق ، ص ٧٩]

ومنهم : عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث ، اختلف فى صحبته ، يعد من التابعين ، روى عن أبى بكر ، وعمر ، وعمرو بن العاص ، وروى عنه مروان بن الحكم ، وغيرهم ، غزا إفريقية مع ابن أبى سرح ، أخرج له البخارى حديثا [أبو العرب : المصدر السابق ، ص٧٩]

ومنهم : أبو عمر عاصم بن عمر بن الخطاب ، ولد فى حياة النبى (ص) لم يرو عنه ، وإنما روى عن أبيه ، روى له البخارى ، ومسلم ، دخل إفريقية مجاهدا فى غزوة ابن أبى سرح ، توفى بالربذة قرب المدينة عام ٧٠هـ/٦٨٩م [أبو العرب : المصدر السابق ، ص٧٩]

ومنهم : مروان بن عبد الحكم بن أبى العاص القرشى الأموى ، ابن عم عثمان بن عفان ، وكاتبه فى خلافته ، روى عن عمر ، وعثمان ، وعلى ، وزيد بن ثابت ، وغيرهم ، روى عنه جماعة من التابعين منهم ابنه عبد الملك وغيرهم أنكر بعضهم أن تكون له رواية وصحبه أما حديثه فلم يتهمه أحد ، شهد فتح إفريقية ، والجمل مع عائشة ، وصفين مع معاوية بويع بالخلافة لكن مات فجأة عام ٦٤هـ/٦٨٤م ، وقيل ٦٥هـ/٦٨٥م [أبو العرب : المصدر السابق ، ص ٧٩ . د/عبدالشافى عبداللطيف : العالم الإسلامى ، ص ١٣٨]

منهم : عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، ولد فى عهد الرسول (ص) روى عن أبيه وعمه عمر ، وعبد الله بن مسعود دخل إفريقية مع ابن أبى سرح مات مع ابن الزبير ٧٣هـ/٦٩٢م [أبو العرب : المصدر السابق ، ص ٧٩ . الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٦ ، ص١٨٧]

إفريقية ، وهذه الغزوة لها تأثير فى إفريقية أوسع من غزوة عمرو بن العاص لعدة أسباب.

١- أن هذه الغزوة توغلت داخل إفريقية "بلاد البربر" وهذا التوغل أعطى المسلمين العرب خلفية جديدة لم تكن موجودة لديهم ، وخاصة حالة السكان الإجتماعية ، وروحهم المعنوية ، بالإضافة إلى معرفة قوة الروم المادية ، وعلاقة الروم بالبربر ، ومدى ارتباطهم ببعض ، هذا إلى جانب الإحتكاك المباشر بين المسلمين العرب ، وبين الروم والبربر مما مكن العرب من دراسة إفريقية عن كثب ، وخاصة بعد ما عزموا على فتح هذه البلاد ، ونشر الإسلام بها (١)

٢- من ناحية أخرى نجد نتيجة هامة لغزوةابن أبى سرح ، فقد كان من بين أسرى هذه الغزوة ، وزمان بن صقلاب البربرى (٢) جد بنى حرز ، وهو يؤمئذ أمير قبيلة مغراوة ، ورفعوه إلى عثمان بن عثمان رضى الله عنه فأسلم على يديه ، ومن عليه ، وأطلقه وعقد له على قومه (٣)

٣- أن هذه الغزوة كان لها أثر كبير فى اسلام كثير من قبائل البربر ، وخاصة البتر منهم مثل قبائل زناتة (٤)

٤- تعتبر هذه الغزوة المحك الرئيسى بعد غزوة عمرو بن العاص ، وقد كانت بداية موفقة لنشر الإسلام ، ودعم مبادئه بين العرب والبربر ، وقد مهدت هذه الغزوة الطريق بعد ذلك لولاه استطاعوا بذل مجهودات كبيرة فى هذا المجال على الرغم من عدم بقاء ابن أبى سرح مدة طويلة فى إفريقية ، فقد قضى خمسة عشر شهرا فى هذه الغزوة فى إفريقية (٥)

---

(١) الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٦٧.

(٢) **وزمان بن صقلاب البربرى** : شيخ قبيلة معزاوة وسائر قبيلة زنانة البترية ، قبض عليه ابن أبى سرح وأرسله إلى عثمان بن عفان ، فأسلم على يديه فما كان من عثمان إلا أن ولاه على قومه وعقد عليهم [ابن خلدون: العبر ، جـ ٦ ، ص ١٠٧ . د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ٢٩، ٣٠]

(٣) ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ ٦ ، ص ١٠٧.

(٤) الزاوى : مرجع سابق ، ص ٦٧.

(٥) د/ محمد زيتون : مرجع سابق ، ص ٣١.

دور رويفع بن ثابت والى برقة فى نشر الإسلام:

أما عن دور رويفع بن ثابت (١) والى برقة ، فقد كان لبقائه بين قبائل البربر فائدة كبيرة فى إرساء قواعد الإسلام ، فقد أمر أصحابه بأن لا يأتوا السبايا إلا بعد أن يعرضوا عليهم الإسلام ، ونهاهم عن استعمال دواب الغنيمة إلا بعد القسمة ، وقد ساهم رويفع على نشر الإسلام ، وساعد على نشأة جيل جديد من طلاب العلم ، والمعرفة فى إفريقية حين اختط مسجد الأنصار (٢) وهو أقدم مساجدها وأفضلها (٣)

كان قبر رويفع بن ثابت غير معلوم المكان ، حتى عثر فى برقة على حجر مكتوب عليه "هذا قبر رويفع بن ثابت الأنصارى صاحب رسول (ص)" وأصبح هذا القبر معروفا ، تلتمس عنده الرحمات لقصد صحابته للنبى (ص)(٤)

---

(١) **رويفع بن ثابت الأنصارى** بن السكن بن عدى بن حارثة ، وقيل بن خارجة الأنصارى بن مالك بن البخارى ، صحابى جليل ، شارك فى فتح مصر ، وسكنها ولاه ابن حديج على طرابلس ، سنة ٤٦هـ/٦٦٦م ، غزا جربة من طرابلس ، وفتحها ٤٧هـ/٦٦٧م ، توفى ببرقة، وهو أمير عليها سنة ٥٣هـ/٦٧٣م زمن ولاية مسلمة بن مخلد على إفريقية من قبل معاوية ابن أبى سفيان [الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٧٨ ، ٧٩]
دخل مع رويفع اثنين أحدهما صحابى والآخر تابعى :
الأول: فضالة بن عبيد الأنصارى الأوسى ، شهد فتح مصر ، تولى القضاء بها لمعاوية بن أبى سفيان ، غزا إفريقية ، توفى بدمشق ، سنة ٥٣هـ/٦٧٣م قيل سنة ٦٩هـ/٦٨٨م [المالكى: رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ٥٢. الدباغ : معالم الإيمان ، جـ ١ ، ص ٨٨ . **الجربى** : مؤنس الأحبة ، ص ٣٧ : ٣٨]
والثانى: حنش بن عبد الله السبائى الصنعائى قيل نسبة إلى صنعاء ، وقيل إنه من اليمن ، شهد غزو الأندلس مع موسى نصير ، له آثار ، ومقامات بإفريقية ، اختط بها دار ، ومسجد لايزال موجودا ، وبه معلم للقرآن يعلم الصغار من الذكور ، والأناث ، توفى بالقيروان عام مائه هجرية ٧٢١م [الدباغ :مصدر سابق ، جـ ١، ص ١٢٤، الجربى :مصدر سابق ، ص٣٨]

(٢) **مسجد الأنصار** : هو مسجد كبير بناه رويفع أحد الصحابة ، سنة ٤٧هـ / ٦٦٧م ، بمحرس الأنصار ، وعليه بنى هذا المحرس ليكون محرسا عليه ، وذلك قبل أن يختط عقبة القيروان [د/محمد زيتون : القيروان ، ص ٨٧]

(٣) الدباغ : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ١٠٢.

(٤) الزاوى : مرجع سابق ، ص ٧٩.

دور معاوية بن حديج فى نشر الإسلام:

عمل معاوية بن حديج على فتح مدن سواحل إفريقية ، وخاصة قابس ، وسوسه ، وبنزرت ، ومن جانب آخر إنتهز الروم فرصة إنشغال المسلمين بفتنه عثمان ، والخلاف بين على بن أبى طالب ، ومعاوية بن أبى سفيان ، فنقضوا عهودهم ، وارتد بعضهم ، ولكن ثبت بعضهم على اسلامه ، وقد نشأت ألفه ، وتفاهم بين من أسلم ، وبين من بقى فى إفريقية من المسلمين ، **ومن الجدير بالذكر** ، أن استقرار جماعة من المسلمين بإفريقية تعتبر بادرة تدل على ضعف شأن الروم ، كما أنهم أول خطوة فى استقرار الإسلام فى إفريقية، ومزاحمته للمسيحية فى دورها ، ومناطق نفوذها (١)

لقد مر على العرب منذ أن غزوا إفريقية إلى آخر غزوات معاوية بن حديج ست وعشرون سنة لم يتمكنوا من الإستقرار فى إفريقية ، وإنما كانوا يكتفون من الروم والبربر بعقد الأمان ، ودفع الجزية ، ثم يرحلون عن البلاد(٢)

كان من حسن الطالع أن حملة ابن حديج كانت تضم عددا كبيرا الصحابة والتابعين من المهاجرين ، والأنصار ، ولا شك أن هذه المجموعة قد أدت دورا كبيرا فى نشر الإسلام فى إفريقية (٣) وخصوصا أن أهل إفريقية

---

(١) الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٧٦.

(٢) سبب رحيل العرب عن إفريقية : أن سكان إفريقية كانوا يدينون بغير دين العرب ، بالإضافة إلى أنهم كانوا يعتبرون العرب غزاه فاتحين ، يجب عليهم أن يطردهم من بلادهم ، والعرب يعلمون هذا منهم ، لذلك ما كانوا يأمنون على أنفسهم ، غدرهم وخصوصا أن نجده العرب كانت تصل من مصر ، والشام ، والمدينة وهى مناطق بعيدة عنهم ، إلى جانب أن الروم لا يحترمون العهود والمواثيق فكانوا كما رحل العرب عنهم نقضوا عهدهم ، ومنعوا ما كانوا يؤدنه ، وارتد من أسلم منهم [الزاوى : المرجع السابق ، ص ٧٩]

(٣) من هؤلاء الصحابة والتابعين :

أ- **عبد الله بن عمر بن الخطاب** سبق الترجمة له ، ص ١٨٥.

ب- **أبو زمعه البلوى** : من قضاعه من قبيلة "بلى" صحابى سكن مصر ، واسمه عبد الله أو عبيد بن أرقم ، وقيل عبد الله بن أدم ، وقيل مسعود بن الأسود ، من أصحاب الشجرة ممن بايع النبى فى بيعه الرضوان ، سكن مصر ، وسار إلى إفريقية فى غزوة بن خديج الأولى سنة ٣٤هـ/٦٥٤م ، ومات بالقيروان ، ودفن بمقبرة باب تونس بالبلوية وبه سميت بالبلوية [أبو العرب : طبقات علماء إفريقية وتونس ، ص ٧٦: ٧٧. المالكى :رياض النفوس ، جـ١ ، ص٥٤]=

ثاروا ، وغضبوا من حاكم هرقل الجديد "أوليمه" (١) لمحاولة فرض ضرائب كبيرة عليهم.

استطاع معاوية بن حديج أن يثبت سلطة العرب ، ويطرد القوات البيزنطية من ساحل سوسه ، ويستولى على حصن جلولاء بالإضافة إلى نشر الإسلام بين قبائل البربر هناك. (٢)

دور عقبة بن نافع فى نشر الإسلام:

يعتبر عقبة بن نافع أول قائد عام لبرقة ، وطرابلس ، وإفريقية ، وقد صال وجال فى إفريقية مدة كبيرة جعلته على معرفة ، ودراية بأحوال قبائل البربر ، وطباعتهم ، وأخلاقهم ، وعادتهم ، وكان جل اهتمامه موجها إلى دعوة أهل إفريقية إلى الإسلام ، فنجد أن بربر لواته ، وهوارة ، ونفوسه ، وزناته الذين يشكلون سكان طرابلس ، كان معظمهم عند الفتح وثنيون ، ودان بعضهم بالمسيحية وبعضهم باليهودية وقد لقنهم عقبة الدين الإسلامى الذى يكفل لهم سلامه الدارين ، حيث نجح فى هداية أكثرهم حتى إنه شكل منهم كان له دور هام فى حروب إفريقية (٣)

ولا ريب أن عقبة قد ترك فى المغرب جماعة من الفقهاء فى المناطق التى كان يغزوها ، ولا سيما التى لم يتم إسلامها لتعليم البربر أمور الدين ، ونشر كتاب الله بينهم ، وتعلمهم العربية ، وليزيدهم إرتباط بالدولة الإسلامية(٤)

=**جـ- خالد بن ثابت بن طاعن بن العملاق الفهمى:** جد عبد الرحمن بن خالد أمير مصر ، وشيخ الليث ، شهد فتح مصر ، دخلها مع ابن حديج ، ولى مصر سنة ٥١هـ/٦٧١م ، وقيل اغزاه مسلمه بن مخلد ، سنة ٥٤هـ/٦٧٤م [أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ص ٨٣]

(١) د/ محمد زيتون : المسلمون فى المغرب والأندلس ، جـ ١ ، ص ٢٤.
- الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٧٣.

(٢) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ١٧٤.

(٣) محمود ناجى : تاريخ طرابلس الغرب ، ص ١٢٨.

(٤) دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ١٤٧ .

أبا ليلى دجين بن عامر الحجرى : أحد التابعين لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دخل إفريقية ، وأقام بها ، شهد مع عقبة بن نافع المشاهد كلها، بالإضافة إلى الحروب ، والفتوحات التى كانت بإفريقية روى عنه من أهل القيروان عبد الرحمن بن زياد بن أنعم،=

ومن الجدير بالذكر أن بناء مدينة القيروان ، وإنشاء مسجدها يعتبر من الأعمال المهمة التى ساعدت على نشر الإسلام ، وتثبيت أقدام المسلمين فى إفريقية ، لأنها أصبحت حصنا لهم ، فقد أخذ البربر يفدون على القيروان فاختلط البربر بالعرب ، ووجد العرب سبيلا إلى بث ، ونشر الدعوة الإسلامية، فأخذ البربر يتذوقونها (١)

من ناحية أخرى يعتبر إنشاء مدينة القيروان حدثا غريبا من حيث النشأة ، والتكوين لأن هذه البلاد لم تعرف قبل العرب إلا المدن الفينيقية مثل طنجة وقرطاجنة (٢) التى خربت ، وتحولت إلى قرى ، والتى تختلف عن المدن العربية القابلة للتطوير ، والتعديل بحسب حاجات البلاد ، فعلى هذا النمط صارت قرى المغرب ، وبدأت تتحول إلى مدن إسلامية بها المساجد ، والمكاتب لتدريس اللغة العربية ، ونشر مبادئ الإسلام (٣)

استطاع عقبة أن يفتح بلاد كثيرة فى إفريقية ، ويضمها إلى دولة الإسلام ، وأن يكون جيشا كبيرا من البربر ، مما يدل على أن الإسلام قد أخذ ينتشر بين أهل هذه البلاد "البربر" ويتخذوه دينا لهم (٤)

وعلى الرغم من الأعمال الجليلة التى قام بها عقبة بن نافع فى ولايته الأولى ، فقد فوجئ بعزله ، بعد أن مكث بها خمس سنوات ، وحل محله أبو المهاجر دينار الذى اتبع سياسة جديدة مغايرة لسياسة سلفه ، فقد اعتمد عقبة على استعمال الشدة مع البربر فى أحيان كثيرة (٥)

=ويزيد بن منصور [المالكى : رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ٩٠ . د/ محمد زيتون : القيروان ، ص٢٢٤]

(١) الزاوى : تاريخ العربى فى ليبيا ، ص ٨٦.

(٢) محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة ، جـ ٢ ، ص ١٧٢٥.

(٣) د/حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٥٨.

(٤) د/ محمد زيتون : المسلمون فى المغرب والأندلس ، جـ ١ ، ص ٢٨.

(٥) لعل التعامل مع شعب كبير كالبربر كانت تجربة جديدة واجهت العرب لأول مرة فى تاريخهم، وكانوا قد عرفوا قبل ذلك الشعوب المسالمة ، والمتعاونة ، ولم يعرفوا شعبا عنيدا يمارس المعارضة عمليا بالحرب فى كل مكان كالبربر ، وتعتبر الزعامة البربرية زعامة قبيلة غير متطورة ، تريد إظهار القوة فى الحرب بلا نهاية ، ولهذا جاء اتجاه القادة العرب ، ومن بينهم عقبة فى بعض حالات التعامل مع البربر مخالفا لسياستهم فى التسامح ، والعفو، وعدم التطرف فى العقوبة ، هنا نجد خبرة عقبة فى التعامل مع البربر فوجود عقبة بين البربر منذ بداية فتح العرب للمغرب ، جعله يتخير وقت استعمال الشدة بالحزم لأن البربر=

أما أبو المهاجر فقد سلك طريقة استطاع بها كسب المودة عن طريق التفاهم والحوار مع البربر فأتت هذه الطريقة بنتيجة طيبة جذبت كثيرا من البربر إلى الإسلام ، وعلى رأسهم زعيم قبيلة أوربة البربرية "كسيلة" ، وقبيلته الكبيرة ، ويكفى أبو المهاجر فخرا أنه الوالى الوحيد الذى استطاع إدخال قبيلة برنسية كبيرة فى الإسلام ، وكان معظم من أسلم قبل ذلك من البربر البتر (١) كما اشتمل جيشه أثناء حملته على بلاد المغرب على جنود من البربر (٢) بالإضافة إلى أنه صالح عجم إفريقية – النصارى – ودخل من دخل منهم فى الإسلام ، نتيجة للسياسة التى اتبعها ، وبهذا يعتبر أبو المهاجر قد قام بدور هام فى نشر الإسلام بين البربر (٣)

وعقب عودة عقبة مرة أخرى لولاية إفريقية سنة ٦٢هـ/٦٨٢م ، وقبل الخروج من القيروان لمواصلة الفتح ، ونشر الإسلام ، جمع الناس وأولاده وخطب فيهم موضحا هدف الحملة ، وهو الجهاد فى سبيل الله كما أوصاهم بوصية تضمنت : النهى عن الإهتمام بالشعر على حساب حفظ القرآن ، وترك الإستدانة ، ثم الزهد فى أخذ العلم عن المغرورين (٤)

معنى هذا أن هناك شعر يلقى ، وقرآن يحفظ ، وعلم يؤخذ ، وهذا يدل على أن عقبة قد جعل من مدينة القيروان مركز اشعاع فكرى ، وحضارى فى بلاد المغرب.

=كانوا إذا دخل اليهم أمير أطاعوا وأظهر بعضهم الإسلام ، فإذا عاد الأمير عنهم نكثوا ، وارتد من أسلم [ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ص ٢٣٤] فاستخدام الشدة له ما يبرره حتى يفكر أكثر من مرة من أراد الخروج على النظام.

(١) د/ حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٨.

(٢) أمثال **حسين بن عبد الله الصنهاجى** [المالكى : رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ٢٠]

(٣) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢١.
– د/ عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، جـ ٢ ، ص ٢٦٦.

(٤) **نص وصية عقبة بن نافع** "إياكم أن تملئوا صدوركم شعر ، وتتركوا القرآن ، امئلوا صدوركم من كتاب الله فإنه دليل على الله ، وخذوا من كلام العرب ما تهتدى به ألسنتكم ، ويدكم على مكارم الأخلاق، ثم انتهوا عما وراءه ، وأوصيكم ألا تداينوا ، ولو لبستم العباء ، فإن الدين هم بالليل ، وذل بالنهار فدعوه تسلم لكم أقداركم وأعرضكم ، وتبقى لكم الحرمة مع الناس ما بقيتم ، ولاتقبلوا العلم من المرخصين فيجهلوكم دين الله ، ويفرقوا بينكم ، وبين الله تعالى ، ولاتأخذوا دينا إلا من أهل الورع والإحتياط فهوا أسلم لكم ، ومن احتاط سلم ونجا ، وعليكم سلامة الله ، وأرانى لاتردونى بعد يومكم هذا اللهم تقبل نفسى فى رضاك ، واجعل الجهاد رحمتى من دار كرامتى عندك" [المالكى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٢٢ . الدباغ: معالم الإيمان ، جـ١ ، ص ٤٨ . د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ٢١٧ ، ٢١٨]

وفى سبيل نشر الإسلام اتجه عقبة إلى المغرب الأقصى ، وقد استجابت عدة قبائل من البربر ، وخاصة المصامدة لدعوة عقبة ، فترك من أصحابه (١) من يعلمهم اللغة والقرآن ، ولم يعرف المصامدة عقبة بن نافع حتى أسلم أكثرهم طوعا على يديه (٢)

تعتبر ولاية عقبة الثانية ٦٢ - ٦٤هـ/٦٨٢ - ٦٨٤م إمتدادا لجهوده السابقة ، وفى هذه الفترة كانت معظم جهوده موجهة ضد الروم ، ولايخلوا الأمر أن يكون مع الروم جماعة من البربر ، والأفارقة ، أما البربر فلا نجد لهم أثرا كبيرا فى الدفاع عن إفريقية ، فنجد أن العرب عند فتحهم لإفريقية يمرون فى قلب بلاد البربر ، حيث مروا ببرقة ، وهى موطن لواته ، وبسرت، وطرابلس وهى موطن هوارة ، وهذه القبائل كانت من أكبر ، وأقوى قبائل البربر ، ومع ذلك لم تقم فى وجه عقبة من خلال إمارته الثانية ، فوجود هذه الكثرة من قبائل البربر فى طريق العرب إلى إفريقية ، وعدم مقاومتها لهم فى كثير من الأحيان دليل على أن البربر نظروا إلى فتح العرب لبلادهم نظرة لا تتفق مع رغبات الروم ، ونتيجة لما لا قوة منهم من سوء معاملة ، واستبداد (٣)

لقد أسلم على يدى عقبة كثير من البربر الذين أحبوا الإسلام ، ودخلوا فيه ، وكون البربر فيما بعد نواه الجيوش التى أتمت فتح باقى بلاد المغرب تحت قيادة العرب (٤) فى النهاية استطاع عقبة بمعاونة البربر الذين دخلوا فى الإسلام فى القضاء على الحكم الرومانى فى شمال إفريقية جملة واحدة (٥)

---

(١) ترك عقبة أحد أصحابه ويدعى **شاكر بن عبد الله الأزدى** لتعليم البربر ، وله رباط يعرف باسمه فى دولة المغرب ، وهو حاليا يعرف بسيدى شاكر [التادلى : التشرف إلى رجال التصرف ، ص ٢٦ . ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٧ . د/سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٢٠٢ . د/حسن ابراهيم : انتشار الإسلام فى إفريقية ، ص ٧١]

(٢) ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٤٢.
- د/ محمد زيتون : تاريخ المسلمين المغرب الأندلس ، جـ ١ ، ص ٣٨.

(٣) الزاوى : تارخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٩٣.

(٤) الزاوى : المرجع السابق ، ص ٨٦.

(٥) بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ١٥٢.

دور زهير بن قيس البلوى فى نشر الإسلام :

أما زهير بن قيس ، فقد كان من رؤساء العابدين ، وأشراف المجاهدين لدرجة أنه رحل إلى المشرق خوفا على نفسه من الفتنة ، ومن بريق الحكم والإمارة فتركها زهدا وورعا (١) ويعبر عن ذلك الناصرى السلاوى بقوله "أما زهير فإنه لما رأى ما منحه من الظفر ، والنصر خشى على نفسه الفتنة فترك القيروان آمنه"(٢)

غير أن أحد الدارسين يرى غير ذلك ، حيث يقول "كانت الأقاليم الشرقية من المغرب فى ذلك الوقت فريسة لغارات تخريبية من جانب الروم ، وهذا هو السبب من غير شك فى عودة زهير نحو المشرق" (٣) وهذا رأى لا ينطبق مع منطق الأحداث ، لأن زهير كان قد انتصر على كسيلة زعيم أكبر قبيلة بربرية "أوربة" (٤) ولو علم بتجمع الروم ، وتخريبهم المدن الإسلامية

---

(١) أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ص ٨٠.
(٢) الناصرى السلاوى : الإستقصا : ، جـ ١ ، ص ٨١.
(٣) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٢١١.
(٤) يعتبر اسلام كسيلة نقطة تحول كبيرة فى نشر الإسلام بين قبائل البربر ، على الرغم من ارتداده عن الإسلام كما يقال ، لكن أحد الدارسين يرى أن كسيلة لم يرتد عن الإسلام ويدل على ذلك بمعاملته الطيبة للمسلمين عندما استولى على القيروان ، وما كان ليرتد عن الإسلام بعد أن حسن اسلامه ، ويبرر ما حدث بأنه سوء فهم عندما أساء عقبة له ، وأنها مسألة شخصية لا علاقة لها بمبادئ الإسلام المبنى على الإخاء ، والمساواة ، ويبرر ثأر كسيلة من عقبة لتخليص صديقه أبى المهاجر من يديه [د/سعد زغلول: مرجع سابق ، جـ ١،ص٢٠٧]
نقول لو أن كسيلة بالله حق الإيمان لما وقف حجر عثره فى طريق الفتح الإسلامى كما أشار على أبى المهاجر بتخريب مدينة القيروان ، علاوة على أن كسيلة لم يكن الوحيد الذى أسلم على يد عقبة ، ولم نسمع أن عقبة قد أهان واحدا منهم ، لأن هذا ليس هو الإسلوب الصحيح لجذب الناس للدخول فى دين الله أفواجا ، وإذا كان الأمر كذلك ، فإن إهانة عقبة لكسيلة قد تكون مرجعها إلى ، إدراك عقبة أن إسلام كسيلة غير ثابت ، فتصرف عقبة معه بهذا الشكل، ليكون عبره ، وعظة لكل من تسول له نفسه بالخروج على المسلمين، فلا يقدمون على محاربتهم ، أما المعاملة التى عامل بها كسيلة المسلمين ، فنجد أنه عندما استولى على القيروان وجد فيها جماعة من المسلمين لم يستطيعوا الرحيل ، فلم يتعرض لهم بأذى ، لأن فيهم جماعات من البربر قد أسلمت ، فإيذاؤهم يقلب عليه قلوب قومه [دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٢٨ : ٣٩]
كان اسلام كسيلة حديثا لم يفهم معناه ، ففى أول اختبار حقيقى له ارتد عن الإسلام ، إلا أن اسلام كسيلة قد مهد الطريق لنشر الإسلام بين القبائل المجاورة ، وانخراط بعضهم فى جيش المسلمين ، إلى جانب العرب ، وتعتبر هذه هى المرة الأولى التى يسير فيها العربى بجوار البربرى بهذه الطريقة الودية لفتح البلاد ، ونشر الإسلام ، وتعلم اللغة سويا لدرجة أن استشهاد عقبة ترك أثرا فى نفوس الأهلين [د/ حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٢٨٥]

لأعد لهم العدة الكاملة ، ولما عاد ، وترك المغرب ، يدل على هذا أنه عندما تصدى للروم كان معظم جنوده موجودين بالقيروان ، ولم يبقى معه من أصحابه إلا سبعين رجلا من أشراف الناس (١) ولا يمكن أن يذهب إلى قتال العدو بأشراف الناس وبهذا العدد القليل الذى لا يزيد عن سبعين رجلا فقط ، هذا يدل على أن زهير لم يكن على معرفة بما حدث فى برقة إلا وهو فى طريق عودته ، بعد أن قرر العودة (٢)

جهود حسان بن النعمان فى نشر الإسلام:

أما حسان بن النعمان ، فبعد هزيمته من الكاهنة فى "وادى العذارى" عام ٧٤هـ/٦٩٣م انسحب متراجعا إلى طرابلس ، ومكث بها حوالى خمس سنوات ، عاد مرة أخرى إلى المغرب ، وتمكن من هزيمة الكاهنة فى جبال أوراس عام ٧٨هـ/٦٩٧م ، ثم بدأت مواهبه تظهر فى نشر الإسلام ، فقد اختار مجموعة من جلة التابعين لم تمدنا المصادر بأسمائهم لسؤ الحظ ، حتى نتبع جهودهم فى تعليم البربر القرآن ، وفرائض الإسلام ، بالإضافة إلى بناء المساجد ، وقد استعملوا فى المساجد التى عزموا أن يجعلوا فيها الجمعات (٣)

ومن الجدير بالذكر أن الكاهنة قد ساعدت بطريق غير مباشر على انضمام عدد كبير من البربر إلى حسان ، وهذا راجع إلى سياسة التخريب التى اتبعها ظنا منها أن العرب يريدون المدائن ، والذهب ، والفضة ، ويعتبر لجؤ هذا العدد الغير قليل ، والذى يقدر بحوالى اثنى عشر ألفا من البربر إلى حسان ، إلى ثقه البربر الكبيرة فى حسان ، على الرغم من أنه بالأمس القريب كان عدوهم الأول ، وذلك راجع إلى حسن سياسة حسان تجاه البربر بالإضافة إلى ما سمعوه ، وما لمسوه من إخوانهم الذين سبقوهم ، ودخلوا تحت راية الإسلام ، ومبادئه السمحة.

فما كان من حسان بن النعمان إلا أن ضم هؤلاء البربر إلى الجيش الإسلامى ، فاعتبر هذا الجيش ذراع قوية للدولة الإسلامية يحمى به ما فتح

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح العرب للمغرب ، ص ٢٠٢.
(٢) د/ ضاء الدين الريس : عبد الملك بن مروان ، ص ٢٥٣ ، بدون تاريخ.
(٣) عبيد الله بن صالح : نص جديد عن فتح العرب للمغرب ، ص ٢٢٣.

من إفريقية ، وصد أى غارات من البربر أو الروم (١) وخطى حسان خطوة هامة أخرى ، وعقد لولدى الكاهنة (٢) على هذا الجيش فخرجوا يجاهدون مع العرب مما يعد قوة جديدة أضيفت إلى قوة المسلمين ، كان من نتيجتها أن البربر لهم دور ضخم فى فتح معظم بلاد المغرب الأقصى ، بالإضافة إلى الدور القوى الذى لعبوه فى فتح الأندلس ، وضم رقعة جديدة إلى مساحة الدولة الإسلامية. (٣)

دور موسى بن نصير فى نشر الإسلام:

أما موسى بن نصير ، فيعتبر أحد الولاه النشطين فى إعلاء شأن الإسلام ، فقد تمكن من نشر الإسلام فى أرجاء المغرب ، وخاصة بلاد المصامدة الذين دخلوا فى الإسلام طواعيه (٤) وكان لسياسة موسى بن نصير الرامية إلى اتخاذ عدد كبير من الموالى ، أثر كبير فى تجميع أعداد من حوله، مما جعله يشترى عددا كبيرا من الأسرى ، والرقيق ، وإدخالهم فى الإسلام ، وتعليمهم اللغة العربية. وفى سبيل ذلك خصص جزاء كبير من المال الذى يعطيه للخليفة لهذا الأمر ، وكان يأخذ على هؤلاء العهد ، والميثاق بأن يكونوا جنودا أوفياء للإسلام ، وكان يختارهم من الرقيق المعروض للبيع عقب أى انتصار من انتصارته من خلال فتوحاته فى المغرب من كل من توسم فيه الرغبة فى اعتناق الإسلام ، وخاصة ما ينحدرون من بيوت كريمة(٥) بالإضافة إلى أن موسى كان يترك فى النواحى التى فتحها ،

---

(١) قدم البربر عقب هزيمتهم من حسان اثنى عشر ألفا من الجنود إلى صفوف المسلمين وهى سياسة لم تحدث فى مصر ، ولا فى أى جزء من ولايات الدولة الإسلامية ، وكان العلماء ، والفقهاء فى الجيش يقرأون لهم القرآن ، ويفسرونه لهم ، ويعلمونهم أحكام هذا الدين ، وما فيه من مبادئ [د/زاهر رياض : شمال إفريقية فى العصور الوسطى ، ص ٤٥ ، سنة١٩٨١م، القاهرة]

(٢) كان للكاهنة ولدان : **أحدهما** يدعى *يفرن* **والثانى** يسمى *يزديان*.

(٣) د/ حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٢٨٥ : ٢٨٧.

(٤) كان نشر الإسلام يسير مع الفتح جنبا إلى جنب ، فقد أخذ موسى يفقد الناس فى الدين ، وينشئ المساجد فى البلاد التى فتحها [ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٧ ،٤٣. د/حسن ابراهيم حسن: انتشار الإسلامى فى القارة الإفريقية ، ص ٩٠]

(٥) كان موسى بن نصير يختار من الأسرى من يظهر بمظهر الشاب النشيط ، وكان أول الأمر يعرض عليهم أن يعتنقوا الإسلام ، فإذا ما تحولوا إليه ، استخدمهم على سبيل التجربة ، فإذا ثبت أن لديهم المقدرة ، وظهرت منهم بوادر مشجعة أعتقهم ، وضمهم إلى جيشه فكان من هؤلاء البربر مستعربون انكبوا على تعلم اللغة العربية ، فأصبحوا قواد للمسلمين ، منهم=

ولا سيما المغرب الأقصى من يعلم أهلها فرائض الإسلام ، ويحفظهم القرآن مثل : **حنش بن عبد الله السبائى الصنعائى** ، فأسلم كثير من البربر فى عهده، وحسن إسلام كثير من هذه النواحى ، فأتم بهذه المساعى الحميدة ما بدأه الفاتحون الأولون (١) بهذا أضاف موسى كثيرا من البربر إلى الإسلام ، سوى بعض جماعات قليلة بقيت على دينها ففرض عليها الجزية (٢)

وقد استطاع موسى بن نصير بما عرف عنه من حب للعدل(٣) والإنصاف أن يجذب إليه معظم أعيان البربر ، وبذلك أثبت أنه قائد ماهر فى الحروب ، وفى شئون الدولة ، وتم على يديه جعل بلاد البربر جزء من أجزاء الدولة الإسلامية. (٤)

عمر بن عبد العزيز ودوره فى نشر الإسلام فى المغرب بين البربر

كان عليه لتحقيق هذه السياسة أن يغير ولاة الدولة الموجودين هناك ، ويعين بدلا منهم ولاة جددا يقومون بتنفيذ سياسته ، فعين على المغرب اسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر ، وقد جمع له فى ولايته الحرب ، والخراج والصدقات ، وقبيل ولايته كانت هناك فصل بين أمور السياسة ، والحرب والشئون المالية ، فيكون لكل عاملها الخاص بها ، ولأول مرة يجمع عمر بن عبد العزيز ، أمر الحرب ، والخراج ، والصدقات لوال واحد ، مما يدل على أن عمر كان يثق فى هذا الوالى ثقة كبيرة ، ويطمئن إليه ، وكان

=طارق بن زياد فاتح الأندلس ، كما ترك موسى، طارق على طنجة ، وما ولاها ، ومعه عدة آلاف من العرب ، وأمرهم أن يعلموا البربر ، وأن يفقهوهم فى الدين ، أما إذا كانت الثانية ، أعادهم إلى بقية الأسرى [ليفى بروفنسال : نخب تاريخيه ، ص ١١ . أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ٢٦٦ ، الطبعة الثالثة ، بدون تاريخ . عبد العزيز بنعبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ، ص٦٣ . د/ عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية، جـ ٢ ، ص ٣٥٠]

(١) دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ١٣١ ، ١٣٦.

(٢) سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب ، ص ١١١ ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٦١م، بيروت.
- محمد بن تاويت : الأدب المغربى ، ص ١٠٠.

(٣) يعتبر موسى بن نصير أول من استقصى فى المغرب بعد الفتح ، فقد عين أبا الجهم عبد الرحمن بن رافع التنوحى التابعى قاضيا للمسلمين ، وقد اختير فيما بعد من العشرة التابعين لتعليم البربر شرائع الإسلام ، استقصى ، سنة ٨٠هـ/٦٩٩م ، توفى بالقيروان سنة١١٣هـ/٧٣١م [المالكى : رياض النفوس ، ص ٧٢ . الدباغ : معالم الإيمان ، جـ ١ ، ص١٩٨ . د/السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٢٩٠]

(٤) دبوز : مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ١٣١.

اسماعيل عند حسن ظن الخليفة ، فأحسن السيرة بين الرعية ، وخاصة بين قبائل البربر فى المغرب ، فكان خير أمير ، وخير وال ، كما قيل عنه (١)

اهتم اسماعيل بنشر الإسلام بين البربر ، ودعاهم إليه فاستجاب معظم البربر لدعوته ، "فلم يبق فى ولايته يومئذ من البربر أحد إلا أسلم" كما ذكر ابن عبد الحكم (٢)

بالإضافة إلى أنه أبطل كثيرا من العادات غير المستحبة ، حيث أن قبيلة لواته كانت تبيع فى خراجها بعض أبنائها فقال لعماله "من كانت عنده لواتيه فليخطبها إلى أبيها ، أو فليردها إلى أهلها" وذلك تطبيقا لمبادئ المساواة التى نادى بها الإسلام ، كان عمر بن عبد العزيز حريصا على نشر الإسلام بقوة بين البربر ، وعلى تعليمهم شرائعه فأرسل مع واليه على المغرب اسماعيل بن عبيد الله (١٠٠ - ١٠١هـ/٧١٨ - ٧١٩م) عشرة من فقهاء التابعين من الشخصيات القوية ، والنفوس النيرة ، وأمرهم أن يتوزعوا فى أنحاء المغرب ، ليفقهوا البربر فى الدين ، وليكون الإسلام فى سلوكهم كما كان فى وجدانهم (٣) وهؤلاء التابعون العشرة هم :

١- أبو عبد الرحمن الحبلى أو عبد الله بن أبى يزيد الإفريقى (٤)

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٤٨.

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢١٣ . أحمد أمين : ظهر الإسلام ، جـ ١ ، ص ٢٩٣ ، سنة١٣٦٤هـ/١٩٤٥م ، القاهرة . ويبدوا أن فى قول ابن عبد الحكم شئ من المبالغة، وليس من المعقول أن يكون البربر كلهم قد أسلموا على يد اسماعيل بن عبيد الله كما ذكر ، وإنما لخطأ فى القول بأن معظم البربر كان قد أسلم حتى ذلك الحين ، وإذا كانت قد بقيت فى البلاد أقلية لم تدخل فى الإسلام بعد ، فستدخله على مر الأعوام [مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٢٩٨]

(٣) دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ١٨٥ ، ١٨٦.

(٤) **أبو عبد الرحمن الحبلى** ، واسمه عبد الله بن يزيد المعافرى ، بعثه عمر بن عبد العزيز إلى إفريقية ليفقه أهلها فى الدين ، فبث فيهم علما كثيرا ، وانتفعوا به ، روى عن جماعة من الصحابة منهم، عبد الله بن عمر ، وأبو أيوب الأنصارى ، كان رجلا فاضلا ، شهد فتح الاندلس مع موسى بن نصير توفى بالقيروان ، سنة ١٠٠هـ/٧١٨م ، ودفن بباب تونس [المالكى: رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ٦٤ : ٦٥ . الدباغ : معالم الإيمان ، جـ ١ ، ص١٤١ . د/السيد سالم: تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٢٩٠ . د/سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص٢٦٥]

٢- أبو مسعود سعد بن مسعود التجيبى الكندى (١)

٣- اسماعيل بن عبيد الله الأنصارى يعرف "بتاجر الله" (٢)

٤- أبو الجهم عبد الرحمن بن نافع التنوحى (٣)

٥- موهب بن حى المعافرى (٤)

٦- حيان بن أبى جبلة القرشى (٥)

٧- أبو ثمامة بكر بن سوادة الجذامى (٦)

---

(١) **أبو مسعود سعد بن مسعود التجيبى الكندى** : بعثه عمر ليفقه أهل القيروان ، وما حولها، صحب جماعة من الصحابة ، وروى عنهم ، منهم أبو الدراء ، سكن القيروان ، ويبدو أنه حضر ثورة الخوارج سنة ١٢٣م/٧٤١م أيام حنظلة بن صفوان ، وتوفى بعدها مباشرة فى القيروان [ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٤٨ . المالكى : رياض النفوس ، جـ١، ص ٦٦ : ٦٧. أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ص ٨٧ . د/السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٢٩٠]

(٢) **اسماعيل بن عبيد الله الأنصارى** : يعرف *"بتاجر الله"* أطلق عليه هذا اللقب لأنه جعل ثلث كسبه لله تعالى يصرفه فى وجوه الخير ، وكان له علم وفقه ، صحب جماعة من الصحابة ، وروى عنهم ، منهم عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وينسب إليه بناء المسجد الكبير بالقيروان ، سنة ٧١هـ/٦٩٠م ، والذى يعرف الآن بمسجد الزيتون ، وكذلك السوق المجاور للمسجد الذى باسمه ، توفى سنة ١٠٧هـ/٧٢٥ : ٧٢٦م [المالكى : مصدر سابق : ، جـ ١، ص ٦٩ ، ٧٠ ، الدباغ : معالم الإيمان ، جـ ١ ص ١٤٦ ، ١٤٧ . أبو العرب : مصدر سابق، ص ٨٤ . د/السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، ص ٢٩٠]

(٣) **أبو الجهم عبد الرحمن بن نافع التنوحى** : ولاه موسى بن نصير قاضيا على القيروان سنة٨٠هـ/٦٩٩م ، روى عنه جماعة ، سكن القيروان وتوفى بها سنة ١١٣هـ/٧٣١م [المالكى: مصدر سابق ، جـ ١، ص ٧٢ . الدباغ : مصدر سابق ، جـ ١، ص ١٥١. ابن عذارى:مصدر سابق ،جـ ١، ص ٤٨ . د/السيد سالم : مرجع سابق ، جـ ٢،ص٢٩٠]

(٤) **موهب بن حى المعافرى** *"بن جنى أوابن حبى"* : تابعى صحب ابن عباس ، وروى عنه ، وعن غيره من الصحابة ، كان من أهل العلم ، والفضل ، سكن القيروان ، وتوفى بها سنة١٢٨هـ/٧٤٦م [أبو العرب: مصدر سابق ، ص ٨٤ . المالكى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٧٣ ، الدباغ : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ١٦١. د/سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص٢٦٥]

(٥) **حيان بن أبى جبلة القرشى** : من موالى بنى عبد الدار ، من أهل الفضل والدين ، روى عن جماعة من الصحابة منهم عبد الله بن عباس ، وعمرو بن العاص ، وغيرهم ، سكن القيروان ، وتوفى بها سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م [المالكى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٧٣ . الدباغ : مصدر سابق ، جـ ١، ص ١٤٨. د/السيد سالم : مرجع سابق ، جـ ٢، ص٢٩٠]

(٦) **أبو ثمامة بكر بن سوادة الجذامى** : كان فقيها ومفتيا ، روى عن جماعة من الصحابة منهم عقبة ابن عامر ، ومن التابعين منهم سعيد بن المسيب ، وابن شهاب الزهرى توفى بالقيروان سنة ١٢٨هـ/٧٤٥ - ٧٤٦م [الدباغ : مصدر سابق،جـ ١،ص ١٦٠.

٨- أبو سعيد جعثل بن هاعان بن عمير البتور (١)

٩- أبو عبد الحميد اسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر (٢)

١٠- طلق بن جابان الفارسى (٣)

هؤلاء التابعون كان يحثون الناس على الدخول فى الإسلام دون أن يفرضوا ذلك عليهم ، ويبصرونهم بشئون دينهم ، ويقيمون الحدود ، ويحرمون الخمر ويحاربون المفاسد (٤) ومن الجدير بالذكر أن هؤلاء التابعين كانوا على درجة كبيرة من العلم بحيث ذاع صيتهم ، ووفد الناس من شتى النواحى للأخذ عنهم ، فنجد أن عمران بن عوف الغافقى من أهل مصر أخذ العلم عن اسماعيل بن عبيدالله الأنصارى ، وقد أخذ أيضا من أهل إفريقية عنهم كما يذكر المالكى (٥) جماعة منهم "سواده الجرمى ، وعبد الرحمن سبأ أخذا عن اسماعيل بن عبيد الأنصارى" هذا إلى جانب توافد الكثير من البربر على المساجد للإستماع إلى الدروس التى كانت تلقى بها (٦) ومن هذه المساجد التى كانت تقوم بهذا بين البربر "مسجد الرباطى الذى بناه أبو عبد الرحمن

=المالكى: رياض النفوس، جـ ١ ص ٧٤ • د/السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٢٩٠ . د/سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٢٦٥]

(١) **أبو سعيد جعثل "جعيل" بن هاعان بن عمير البتور** تولى قضاء الجند فى إفريقية فى أول خلافة هشام بن عبد الملك ١٠٥هـ/٧٢٤م ، توفى فيما يقرب من سنة ١١٥هـ/٧٣٣م [المالكى: رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ٧٥ . د/السيد سالم : مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص٢٩٠. د/ سعد زغلول: مرجع سابق ، جـ ١ ، ص٢٦٥]

(٢) **أبو عبد الحميد اسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر الأعور القرشى المخزومى بالولاء.** استعمله عمر بن عبد العزيز على أهل إفريقية ، ليحكم بكتاب الله ، ويفقهم فى الدين ، أسلم على يدية خلق كثير من البربر ، فكان خير وال ، وخير أمير ، كان ذا علم ، وفقه ، روى عن جماعة من التابعين ، سكن القيروان وتوفى بها سنة ١٣٢هـ/٧٤٩ - ٧٥٠م [أبو العرب: طبقات علماء إفريقية ص ٨٤ ، الدباغ : معالم الإيمان ، جـ ١ ، ص ١٥٤ . المالكى : مصدر سابق ، ص ٧٥ ، ٧٦ . د/السيد سالم : مرجع سابق ، جـ٢ ، ص ٢٩٠]

(٣) **طلق بن جابان "ابن طفان" ، "ابن جابان" الفارسى** : روى عنه بعض الأفارقة ، والمصريين منهم موسى بن على ، وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، روى عنه من أهل مصر يونس بن أبى أيوب توفى سنة ١٢٨هـ/٧٤٦م [الدباغ : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ١٦٢ . المالكى : مصدر سابق، جـ ١، ص ٧٦. أبو العرب : مصدر سابق،ص ٨٦ . د/السيد سالم: مرجع سابق ، جـ ٢، ص ٢٩٠. د/سعد زغلول : مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ٢٦٥: ٢٦٦]

(٤) د/ حسن ابراهيم حسن : انتشار الإسلام فى القارة الأفريقية ، ص ٩٠.
- نقولا زيادة : ليبيا العصور الحديثة ، ص ٣٦.

(٥) المالكى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٢٩.

(٦) د/حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٢٩٦.

عبد الله بن يزيد المعافرى الإفريقى ، هذا إلى جانب جامع الزيتون الذى بناه اسماعيل بن عبيد الله المعروف بتاجر الله (١) وهذا الدور كانت تقوم به معظم المساجد فى المغرب ، وكان المتعلمون بهذه المساجد يقضون بعض الوقت فى الدراسة ، وخاصة فى القيروان ثم يعودون إلى قبائلهم ، ونواحيهم فيولون وظائف الدين ، والقضاء ، ويعلمون الناس أصول الإسلام. (٢)

ويبدو أن هؤلاء التابعين الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز قد اتخذوا من مدينة القيروان مكانا رئيسيا لتعليم الناس ، يدل على هذا ، أن معظمهم سكنوا القيروان ، واختلطوا بها دورا ، ومساجد ، وقبورا لهم (٣)

عوامل اقبال البربر على الإسلام:

هل انتشر الإسلام بين البربر بالدعوة أم بالقوة؟

لاشك أن الإسلام لا يجبر أحدا على الدخول فيه ، بل إنه يكفل حرية الدين ، والعبادة بين الناس عامة ، وقد انتهج الإسلام الحرية الدينية أسسا سمحه نبيلة، هى أقصى ما يمكن أن يصل إليه تشريع فى حرية الإديان ، فالإسلام فى جوهرة دين عقلى ، وبسيط فى العقيدة ، فكل ما يطلب من يدخل فى الإسلام قبول الشهادتين ، لا إله إلا الله ، وأن محمد رسول الله ، ثم تأتى بقية الأركان (٤) **ومن هذه الأسس:**

١- أنه لا يجبر أحدا على ترك دينه ليعتنق الإسلام إذ "لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى" (٥) ، فالناس أحرارا فيما يعتقدون "لكم دينكم ولى دين"(٦)، وأمر الله رسوله (ص) أن يدعو الناس إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة واحترام الإسلام معتقدات مخالفية ، ودور عبادتهم ، والأكثر من هذا أن الإسلام على الرغم من القوامه التى هى للرجل على

---

(١) الدباغ : معالم الإيمان ، جـ ١ ، ص ١٣٨ : ١٤١.
(٢) د/ حسين مؤنس : فتح العرب المغرب ، ص ٢٩٧.
(٣) أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ص ٨٢ : ٨٧.
– المالكى : رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ٧٥:٦٤.
(٤) أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ٣٤١ .
(٥) سورة البقرة : آيه ٢٥٦.
(٦) سورة الكافرون : أيه ٦.

المرأة ، فيما يخص مصلحة الأسرة ، والصالح العام ، لم يجز للمسلم المتزوج من كتابية أن يمنعها من أداء عبادتها، وشعائر دينها (١)

٢- إن الإيمان الصحيح فى نظر الإسلام هو ، ما كان منبعثا عن يقين واقتناع، لا عن تقليد ، واتباع ، لأن التقليد بغير عقل ، ولا هداية شأن الكافرين ، وأن المرء لا يكون مؤمنا إلا إذا عقل دينه ، وعرف بنفسه حتى اقتنع به ، فمن تربى على التسليم بغير عقل ، وعلى العمل ولو صالحا بغير فقه فهو غير مؤمن (٢)

٣- إن الإسلام أباح الإجتهاد فى فروع الشريعة لكل قادر ، ومن المتمكن من الكتاب ، والسنة ، واللغة العربية ، وقواعد الإستنباط ، فمن المقرر شرعا أن المجتهد ولو أخطأ مشكور مأجور (٣) وقد ساعد استقرار القبائل العربية بين قبائل البربر ، واختلاطها بهم ، على اتخاذ البربر الدين الجديد عقيدة ، واللغة العربية لسانا لهم ، وقد قدر عدد العرب الذين استقروا بين البربر منذ الفتح الإسلامى ، وحتى اتمام بربع مليون عربى (٤)

وقد أدى تحول البربر إلى الإسلام إلى استعراب الكثير منهم ، أى اتخاذهم اللغة العربية أداة لهم فى الحديث ، والكتابة ، والخطابة ، وأخذهم بالثقافة العربية فى شتى صورها ، إذ يكفى أن تكون اللغة العربية أداة هذا الدين ، ولغة كتابته (٥)

ويذكر الإدريسى "أن قبائل العرب نزلت على قبائل البربر ، فنقلوهم إلى لسانهم بطول المجاورة لهم ، حتى صاروا جنسا واحدا" (٦) مما أدى إلى

---

(١) وقد رأت بعض المذاهب أن ينبغى أن يصطحبها إلى حيث تؤدى هذه العبادات فى كنيستها أو فى مكان صلاتها [على عبد الواحد : حقوق الإنسان فىالإسلام ، ص ٣٢١ ، سنة ١٩٥٦م . دار النيل للطباعة ، مصر]

(٢) على عبد الواحد : المرجع السابق ، ص ١٢٣.

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٤) باذل دافدس : إفريقية تحت أضواء جديدة ، ص ٢٠ ، دار الثقافة ، بدون تاريخ ، بيروت.

(٥) محمد بن تاويت : الأدب المغربى ، ص ٤٧.

(٦) الإدريسى : نزهة المشتاق : ، جـ ٢ ، ص ٢١٣.

تعلم البربر اللغة العربية التى أخذت فى الإنتشار بين الناس ، وخاصة فى العصر الاموى ، وأرست قواعد الإسلام (١)

وهناك عوامل أخرى ساعدت اللغة العربية على الإنتشار منها:

١- انضمام البربر إلى الجيش العربى للعمل ، والمساعدة فىالإدارة العربية.

٢- إقامة مدن عربية خالصة بصفة دائمة أنشئت فى العصر الأموى ، مثل **القيروان ، وتونس.**

٣- وجود عمليات البيع ، والشراء ، والمعاملات التى كانت تتم فى الأسواق، أدى هذا إلى اختلاط ، واحتكاك متبادل بين العرب ، والبربر فى كثير من المجالات.

٤- التشابه الموجود بين العرب ، والبربر فى نمط الحياة القبلية ، والنشاط الإقتصادى ، والإجتماعى على سهولة الإندماج بينهما.

٥- كثرة السبى المتمثل فى الخدم ، والجوارى ، والإماء ، والزوجات الذى دخل بيوت العرب خدما ، وجوارى ، وأمهات ، وأولاد .. إلخ ، أدى إلى إزدياد الإحتكاك اليومى ، والتداخل ، والزواج بينهما ، مما يسرع بحركة التعريب ، وخلق جيل جديد النشأة ، والتكوين ، تتفاعل فيه الأفكار ، والأراء، بهذا يبلغ التعريب اسمى غاياته ويستكمل كل أطرافه ، ونواحيه (٢) **من ناحية أخرى** تمكنت اللغة العربية (٣) من الإنتشار بالتدريج فى المغرب ، وساعدها

---

(١) د/ حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٥٣ ، ٥٤.

(٢) على اليمنى دردير : الحياة الأدبية والنقدية فى الفسطاط ، ومسجدها الجامع ، ص ٢٧ : ٢٨ رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية ، تحت رقم ٢١٧٩.

(٣) **من الجدير بالذكر** : أن أى لغة إذ إلتقت بلغة أخرى ذات تراث حضارى متفوق ، وكان حظها من ذلك التراث قليل ينتهى الأمر بتغلب هذه اللغة ، وكانت أغلب اللغات الإفريقية قليلة الحضارة، فلم تستطيع أن تصمد طويلا أمام العرب ، وثقافتهم ، ودينهم ، فخضعت لهذه المؤثرات خضوعا تاما [د/حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية بإفريقية ، جـ ١ ، ص ٥٢ ، ١٩٦٣م، دار النهضة العربية]

على الجانب الآخر ، تعتبر اللغة البربرية لغة فقيرة ، فلقد كانت دون معظم اللغات حظا من الإتساع ، والغنى ، وهى لا تكاد تعدو الحياة اليومية دون أن يكون وراءها الكثير من الثقافة، والفكر ، وعلى الرغم من فقر اللغة البربرية الثقافى إلا أنها صمدت أمام اللغة العربية بصفة خاصة فى المناطق الصحراوية ، وفى الواحات ، وفى المناطق الجبلية الوعرة حيث كانت=

على ذلك ما أمر به عبد الملك بن مروان من إتخاذها لغة الكتابة الرسمية في دواوين جميع الولايات الإسلامية ، مما نتج عنه إندثار كثير من اللغات الأعجمية التى كانت سائدة فى إفريقية ، وقد لعبت هذه العوامل جميعها ، دورا كبيرا فى خدمة اللغة العربية ، وقد تعاونت فيما بينهما لإحلال اللغة العربية محل اللغة البربرية ، هذا وقد أدى اختلاط القبائل العربية بالبربر أيضا إلى تطعيم هذه البلاد بألوان من الحضارة التى ساعدت على تفهم هذه الشعوب للأسلوب الحضارى الذى حمله لهم العرب (١)

وقد استفاد البربر من الفتح العربى لبلادهم إستفاده كبيرة ، فقد كان البربر كالعرب قبل الإسلام أمه لا شأن لها ، كانوا قبائل متفرقة يتناحرون فيما بينهم على مناطق المياه التى يعتمدون عليها فى حياتهم اليومية ، الغلبة عندهم للقوى ، ولكنهم أصبحوا أمة كبيرة ، مستقرة فى منطقة الشمال الإفريقى بعد طرد الرومان حكامهم السابقين ، والأجناس الأخرى ، أو من بقى من الروم والأفارق. (٢)

هذا وقد اندمج العرب ، وقبائل البربر فى حكومة مركزية قوية ، بعد اتمام الفتح ، والقضاء على ثوارتهم ، واستطاع الإسلام أن يوحد معظم هذه القبائل تحت قيادة والى الخليفة الذى كان يبعثه إلى إفريقية والمغرب ، فدانت له بالولاء فى هذه الفترة ، بالإضافة إلى نتيجة مهمة لاتحاد هذه القبائل حيث أصبح معظم جيش المسلمين مكونا من هؤلاء البربر الجدد ، لدرجة أن موسى بن نصير ترك لطارق بن زياد عندما ولاه طنجة إثنى عشر ألفا من البربر والعرب وهو عدد ليس بالقليل ، إذا أن طنجة مدينة واحدة من مدن المغرب الكثيرة والمتعددة ، هذا إلى جانب الدور العظيم للبربر فى فتح الأندلس.

ومن الجدير بالذكر أن البربر قد استفادوا من الفتح العربى لبلادهم ، فبدخولهم فى الإسلام كانت تسقط عنهم الجزية ، وكان لكثرة الضرائب التى

=لغة السكان الأصليين فى المغرب [د/شكرى فيصل: المجتمعات الإسلامية فى القرن الأول الهجرى ، ص ١٨١ : ١٨٢]

(١) د/ محمد المعتصم سيد : القاهرة والحضارة الإسلامية فى إفريقية ، ص ١٥.

(٢) د/ حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٢٧٧.

فرضت على البربر قد أثقلت كاهلهم ، وجعلتهم يتحينون الفرصة للتخلص من حكامهم الروم ، فلم يتردد أكثر البربر فى التخلص من الروم ، عندما أحسوا بالفاتحين الجدد ، ووجدوا الخلاص من العبودية فى اعتناقهم الدين الجديد "الإسلام" فأقبلوا عليه ليفك أغلالهم ، ويعيد كرامتهم إليهم ، وكان باستطاعة المسلمين الجدد من البربر أن يحصلوا على الأرض ، أو يحتفظوا بها حيث يدفع عنها العشر ، ويحصلوا على العطاء نتيجة التحاقهم بالجيش الإسلامى ، بالإضافة إلى اهتمام بعض الخلفاء الأمويين لهذه البلاد ، وعطفهم على أهلها فنجد أن سليمان بن عبد الملك يوصى عامله على المغرب محمد بن يزيد فيقول له "اتق الله وحده لا شريك له ، وقم فيما وليتك بالحق والعدل ، وقد وليتك إفريقية والمغرب كله" (١)

أماكن التعليم:

أولا... المسجد: يعد المسجد مكانا هاما للتعليم ، ونشر الإسلام ، فللمسجد دوران رئيسيان.

الأول : دينى فهو بيت الله ، فيه تقام شعائر الصلاة ، وتؤدى فيه الخطب ، والأعياد ، وتعقد مجالس الذكر ، والعبادة ، ويعتبر المكان الرئيسى لنشر مبادئ الإسلام ، والثقافة الإسلامية.

الثانى : تعليمى .. حيث تعقد به الدروس التى تهدف إلى شرح تعاليم الدين الجديد ، وتوضيح أسسه ، وأحكامه ، وأهدافه ، وقد توسع المسلمون فى فهم مهمة المسجد (٢) ، وإلى جانب العبادة ، والتعليم ، فقد اتخذ المسجد دارا

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٤٧.
- الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ٩٣.

(٢) لم يكن الهدف الرئيسى لبناء المسجد ، ايجاد مكان للعبادة فحسب ، لأن الإسلام جعل الأرض مسجدا للمسلمين ، وإنما أراد الرسول أن يكون المسجد مكانا عاما لا ينتمى لأى القبائل وإنما هو بيت للجميع ، يلتقى الرسول فيه مع المسلمين للعبادة ، والمشاورة ، ويلتف حوله المسلمون يأخذون عنه مبادئ الدين ، بالإضافة إلى إنشاد الشعر ، وشئون التجارة ، حتى علا صوت المتساوين ، والتجار أحيانا على صوت المصلين ، مما جعل عمر بن الخطاب يخصص مكانا بجانب المسجد لمثل هذه الأحاديث ، ليظل المسجد مخصصا للعبادة ، والتعليم، والقضاء ، وقد ظل المسجد محتفظا بمظهره الأول حتى الأن ، واتخذ الخلفاء ، والولاه بناء المسجد عند فتحهم بلاد جديدة سنة عن الرسول (ص) [أحمد فكرى : مسجد القيروان ، ص٧ . د/أحمد شلبى : المجتمع الإسلامى، ص ٥٦ ،الطبعة الرابعة،سنة ١٩٧٤م]

للقضاء ، وساحة تتجمع فيها الجيوش ، ومنزلا لاستقبال السفراء (١) فنجد أن عمرو بن العاص فتح طرابلس أقام بها مسجدا ، كما بنى مسجدا آخر فى غابة زنزور فى طرابلس (٢) ثم مسجد الأنصار الذى اختطه رويفع بن ثابت بالقيروان ، وهو أقدم مساجدها ، وأفضلها (٣) ثم يأتى عميد المساجد بالمغرب وهو مسجد القيروان الذى كان به مجلس عكرمة (٤) مولى ابن عباس ، وعلى يديه نشأ جيل من أبناء التابعين فى بلاد المغرب ، وكان يروى فيه الحديث ، والتفسير عن مولاه ابن عباس ، وكانت حلقات الدرس تقام بالمسجد الجامع بالقيروان حتى أصبح يضيق بالمصلين ، فلما علم هشام بن عبد الملك بذلك أمر بشراء الأرض التى كانت بجانب المسجد لتوسعته (٥)

ثانيا الزاوية:

وكان من معاهد العلم فى المغرب *"الزاوية"* وهى مأخوذة من الفعل انزوى ينزوى بمعنى اتخذ ركنا من أركان المسجد للإعتكاف ، والتعبد ، وقد الحقت الزاوية بالمسجد ، وأنشى للمعتكفين مساكن ملحقة أيضا بالمسجد كالموجود حتى الأن ببعض مساجد إفريقية ، والقاهرة ، ثم تطورت الزوايا فيما بعد إلى أبنية صغيرة منفصلة فى شكل دور ومساجد صغيرة يقيم فيها المسلمون الصلوات الخمس ، ويعقدون فيها الحلقات الدراسية فى علوم الدين وما يتصل بها من العلوم المختلفة ، من جانب آخر نجد أن الزاوية قد اتسعت

---

(١) ابن عبدون : رسالته فى القضاء والحسبة ، ص ٢٤ ، سنة ١٩٥٥م ، القاهرة .
- محمد بن تاويت: الأدب المغربى ، ص ٦٠.
- د/ احمد شلبى : تاريخ التربية الإسلامية ، ص ٨٥ ، الطبعة الثانية، سنة ١٩٦٠م، مصر.

(٢) التجانى : الرحلة ، ص ٢١٥ : ٢٤٥ ، سنة ١٩٥٨م ، تونس.

(٣) الدباغ : معالم الإيمان ، جـ ١ ، ص ١٢٤ : ١٢٥.

(٤) **عكرمة** : هو أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله البربرى التابعى مولى ابن عباس كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازى ، وكان كثير الرواية عن مولاه ، كما روى عن عبد الله بن عمرو، وأبى هريرة ، دخل إفريقية ، ومات بها ، سنة ١٠٥هـ/٧٠٤م ، وقيل مات بالمدينة ، سنة١١٥هـ/٧١٥م [المالكى : رياض النفوس ، جـ ١ ص ٩٢ . أبو العرب : طبقات علماء ، إفريقية ص ٨٣ . دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٢٧٩ : ٢٨٠]

(٥) أبو العرب : مصدر سابق ، ص ٨٣.

حتى شملت المسجد كله في العصر الأموى ، وخاصة جامع الزيتون الذى قام بتوسيعه بناه عبيد الله بن الحبحاب سنة ١١٤هـ/ ٨٣٢م (١)

وقد تطلق الزاوية في المغرب على مسجد خاص بطائفة من الصوفية، أو حديج لأحد الأولياء ، وكثيرا ما تلحق بالزوايـة حجرات ينزل فيها أبناء السبيل ، والمنقطعون للعلم ، والعبادة (٢)

ثالثا الرباط : هو ثكنه يرابط بها المتطوعون لمدة معينة لحراسة الثغور المختلفة ، وهو عبارة عن جزئين **الأول** علوى يكون مهمته حراسة الثغور ، ومراقبة سفن العدو ، وتوقد به ليلا علامات نارية للإرشاد ، والحراسة ، والتأكد من قيام المرابطين بالعمل ، واليقظة ، أما الجزء **الثانى** أرضى ، ويقوم فيه بقية المرابطين كل بعمله ، فالطبيب يعالج بالمجان ، والمعلم ، والنساخ كذلك (٣) ويعرف الملازمون ، للربط بالمرابطين ، فالمرابط في العرف المقيم في الرباط على طاعة الله يدفع بدعائه ، وبسيفه الخطر عن البلاد (٤) ، وأقدم رباط عرف في إفريقية والمغرب في العصر الأموى هو الرباط **شاكر بن عبدالله الأزدى.** (٥) صاحب عقبة بن نافع الذى تركه ليقوم بمهمة تعليم البربر اللغة العربية ، ونشر الإسلام ، ويقع هذا الرباط على ضفة وادى تانسيفت جنوب مراكش (٦) ونعتقد أن مهمة الرباط في بداية نشائتهكانت لنشر شريعة الإسلام ، ثم تطور بعد ذلك حتى أصبح مؤسسة متعددة المهام.

---

(١) عثمان الكعاك : الحضارة العربية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ص ٦٢ ، سنة١٩٦٥، بدون مكان.
(٢) دائرة المعارف الإسلامية : ، جـ ١ ، ص ٣٣٢.
(٣) عثمان الكعاك : مرجع سابق ، ص ٦٢.
(٤) أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى ، جـ ٢ ، ص ٢٨٧.
(٥) التادلى : التشوف إلى رجال التصوف ، ص ٢٦.
- د/حسن ابراهيم حسن : انتشار الإسلام في إفريقية ، ص ٧١.
- د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٢٠٢.
(٦) عبيد الله بن صالح : نص جديد عن فتح العرب للمغرب ، ص ٢٠٩.

رابعا الكتاب:

كان عبارة عن خيمة من الخيام الموجودة مع الفاتحين ، وكان وجود الكتاب فى بداية الفتح الإسلامى ، وقبل أن تنشأ المدن ، بالإضافة إلى أن جيش المسلمين كان يصطحب معه معلمين ، وخطباء (١) ويعد الكتاب من أهم المراكز لنشر القرآن الكريم ، ولغته (٢)

وكان استقرار العرب فى إفريقية كبير ، وخاصة بعد انشاء مدينة القيروان عام ٥٠هـ/٦٧٠م مما جعلهم حريصون على أن يتخذوا لأبنائهم المعاهد الصغيرة الملحقة بالمساجد ، يدرسون فيها القرآن ، والحديث ، واللغة، فوفد عليها نفر من أهل إفريقية يتعلمون العلم ، وذلك بعدما أقاموا فى القيروان ، وأنشأوا الدور ، والمساجد ، ثم إلتفتوا إلى تعليم أبنائهم فاتخذوا لهم محلا *"كتابا"* بسيط البناء يجتمعون فيه لقراءة القرآن ، يدل على ذلك أن سفيان ابن وهب الخولانى (٣) كان يمر على الغلمان بمدينة القيروان ، ويسلم عليهم فى الكتاب ، وكان سفيان بن وهب قد دخل إفريقية سنة ٧٨هـ/٦٩٧م يدل هذا على أن الكتاتيب كانت موجودة قبل ذلك التاريخ بالقيروان (٤) وكان المسلمون فى المغرب يرسلون أبناءهم إلى الكتاب حيث يوجد بها المعلم ، أو المؤدب للقيام بهذه المهمة (٥)

---

(١) محمد بن تاويت : الأدب المغربى ، ص ٨٠.
(٢) عبد العزيز بنعبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ، ص ٦٤.
(٣) **سفيان بن وهب الخولانى** : أحد صحابة رسول الله (ص) دخل مدينة القيروان فى العصر الأموى ، وكان يقوم بتعليم الصبيان ، ويمر على الكتاتيب ، ويسلم على الغلمان الموجودة بها لتلقى العلم ، وخاصة فى مدينة القيروان ، وغيرها من المدن [المالكى : رياض النفوس، جـ١ ، ص ٥٨ : ٥٩ . د/حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٢٩٨]
(٤) المرجعان السابقان .
(٥) اشتق اسم المؤدب من الأدب ، وهو اسم أفضل من لقب معلم صبيان ، أو معلم كتاب ، ومعنى التأديب أن يعلم الأولاد حسن الألفاظ فى القراءة ، بالإضافة إلى الحظ الحسن ، ويأمر من كان كبيرا بالصلاة ، ويكتب له التشهد ، وما يقول فى الصلاة .
ويصف ابن عبدون أكثر المؤدبين بأنهم جهال بصناعة التعليم ، ويسوق السبب حيث يوضح أن حفظ القرآن شئ والتعليم شى آخر لا يمكن إلا عالم به ، وللمؤدب شروط: منها أن يكون شيخا خيرا ، متدينا، عفيفا ، وربما ، قليل الكلام ، والشهوة إلى استماع مالا يعنيه، ولا يهمل الصبيان ، ولا يزول عنهم إلا لأخذ الطعام ، والصلاة ، وأن يتحلى بالعدالة ، وأن لا يحضر الجنائز البعيدة[ابن عبدون : رسالته فى القضاء والحسبة ، ص ٢٤ : ٢٥ . د/أحمد شلبى : تاريخ التربية الإسلامية ، ص٤٥]

كانت طريقة التعليم فى الكتاب تعتمد على كتابه القرآن على ألواح لحفظها ، ثم تغسل ، ويتعلمون القراءة ، والكتابة ، ومبادئ الحساب ، ثم يختارون منه ما يكتبون ليتعلموا الكتابة ، ومع القراءة ، والكتابة يتعلم التلاميذ قواعد اللغة العربية (١)

ويبدو أن الكتاب فى البداية كان بداخل المسجد ، ولكن وجد أن الصبيان لا يتحكمون فى نظافة أنفسهم ، ولايخلو من النجاسات ، وخاصة فى أرجلهم ، وثيابهم فكان هذا هو الداعى إلى إنفصال الكتاب عن المسجد ، أو جعله ملتصقا بالمسجد أو فى حوانيت الدروب ، وأطراف الأسواق (٢)

وكان موسى بن نصير قد اهتم بنشر الإسلام بين الأهالى ، وأنشأ مساجد ، وكتاتيب فى كل معظم جهات المغرب لتعليم ، وتلقين القرآن الكريم، والشريعة واللغة العربية (٣)

خامسا الرحلة فى طلب العلم :

تعد الرحلة فى طلب العلم وسيلة من وسائل الحركة العلمية من خلال نقل العلم من مواضعه بالمشرق عن طريق مجموعة من العلماء ، والفقهاء ، وكانت أعداد هؤلاء الفقهاء بالمغرب قليلة ، ومعظمهم مقيم بالمدن ، وخاصة فى القيروان ، وتونس ، فكانت فائدتهم شبه محصورة على العرب القاطنين فى هذه المدن ، فنجد **سلمة بن سعد بن على بن أسد الحضرمى** (٤) *فى أوائل المائة الثانية* من الهجرة يكون بعثة علمية سافرت إلى البصرة لطلب العلم ، وعرفت بحملة العلم الخمسة ، وقد مكثت هذه الحملة خمس سنوات ، وعند عودتهم إلى بلادهم ولوا عليهم أبا الخطاب عبد الأعلى (٥) ، وقد أعد اسماعيل

(١) **الجزنائى** : زهرة الآس ، ص ٨٣ . د/ أحمد شلبى : تاريخ التربية الإسلامية ، ص ٣٦.
(٢) ابن عبدون : رسالته فى القضاء والحسبة ، ص ٢٤. د/ أحمد شلبى : مرجع سابق ، ص٤٢.
(٣) محمود ناجى : تاريخ طرابلس الغرب ، ص ١٣١.
(٤) **سلمة بن سعد بن على بن أسد الحضرمى** : قدم من المشرق فى بداية القرن الثانى الهجرى لنشر دعوة الخوارج فى إفريقية وكان شديد التعصب لنشر هذا المذهب [الزاوى : تاريخ الفتح العرب فى ليبيا ، ص ١٢٠ : ١٢١]
(٥) **أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافرى** : إمام الإباضية فى طرابلس قتل سنة١٤٤هـ/٧٦٢م [ابن خلدون العبر ، جـ ٦ ، ص ٢٤٦ ، ٢٤٧] **اسماعيل بن دار الغدامسى** من جنوبى طرابلس [الزاوى: مرجع سابق ، ص ١٢١]

ابن دراز الغدامسى لتولى القضاء ، والإفتاء ، وعند عودة هؤلاء إلى المغرب تنازل كل من تولى الفتوى لحملة العلم. (١)

ومما هو جدير بالذكر أن الخوارج قد لعبوا دورا كبيرا فى هذه الرحلة، ويعتبر سلمة بن سعد أول من جاء بمذهب الخوارج الإباضية إلى القيروان ، فقد أتى من البصرة ومعه عكرمة مولى ابن عباس على بعير واحد يعتبر الظهور الحقيقى للخوارج فى إفريقية أواخر القرن الأول ، وبداية القرن الثانى الهجرى (٢) وكان سلمة بن سعد أباضيا شديد الحماس لهذا المذهب ، فيؤثر عنه قوله "وددت أن يظهر هذا الأمر بالمغرب – يقصد مذهب الخوارج الإباضية – يوما واحد غدوة الليل فما أبالى ضرب عنقى" (٣)

الخوارج ودورهم فى نشر الإسلام:

الخوارج : هم طائفة دينية وسياسة ظهرت فى أواخر عصر الخلفاء الراشدين، ونواه هذه الفرقة هم بعض شيعة الخليفة على بن أبى طالب ممن خرجوا عليه بعد موقعة صفين عام ٣٨هـ/٦٥٨م ولكنهم خرجوا عليه لقبوله التحكيم ، ووجه خلافهم معه ، أن بيعته كانت صحيحة بإتفاق مجموع الأمة ، فما كان له أن يلجأ إلى التحكيم بينه ، وبين معاوية ، وبذلك آثار فتنته بين المسلمين ، وقد انقسم الخوارج إلى أكثر من عشرين فرقة ، تختلف بعضها عن البعض بأقوال تنسب إلى مؤسس كل فرقة منها ، فنجد **فرقة الأزارقة** تابعة لنافع بن الأزرق ، **والإباضية** تابعة لعبد الله بن أباض ، **وفرقة الصفرية** ، أو "الزيادية" تابعة لزياد بن الأصفر ... إلخ

---

(١) تنازل محمد بن عبد الحميد بن معطير الحناوى ، عند الفتوى معتذرا بأن حملة العلم أولى منه بالفتوى ، وكان ابن الحناونى قد رحل فى طلب العلم إلى العراق ، ورجع إلى وطنه قبل أن تسافر البعثة العلمية التى قام بإعدادها سلمة بن سعد ، والتى كان لها شأن فى كثير من النواحى ، وخاصة الناحية الدينية ، والعلمية .

وقد بقى ابن الحناونى مرجعا فى التدريس ، والفتوى ، حتى تخرجت البعثة العلمية فى البصرة ورجعت إلى المغرب باسم حملة العلم [على يحيى معمر : الإباضية فى موكب التاريخ ، ص ٢٨ ، القسم الأول ، بدون تاريخ ، مكتبة وهبه]

(٢) الناصرى السلاوى : الإستقصا ، جـ ١ ، ص ١٢٣.

(٣) الزاوى : تاريخ الفتح العربى ، ص ١٢١.

– د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٢٨٦.

ومن الجدير بالذكر أن الخوارج فى الفترة الأولى من نشأتهم كانوا أهل عبادة حتى سنة ٦٤هـ/٦٨٤م وكانوا متفقين على مسائل أهمها:

١- أن الخلافة حق لكل مسلم مادام كفأ لها بمعنى أنهم يخالفون كل من الشيعة ، وبنى أمية على السواء ، فى أن يكون الخليفة قرشيا ، أو تنتقل إليه الخلافة بالوراثة.

٢- تكفير كل من عثمان ، وعلى ، وأصحاب الجمل ، وتكفير الحكمين ، وكذلك معاوية ، وأصحابه.

٣- تكفير مرتكبى كبار الذنوب ، إذ فى رأيهم أن الإعتقاد بالله ونبيه دون العمل بتعاليم الدين ، لا يختلف عن الكفر.

٤- الخروج على الإمام الجائر.

وقد حاول الخلفاء الأمويون أن يقضوا على الخوارج ، وعندما اشتد الضغط عليهم ذهبوا إلى أطراف الدولة الإسلامية ، ومنها بلاد المغرب[١]
وللخوارج بصفة عامة دور كبير ، وهام فى نشر الإسلام داخل قبائل البربر، ونخص بالذكر هنا فرقتين كان انتشارهم كبير ، وهما الإباضية ، والصفرية "الزيادية"

الأولى: فرقة الإباضية : تنسب إلى عبد الله بن أباض التميمى ، عاش فى القرن الأول الهجرى ، وعاصر الدولة الأموية إلى خلافة عبد الملك بن مروان توفى سنة ٨٦هـ/٧٠٥م والإباضية جماعة من المسلمين متفرقة فى

---

(١) البغدادى : الفرق بين الفرق ، ص ١٧ : ٥٤ : ٥٦ ، تحقيق محمد بدر ، مطبعة المعارف ، بدون تاريخ ، بمصر.
- أحمد عطيه الله : القاموس الإسلامى ، ، جـ ٢ ، ص ٢٩٢.
- الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ١٢٠.
- د/سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ، جـ ١ ، ص ٢٨٤ : ٢٨٦.
- عمرو أبو النصر : الخوارج فى الإسلام ، ص١٢١ : ١٢٢ ، سنة ١٩٥٦م ، مكتبة المعارف ، بيروت.
- د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ٣٥٥.
- د/ عبد الشافى عبد اللطيف : تارخ العالم الإسلامى فى الدولة الأموية ، ص ٤٥٤:٤٥٦ .
- محمود اسماعيل : الخوارج فى بلاد المغرب ، ص ٣٠ ، سنة ١٩٧٦م ، بيروت.

مذهبهم ، ولكنهم بصفة عامة من الفرع المعتدل بالنسبة لمعظم فرق الخوارج، **وأهم مبادئهم:**

١- لم يقسوا فى الحكم على مخالفيهم من أهل القبلة ، واعتبروهم كفار غير مشركين ، يجوز مناكحتهم ، وأخذ ميراثهم.

٢- لا يحل قتال غير الخوارج غليه ، ولا سبيهم إلا بعد الدعوة ، وإقامة الحجة، وإعلان القتال ، فإذا قاتلوهم ، وغنموا أموالهم لم يستحلوا منها غير السلاح ، والخيل ، أما الذهب ، والفضة ، وغيرهما ، فأنهم يردونه إلى أعدائهم.

٣- قالوا إن ديار مخاليفهم من أهل الإسلام ديار توحيد ، إلا معسكر السلطان، أو الحاكم فإنها دار بغى.

٤- قالوا إن مرتكبى الكبائر موحدون ، لا مؤمنون.

٥- لم يعتبروا أوامر الله ، ونواهيه موجهه إلى المؤمن فحسب ، بل إن الكافر مطالب بها أيضا (١)

وقد انتشر المذهب الإباضى فى بلاد المغرب الأدنى ، وخاصة فى مدينة طرابلس ، وجبل نفوسه (٢)

الثانية : الصفرية أو *"الزيادية"* ، تنسب إلى زياد بن الأصفر ، أو عبدالله بن صفار خالفوا الأزارقة ، والإباضية **فى أمور منها:**

١- لا يكفرون القاعدين عن القتال ما دموا متفقين فى الدين ، والإعتقاد.

٢- لم يحكموا بقتل أطفال المشركين ، ولا بتكفرهم ، أو تخليدهم فى النار.

---

(١) الشهرستانى : الملل والنحل ، جـ ١ ، ص ١٨١ ، الطبعة الأولى، سنة ١٣١٧هـ ، القاهرة.
- عمرو أبو النصر : الخوارج فى الإسلام ، ص ١٢١ : ١٢٢.
- الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ١٢٠.
- د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ٣٥٥.
- أحمد عطيه الله : القاموس الإسلامى ، جـ ١ ، ص ٦.

(٢) ابن خلدون : العبر ، جـ ٦ ، ص ١٢٠ : ١٢١.

٣- قالوا إن التقية جائزة فى القول دون العمل.

٤- لم يكفروا مرتكب الكبيرة الأولى ، وإنما كفروا مرتكب الثانية. (١)

وتعتبر فرقة الصفرية أكثر تطرفا من الإباضية ، لذلك قل انتشارها وقد انتشر هذا المذهب فى المغرب الأقصى ، وجزء من المغرب الأوسط. (٢)

ومن الجدير بالذكر أن هاتين الفرقان من الخوارج هما الذين قاما بنشر الإسلام بين قبائل البربر ، وكان لزاما عليهما لنشر مذهبهم البعد عن مقر ولاة بنى أمية ، فذهبوا إلى الصحراء ، وإنتشروا بين معظم قبائل البربر، وكان همهم **فى المقام الأول** نشر مذهبهم من خلال تعليم البربر قواعد اللغة العربية ، وساعد ذلك اتصال الخوارج مباشرة مع قبائل البربر ، وذهاب الخوارج بينهم ، مما جعل عملية التعليم ، وتلقين مبادئهم تتم بشكل واسع بين البربر ، أدى ذلك إلى توحيد لغة التخاطب بينهم ، أضف إلى ذلك تعيير سياسة ولاة بنى أمية فى بداية القرن الثانى الهجرى فى معاملة البربر ، واستياءهم من هذه المعاملة ، وكراهية الخوارج للأمويين ، فسوء المعاملة وجد مع توافد الخوارج من المشرق ، أدى إلى وجود عامل مشترك بين الخوارج ، والبربر ، وهو معاداة السلطة الأموية المتمثلة فى عمالها ، مما أدى إلى سرعة انتشار هذا المذهب (٣)

---

(١) الشهر ستانى : الملل والنحل ، جـ ١ ، ص ١٨٤.
- البغدادى : الفرق بين الفرق ، ص ٧٠ : ٧٢.
- د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ٣٥٥.
- عمر أبو النصر : الخوارج فى الإسلام ، ص ١٢٢.

(٢) دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٤٠٠.
- د/سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٢٥٥ : ٢٧٧.

(٣) د/ حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٢٩٤.

الفصل السادس

ثورات البربر في العصر الأموي

- الأسباب الإقتصادية .
- الأسباب الإجتماعية .
- الأسباب العنصرية .
- الأسباب السياسية .
- دور الخوارج في قيام الثورة .
- ثورات البربر .
- ثورة ميسرة المطغري .
- كلثوم بن عياض القشيري وموقعة بقدوره .
- حنظلة بن صفوان وموقعتا القرن والأصنام .
- عبد الرحمن بن حبيب يقضي على ثورات البربر .

الفصل السادس

ثورات البربر فى العصر الأموى

لا شك أن أى ثورة من الثورات لها أسباب ، ومقدمات تدل عليها ، وإذا لم يكن عند الولاة حسن التصرف ، وبعد النظر لعلاج هذه الأسباب عجل ذلك بقيام هذه الثورات ، مما يؤدى إلى نتائج سلبية .

وهناك أسباب متعددة ، ومختلفة لثورات البربر على الحكم الأموى ، منها أسباب إقتصادية ، أسباب اجتماعية ، أسباب عنصرية ،وأسباب سياسية.

أولا الأسباب الإقتصادية:

بعد وفاة عمر بن عبدالعزيز سنة ١٠١ هـ / ٧٢٠ م تولى يزيد بن عبدالملك ١٠١ – ١٠٥ هـ / ٧٢٠ – ٧٢٣ م الخلافة ، والخلفاء فى الغالب شديدى التأثر برأى مستشاريهم "البطانة" ومن سوء حظه أن بطانته لم تكن على درجة كافية من العلم ، والأخلاق ، والرأى السديد ، بالإضافة إلى أن يزيدا لم تكن عنده مناعة يستطيع الوقوف بها ضد المغريات ، فلم يستطيع الصمود ضد الملذات ، وأسلم نفسه للهوى ، والعبث ، فكان مثار نقد ، ولابد أن يقارن الناس بين ما كان بالأمس القريب من عدالة عمر بن عبدالعزيز ، واستقامته ، وبين ما هو كائن عليه يزيد من تهافت على الملذات حتى إن قصته مع بعض جواريه طغت على تاريخه كله (١) ويزيد بن عبدالملك كان يرى أن انتقال البربر ، ودخولهم فى الإسلام قد أدى بطبيعة الحال إلى ضياع مورد هام من موارد الدولة ، وهى الجزية التى كانت تفرض على المعاهدين من النصارى ، وأهل الذمة ، فولى على إفريقية يزيد بن أبى مسلم سنة ١٠٢هـ/٧٢١م فعزم على تطبيق سياسة الخليفة ، وهى نفس السياسة التى طبقها الحجاج فى أهل العراق ، لأن يزيد بن أبى مسلم كان كاتب الحجاج، وصاحب شرطته ، فاستبد بالبربر ، وفرض عليهم الجزية ، واستخف بهم ،

---

(١) وقع الخليفة يزيد فى حب بعض جوارية مثل "حبابة" المكية ، والتى اشتراها بألف دينار ، ويقال إنه مات حزنا ، وكمدا عليها بعد موتها ، ولم يعش بعدها إلا اسبوعا واحد [د/ عبدالشافى عبداللطيف : العالم الإسلامى فى العصر الأموى ، ص ١٨٥ : ١٨٦ . حسن حسنى عبدالوهاب : شهيرات التونسيات ، ص٧]

واشتد عليهم فى جمع أموالهم ، وسبى نسائهم ، وأسرف فى ذلك حتى أوغر فى صدورهم (١)

الثانى: عدم توفيق عبيد الله بن الحبحاب فى اختيار عماله فنجد عمر بن عبدالله المرادى عاملة على طنجة ، قد أساء السيرة بين الناس ، وتعدى على الصدقات ، والعشر، وزعم أنهم فئ المسلمين ، وذلك لم يرتكبه عامل قبله ، وإنما كان الولاة يخمسون من لم يجب للإسلام ، فكان فعله هذا سببا لانتقاض البلاد (٢)

الثالث: كان الخليفة هشام بن عبدالملك ١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٣م يستحب طرائف المغرب ، ومنها أنه كان يرسل فى طلب جلود الخرفان ذات الألوان العسلية التى تسلخ من الضأن عند ولادتها ، لأنها تكون ناعمة، وقبل أن تكون خشنة بنمو الخراف ، فيصنع صوفها الناعم ، ويستخدم فى الجباب ، وكان الخليفة يفضل اللون العسلى الطبيعى الغير مصبوغ ، ولما كان من الصعب الحصول على خراف وليدة بها هذا اللون العسلى ، فما كان من الوالى إلا أن فتح بطون النعاج ، واستخرج أجنتها بحثا عن هذه الجلود العسلية ، وكان هذا النوع من الجلود قليل حتى إنه كانت تذبح مائه شاه ، فربما لم يوجد فيها جلد واحد (٣) من هنا نجد أن رغبة (٤) الخلفاء حتى ، وإن كانت شبه مستحيلة ، ومكلفة فيحاول الوالى أن يجد سبيلا لها ينال رضا الخليفة عنه ، ولو على حساب الناس ، ومن الجدير بالذكر أن الخليفة لا يرضى لهذه الطريقة المتبعة فى استحضار هذه الجلود بهذه الطريقة ، ومن عذاب صاحب قطيع الغنم الذى يرى غنمه تهلك بالذبح ، ويعز عليه ضياع كل ماله بهذه الوسيلة الوحشية ، ولا يستطيع أن يفعل شئ أمام هذا الظلم ، والإستبداد ، طبعا نجد

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٦ ، ص ٦١.
- ابن عذارى: البيان ، جـ١ ، ص ٤٨.
- الباجى: الخلاصة النقية ، ص ١٣.
- د/ السيد سالم: تاريخ المغرب الكبير ، جـ٢ ، ص ٢٩٤.

(٢) ابن عذارى: مصدر سابق ، جـ١ ، ص ٥٢.

(٣) مجهول: أخبار مجموعة ، ص ٣٢.

(٤) **الرغبة** أو حب الشئ يختلف كل الإختلاف عن الأمر فالأمر واجب التنفيذ مهما كانت الأسباب أما الرغبة فهى غير ذلك فالولاه يحملونها أكثر من مما تحتمل لأهداف جلية واضحة كما يرى الباحث.

مبالغة من العمال الذين يقومون بمثل هذه الأعمال لأغراض لا يراعى فيها دين ولا ذمة.

ثانيا الأسباب الإجتماعية:

أولا: كان للبربر دور كبير فى فتح الأندلس (١) وفى المغرب أيضا ، كانوا يتوقعون أن يعاملهم العرب معاملة الأنداد ، ولكنهم رأوا تحيز بعض الولاة ضدهم مثل يزيد بن أبى مسلم ، وعبيدة بن عبدالرحمن السلمى ، وعبيد الله ابن الحبحاب ، فتغيرت نفوسهم من العرب ، مما جعل وفد من البربر برئاسة ميسرة المطغرى يذهب إلى الشام لرفع شكواهم إلى الخليفة هشام ، ولكنهم لم يتمكنوا من مقابلته فتركوا رسالة جاء فيها " أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بناء بجنده ، فإذا أصاب نفلهم دوننا ، وقال هم أحق به ، فقلنا هو أخلص لجهادنا ، وقالوا إذا حاصرنا مدينة قال : تقدموا ، وآخر جنده ، فقلنا تقدموا فإنه ازدياد فى الجهاد ، ومثلكم كفى إخوانه ، فوقيناهم بأنفسنا وكفيناهم" (٢)

ثانيا: يضاف إلى ذلك أخذ البنات الجميلات البربريات ، إما للعمل ، أو للتسلية دون موافقه آبائهم ، وإن حدث هذا بالفعل فإنه يمثل حادث فردى ، ولكن مثل هذا العمل ينتشر معرفته بسرعة كبيرة بين الناس ، ويجعل النفور بين أصحاب هذا العمل كبير ، ويجمع رأيا عاما بين البربر ضد هذا الموقف "ثم إنهم سامونا يأخذون كل جميلة من بناتنا ، فقلنا لم نجد هذا فى كتاب ، ولا سنه ، ونحن مسلمون" (٣) هذا جعل البربر يتحولون عن العرب فتحالفت بعض قبائل البربر مثل زناته مع الأفارقة الذين ساءهم أن يضعهم العرب فى منزلة الروم الموالى ، واستولوا على أراضيهم ، وغنموا أموالهم هذا جعل

---

(١) أعد موسى بن نصير جيشا أغلبيته من البربر ، وخاصة من رهائن قبائل المصامدة لفتح الأندلس ، وقد اعتمد موسى على البربر فى هذه الحملة لأنهم أكثر إلماما من العرب ببلاد الأندلس ، أو لأن موسى ربما خاف على جيشه العربى من هذه المغامرة ، فجعل الطلعة الأولى من البربر فلما تأكد من نجاح المهمة ترأس جيشا كبيرا جله هذه المرة من العرب ، وهذه هى المرة الأولى فى تاريخ الفتوح العربية أن يتولى فيها جيش بأكمله من المغلوبين فى فتح قطر من الأقطار الكبرى كالأندلس [د/ السيد سالم: تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص٢٧١ : ٢٧٢]

(٢) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك ، جـ٤ ، ص ٢٥٤ ، ٢٥٥.

(٣) المصدر السابق : جـ ٤ ، ص ٢٥٥.

عبدالأعلى بن جريح الأفريقى ينضم إلى ميسرة المطغرى فى ثورته على العرب سنه ١٢٢هـ / ٧٤٠م (١)

ثالثا: التعدى على الصدقات ، والإستخفاف بالبربر من جانب ابن الحبحاب الذى اعتبر معظم البربر فيئا للمسلمين من أسلم منهم ، ومن لم يسلم ، وكان الولاة قبله يقصرون هذا اللون من المعاملة على من لم يسلم من البربر ، فأبى ابن الحبحاب إلا أن يزيد الأمر سواءا بوضع البربر موضع العبيد الذين يملك المسلمون رقابهم ، فأمضى فى حصر خمس البربر ، واعتبارهم رقيقا ، فلم يكن ابن الحبجاب ليستطيع أن ينفر البربر ، ويسئ إليهم بأكثر من هذا ، فهؤلاء قوم أسلموا ، ومنهم من اشترك فى جيوش المسلمين ، وكتب اسمه فى الديوان ، فكيف يعتبر بعد ذلك عبدا رقيقا (٢)

ثالثا الأسباب العنصرية:

وتتمثل فى الصراع القبلى الذى نشب بين القبائل العربية المختلفة وخاصة بين قبيلة قيس وقبيلة كلب من ناحية ، وبين العرب ، والبربر من ناحية أخرى.

كان ولاة المغرب إما يمنيين ، أو قيسيين ، وكثيرا ما كانوا يتحيزون لقبائلهم ، ولما كان أكثر عرب المغرب من أصل يكاد يكون يمنيا ، فقد كانت عادتهم الهدوء عندما يكون ولاتهم من عصبيتهم ، أما إذا كان الولاة من قيس فيختلف الحال ، وتكثر الفتن ، والإضطربات (٣) وبدلا من أن يعمل خلفاء بنى أمية على حسم هذا النزاع نحو بعضهم ، ينحازوا إلى فريق دون آخر ، وقد ظهر هذا التعصب بعد ولاية موسى بن نصير الذى كان يميل إلى القبائل اليمنية التى استقرت بالمغرب منذ أيام الفتح الأول (٤) فبعد عزل موسى بن

---

(١) د/ حسين مؤنس : ثورات البربر ، ص ١٥٣ : ١٥٤.
(٢) ابن الاثير: الكامل ، جـ ٤ ، ص ٢٢٢.
- ابن عذارى: البيان المغرب جـ ١ ، ص ٥٢.
- د/ حسين مؤنس : مرجع سابق ، ص ١٦٦.
(٣) الناصرىالسلاوى : الإستقصا ، جـ ١ ، ص ١٣٤ : ١٣٥.
(٤) ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٣٩.

نصير عام ٩٦هـ / ٧١٥م استبدل بمحمد بن يزيد ، وكان قيسيا (١) فتعصب على اليمنية ، واشتد على آل نصير وعمل على استئصال أموالهم ، وتعذيبهم(٢) وهذا نظرا إلى التهمة الموجهه إلى موسى من الخليفة سليمان بالإهمال فى أموال الدولة (٣)

وفى ولاية يزيد بن أبى مسلم سنه ١٠٢ﻫ/ ٧٢٠م عاد نفوذ اليمنية من جديد حيث أنه كان يمنيا فقبض على الوالى السابق محمد بن يزيد القرشى، وأساء إليه ، وعذبه ثم سجنه حتى مات فى سجنه ، وفى ولاية بشر بن صفوان سنه ١٠٢- ١٠٩ هـ / ٧٢٠ - ٧٢٧م وكان هو الآخر من غلاة اليمنية فقوى جانب القبائل اليمنية ، واستمرت سياسة التعصب ضد القيسية . وفى عهد هشام بن عبدالملك ١٠٥ - ١٢٥هـ / ٧٢٣ - ٧٤٣م ولى على بلاد المغرب ، عبيدة بن عبدالرحمن السلمى القيسى ١١٠ - ١١٥ هـ/ ٧٢٨ - ٧٣٣م فتعصب الوالى الجديد للقيسية ، واضطهد اليمنية ، وأخذ عمال بشر ، وأصحابه فحبسهم ، وأغرمهم ، وعذب بعضهم ، ومنهم أحد زعماء اليمنية من عمال بشر ، وهو "أبو الحظار الحسام بن ضرار الكلبى" الذى كان إلى جانب شرفه فى قومه شاعرا فصيحا ، وقائدا كبيرا ، وله أبيات شعر سبق ذكرها وهى تندد بموقف الخلافة الأموية من عصبية الكلبية (٤) ولما أحس بأن رياح الثورة كادت تهب على البلاد سأل هشام أن يعفيه من الأمارة (٥) لكن من الواضح أن عبيدة لم يستطيع تكمله ولايته على إفريقية بسبب عصبيته الزائدة ، مما أدى إلى عدم توفيقه فى إدارة شئون البلاد ، فطلب اعفائه.

وسار فى هذا الإتجاه عبيد الله بن الحبحاب ١١٦- ١٢٣هـ / ٧٣٤- ٧٤١م الذى كان مسرفا فى عصبيته فكان قيسيا زاد فى اضطهاد اليمنية حتى أثار المغرب ، وكادت هذه العصبية أن تعصف بالدولة ، ويرى بعض

(١) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٣٨ ، سنه ١٩٨١م ، القاهرة.
(٢) ابن عذارى: البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٤٧.
- الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ٩٤.
(٣) محسن سليم: سليمان بن عبدالملك ، ص ٩٦.
(٤) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى، جـ ١ ، ص ٢٧٥.
(٥) دائرة المعارف الإسلامية : جـ ٣ ، ص ٥٠٥.

الباحثين(١) أن إسراف ابن الحبحاب فى قيسيته ، جعل العرب اليمنية يقفون منه موقف العداء ، ويتحينون الفرصة للإنقضاض عليه ، لكننا نعتقد أنه بالرغم من أن ابن الحبحاب كان متطرفا فى قيسيته ، إلا أننا لا نجد أى قبائل عربية انضمت إلى الثورة ، أو أيدتها ، ولا حتى أفراد من العرب ، وإنما يصفون المعارك على أنها بين العرب ، والبربر ، فنجد أن ابن عذارى عند وصفه لموقعه الأشراف يقول "فتكاثرت عليهم البربر فانهزم العرب" (٢) ويذكر ابن الأثير "أن الله تعالى هزم الخوارج ، ونصر العرب " (٣) ويظهر أن سؤيدى الثورة كانوا من فئات مختلفة من قبائل البربر بالإضافة إلى الأفارقة ، وعناصر أخرى ، لم يكن بينهم أحد من العرب لأن إحساس العرب بالخطر جعلهم يلتفون حول قادتهم ، وينسون أى خلاف حتى يتخطوا هذا الموقف الضار بهم ، لو تفرقوا عن بعض فى هذا الوقت؟ لأن البربر يعيشون على شكل قبائل تشدها العصبية القبلية إلى بعضها ، خاصة البربر البتر ، وكانوا يسكنون المناطق الداخلية من البلاد ، فالعصبية القبلية كانت من العوامل الرئيسية فى ثورة البربر ضد ولاة بنى أمية فى بلاد المغرب ، وقد كانت هذه العصبية القبلية سببا فى إقبال البربر على مبادئ الخوارج لأنها تتفق ، ونزعاتهم الحرة (٤) ويرى د/حسين مؤنس أن الأمويين لكى يضمنوا الولاء لهم بين الجند ، واستقرار الأوضاع ، فإنهم استخدموا سياسة التفرق بين الجانبين ، فمرة يقفون مع القيسية ضد اليمنية ، ومرة أخرى يحابون اليمنية على القيسية (٥) وأن هذه التفرقة تعتبر فى مصلحة الأمويين ، أو أى سلطة حاكمة فى مجتمع قبلى لكى يحافظوا على التوازن بين عناصر المجتمع، حتى لا تنفرد أى قبيلة ويتسع نفوذها مما يهدد مصلحة الدولة العليا، ولكنى لا أعتقد أن هذا الأمر كان سياسة عامة للخلفاء الأمويين ، فمره نجد الخليفة يزيد بن الملك يعين أحد كبار القيسية ، وهو يزيد بن أبى مسلم ، فلما أقبل أخوه هشام بدا له أن يخفف من غلواء القيسية المضرية ، ولهذا ترك بشر بن صفوان فى ولايته ، لأن ميوله كانت كلبية يمنية ، ثم مالت نفس

---

(١) د/ حسين مؤنس: ثورات البربر ، ص ١٦٦.
(٢) ابن عذارى: البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٥٤.
(٣) ابن الأثير: الكامل ، جـ ٤ ، ص ٢٢٣.
(٤) دائرة المعارف الإسلامية : جـ ٣ ، ص ٥٠٥.
(٥) د/ حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٦١.

الخليفة إلى إضعاف أمر القبائل اليمنية الكلبية فعين عبيدة بن عبدالرحمن السلمى إفريقية وهومن غلاة القيسية (١) على أثر ذلك نجد فى ولاية عبيد الله ابن الحبحاب أن تحول الغضب على الحكم الأموى إلى ثورة وجدت من يقودها وهو ميسرة المطغرى (٢) وقد انتهى الصراع بين القيسية ، واليمنية حينما احتل عبدالرحمن بن حبيب القيروان ، واستقر بها أميرا سنه ١٢٧هـ / ٧٤٥م فانتهت المنازعات بينهم ، فلم يعد لديهم المقدرة على السيطرة على هذه البلاد الواسعة ، بالإضافة إلى ضعف ، أو قرب انتهاء ميزة كبيرة تميزت بها الدولة الأموية ، وهى سيادة العنصر العربى ، فلم يعد للقيسية أو اليمنية أى رجاء فى أن تقف الدولة إلى جانبهم ، وتساعد هذه القبيلة ضد الأخرى على الطريقة التى جرت عليها العادة فى كثير من خلفاء بنى أمية (٣)

وأخيرا نجد الطموح ، والنزعات الفردية ، وحب المغامرة لدى بعض زعماء البربر لها دورها فى قيام الثورة ضد العرب ، ونجد هذا واضحا عندما بدأ الضعف يتسرب إلى الخلافة الأموية بصفة خاصة حيث بدأت تظهر ثورات البربر (٤) ويرى أحد الباحثين أن تأخر البربر فى القيام بثوارتهم إلى عام ١٢٢هـ / ٧٤٠م ويرجع إلى حسن سياسة كل من محمد بن يزيد القرشى واسماعيل بن عبيد الله عندما تولى حكومة المغرب بعد موسى بن نصير (٥)

وقد ظهرت هذه النزعات بوضوح قبل انتهاء العصر الأموى ، وبداية العصر العباسى ، فلم يكد الأمر يستقر لعبد الرحمن بن حبيب حتى ظنت البربر أن أمر العرب قد انتهى ، وجاء دورهم ليحلوا محل العرب فى الزعامة والسيادة ، وقد ظل عبدالرحمن بن حبيب يخوض حروبا عنيفة ، وطويلة حتى يفرض سيطرته على معظم بلاد البربر.

---

(١) د/ السيد سالم: تاريخ المغرب الكبير، جـ ٢ ، ص ٦١.
– د/ حسين مؤنس: ثورات البربر ، ص ١٤٩ ، ١٥٠.
(٢) د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ١٠٨.
– د/ السيد سالم: مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ٣٠٤.
– د/ حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٦٣.
(٣) د/ حسين مؤنس : ثورات البربر، ص ١٨٢.
(٤) خرج **ثابت الصنهاجى** *بباجة* ، و**اسماعيل بن زياد الإباضى** *بقابس* [ابن الأثير: الكامل ، جـ ٤ ، ص ٢٧٩]
(٥) د/ حسين مؤنس: ثورات البربر ، ص ١٦١.

رابعا الأسباب السياسية:

يعتبر عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز (٩٩-١٠١ هـ / ٧١٨- ٧٢٠م) خطا فاصلا فى تاريخ الدولة الأموية عامة ، وفى تاريخ المغرب العربى خاصة ، فقد سلك سياسة اصلاحية تختلف عن خلفاء بنى أمية عامة ، حيث حاول إعادة عهد الخلافة الراشدة ، وأخذ فى تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية على جميع رعايا المسلمين فى مختلف ولايات الدولة دون تفرقة ، فقد كان عمر يعلم تمام العلم أن المغرب قد انتشر فيه الإسلام ، واعتنقه أغلب البربر الذين كانوا فى حاجة ماسة إلى من يعلمهم أمور الدين ، وأحكام الشرع ، فبعث مع واليه اسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر عشرة من العلماء والتابعين من ذوى الشخصيات القوية ، وأمرهم أن يتفرقوا فى أنحاء المغرب ليفقهوا البربر فى الدين ، ويعلموهم أحكام الشرع [١] وقد جاءت هذه السياسة متفقه مع طبائع البربر حيث أشركهم فى تسيير إدارة بلادهم ، وترك لهم حرية التصرف فى شئونهم ، وتدبير أمورهم بأنفسهم ، بالإضافة إلى حسن اختياره لولاة الأقاليم ، فاختار واليا للمغرب ، إشتهر بالورع ، والتقوى، وتطبيق المساواة ، والعدالة الإجتماعية بين جميع الرعايا ، وهو اسماعيل بن عبيدالله بن أبى المهاجر الذى وصف بأنه خير وال وخير أمير[٢]

نكن البربر لم ينعموا كثيرا بهذه الفترة التى لم تدم طويلا ، فبوفاة عمر ابن عبدالعزيز عادت الإدارة الأموية على ما كانت عليه من قبل من سيادة الشدة مع البربر عن طريق بعض الولاة ، والعمال ، والجباة ، ومما هو جدير بالذكر أن الخلفاء فى دمشق كانوا مسئوليين عن جميع ولاة الأقاليم التابعة لهم، وبالرغم مما فعلوه من عزل بعض الولاة ، وتولية آخرين إلا أن ذلك لم يؤد إلى محو أسباب تذمر السكان ، وإصلاح أحوالهم .

ولا شك أن سياسة هؤلاء الولاة لابد ، وأن تكون متفقة مع أهداف الخلفاء ، وإن تعدد هؤلاء الولاة ، فالهدف الرئيسى لهؤلاء الولاة هو نشر

---

(١) دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ١٨٥ ، ١٨٦.
- د/ السيد سالم: تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٢٩٠.
- د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ١٠٥ .
(٢) ابن عذارى: البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٥٢.

الإسلام ، وإرساء مبادئه فـى نفوس الـبربر خاصـة حديثـى العهد بالإسـلام ، وإدخال المزيد ممن لم يدخلوا فيه ، هذا إلى جانب تعليمهم اللغة العربيـة .أما ما يحدث عكس ذلك فيعتبر خروجا على هذه القاعدة ونخص بـالذكر عـاملان كان لهما أثر كبير فى ثورة البربر على الخلافة الأموية.

الأول: يزيد بن أبى مسلم الذى ولاه الخليفة يزيد بن عبدالملـك علـى المغرب سنه ١٠٢ هـ / ٧٢٠م وكان أحـد تلاميـذ الحجـاج بـن يوسـف الثقفـى فأراد أن يسير فى البربر بسيرة الحجاج فى العراق ، وعند مجيئه واليـا علـى المغرب كان معظم البربر قد أسلموا بفضل جهود مـن تقـدم مـن الـولاة ، فلـم يبق فيهم من يضع عليه الجزية ، هذا إلـى جـانب أن يزيـد بـن أبـى مسـلم لـم يـدرك أن المغـرب غير العـراق ، فـالعراق كـان ثـائرا منافسـا فولـى عليـه عبدالملك بن مروان ، الحجاج ليضبطه (١) ولما علم الـبربر أن يزيـد بـن أبـى مسلم يريـد أن يعـاملهم معاملـه أهل الذمـة ، ولا يعـترف باسـلامهم ، ويضـع عليهم الجزية ، فنصحوه أن يـترك مـا عـزم عليـه فرفـض ، فهجمـوا عليـه ، وقتلوه بعد شهر واحد من ولايته (٢) وبالرغم من أن مقتل يزيد بن أبـى مسـلم والى إفريقية كـان نذيـرا للخلافـة فـى دمشـق بوجـوب اصـلاح الأوضـاع فـى إفريقية ، لم تكن تصنع شيئا أكثر من تغيير الولاة بأخريين ، ولم تضع سياسة أخرى لتهدئة الأمور ، واصلاح الأحوال المضطربة.

العامل الثانى: عبيد الله بن الحبحـاب الـذى ولاه هشـام بـن عبدالملـك إفريقيـة سنه ١١٧ هـ / ٧٣٥ م (٣) ولى عمر بن عبدالله المرادى عاملا على طنجـة ، وقد اشتهر بـالجهل بطبـائع الـبربر ، وضيـق الأفـق فاسـاء السيرة ، وتعـدى الصدقات ، وأراد أن يخمس البربر (٤) وزعم أنهم فى للمسلمين ، وذلك ما لـم يرتكبه أحد قبله (٥) وهذا مما جعل الكثير من البربر يفقدون الثقـة بـالأمويين ،

---

(١) دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ١٩٩.
(٢) المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٠١ . يذكر البلاذرى : فتـوح البلـدان ، ص ٢٧٣، أن حـرس يزيد بن أبى مسلم كان من البربر فعزم على وشم كـل واحـد منهـم علـى يـده ، فـانكروا هـذا الفعل ، وملوا سيرته فقتلوه فى مصلاه ، ونجد نفس المعنى عند ابن عبدالحكم : فتوح مصـر والمغرب ، ص٢١٤.
(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ص ٢٢٢.
(٤) تخميس : أى يأخذ الخمس من البربر كرقيق.
(٥) ابن الاثير : مصدر سابق ، جـ ٤ ، ص ٢٢٢.=

ولا سيما بعد أن تمتعوا بالعدالة الإجتماعية ، والحقوق السياسية فى ظل عمر ابن عبدالعزيز ، ويذكر صاحب البيان ، أن ابن الحبحاب وعد الخليفة ، ومناه بالكثير من الغنائم فكلف نفسه فى جمعها ، أو كلفوه أكثر مما كان مما جعل الولاة يجدون فى جمع المال فكثر العبث وأدى ذلك إلى التعسف وسوء السيرة(١)

وقد ذكر أن بنى أمية كانوا يستحبون الطرائف المغربية ، ويرغبون فيها ، وكثيرا ما كانوا يبعثون فى طلبها (٢)

دور الخوارج فى قيام الثورة:

فى هذا المناخ ، استغل دعاه الخوارج ، مرحلة التذمر العام الذى ساد فى إفريقية فى هذه الفترة ، فانتشروا بين قبائل البربر دعاة ، ومعلمين ، يبسطون تعاليم الإسلام ، حسب ما يتمشى مع مبادئهم الدينية ، والسياسية تحت شعار المساواة ، والإصلاح ، والدعوة إلى العمل بكتاب الله ، وسنه رسوله ، ووجد دعاة الخوارج نفوسا مستعدة لتلقى تعاليمهم (٣) كما وجد البربر فى دعوة الخوارج الخلاص من تسلط بعض الولاة عليهم ، ووجدوا فيها ما يلائم طبيعتهم ، وأفكارهم ، من هنا أدركوا التناقض الكبير بين سياسة الدولة الأموية، وبين دعوة الإسلام التى تحث على العدالة ، والمساواة بين الناس ، وأنه لا فرق بين عربى ، أو غير عربى إلا بالتقوى ، والعمل الصالح ، وليس من الضرورة أن يكون الحاكم من قريش ، بل يكفى أن يكون فاضلا تقيا صالحا ، يحكم بالكتاب ، والسنة ، لذا أقبل على مبادئ الخوارج الكثيرون من أهل المغرب ، فكانت الفرصة مواتية للخوارج ، لتحريض البربر على الأمويين وتحريكهم لرفع راية التمرد ، والعصيان (٤)

= ابن عذارى: البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٥٢.
(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٥٢.
(٢) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٤ ، ص ٢٥٥.
(٣) د/ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٢٨٥.
– بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ١٥٨ : ١٥٩.
(٤) بروكلمان: المرجع السابق ، ص ١٥٩.

وكان مما ساعد على انتشار مذهب الخوارج فى بلاد المغرب ، أنهم حرصوا كل الحرص على نشر دعوتهم دون ذكر مبادئهم ، أو مذهبهم ، سواء كانوا أباضية أم صفرية ، وإنما نشروها تحت شعار المساواة ، والدعوة إلى نبذ الظلم ، والقهر ، وكان لوضوح أفكار الخوارج ، وإلتزامهم بظاهر الدين ، وعدم الميل إلى الفلسفة والتأويل أثر كبير فى إنتشار أفكارهم ومبادئهم ، هذا إلى جانب ميلهم إلى الثورة على الحكام الجائرين وولاتهم (١) وأيضا لتولى مجموعة ممتازة من دعاتهم لنشر هذا المذهب سواء من العرب أو من البربر (٢) وقد انتشر هؤلاء الدعاة بين قبائل البربر ، وكانت أعدادهم كبيرة وأخذوا فى نشر مبادئهم دون مضايقة كبيرة من الأمويين ، فقد اختاروا لمقامهم ، ولدعاتهم نواحى المغرب الأقصى البعيدة ونواحى السوس الأقصى بوجه خاص ، لأن هذه النواحى كانت موطنا لثلاث من أكبر القبائل الزناتية ،

---

(١) البغدادى : الفرق بين الفرق ، ص ٢٧٣.

(٢) من هولاء الدعاة .. **عكرمه مولى ابن عباس من البربر** [المالكى: رياض النفوس، جـ ١، ص ٩٢] طلب عكرمه العلم ، وجدا بن عباس فى تعليمه القرآن ، والسنه: ، وصار عكرمه من كبار الفقهاء ، والمحدثين ، فقد سمع لأبى هريرة ، وأخذ عنه الفقه ، والحديث [دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٢٧٩] اعتنق عكرمه مذهب الخوارج الصفرية ، وأخذ فى نشرها فى المغرب ، ونظرا لأنه بربرى فقد كان له تأثير كبير فى نفوس البربر ، يقول المالكى فى رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ٩٢ "دخل عكرمه إفريقية ، وأقام بالقيروان ، وبث العلم بها ، وكان مجلسه فى مؤخرة جامع القيروان " حيث كان يقوم بتدريس العلوم الشرعية من حديث وتفسير ، من خلالها كان يدعوا لمذهب الخوارج الصفرية ."

ومن هؤلاء الدعاة أيضا أحد زعماء زناته ويدعى **عكاشة بن أيوب الفزارى** ، أحد قواد الخوارج الصفرية الذين هددوا القيروان بالسقوط ، جاء عكاشة مع جيوش الفتح العربى على طليعة أهل الشام مع عبيدالله بن الحبحاب يقول [ابن خلدون : العبر ، جـ ٦ ، ص ٢٢٠ ، الناصرى السلاوى : الإستقصا ، جـ ١ ، ص ٩٥] "نبضت فيهم عروق الخارجية ، فدانوا بها، ولقنوها من العرب لناقليها من العراق ، وتعددت طوائفهم ، وتشعبت طرقها من الأباضية ، والصفرية" أما أكثر الأماكن التى انتشرت فيها أراء الخوارج الصفرية ، وكانت فى القسم الجنوبى من المغرب الأقصى ، وفى المناطق الجبلية الممتدة من السوس الأدنى إلى جبال درن [د/ السيد سالم : المغرب الكبير، جـ ٢ ، ص ٣٠١]

ومن هؤلاء الدعاة .. **سمعوا وسمكو . الشهير بأبى القاسم** : وكان من حملة العلم ، ارتحل إلى المدينة ، فأدرك التابعين ، وأخذ عن عكرمه مولى ابن عباس ، ونجح فى نشر مذهب الخوارج الصفرية بين قومه من مكناسة "فكان أهل مواطن سجلماسه من مكناسه يدينون لأول الاسلام بدين الصفرية من الخوارج" ومن سجلماسه انتشروا فى الأصقاع [البكرى: المغرب ، ص ١٤٩ . ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ ٦ ، ص ٢٦٧ : ٢٦٨]

وقد اتبع أبو القاسم طريقة التستر التى اتبعها ميسرة ، فرحل إلى واحة تافيلالت ، وهى ملتقى القبائل الرعوية جنوبى المغرب الأقصى ، وتظاهر بتربية الماشية ، ولكنه فى الأصل قام على نشر مذهب الخوارج الصفرية بين الرعاة حتى تحول هذا المكان إلى مركز لنشر مبادئ للخوارج الصفرية [ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ ٦ ، ص ١٠٧]

وأكثرها إستعدادا للثورة وهى غمارة وبرغواطة ومكناسة بالإضافة إلى انضمام أعداد قليلة من صنهاجة (١) إلى مذهب الخوارج.

ثورات البربر

١- ثورة ميسرة المطغرى ١٢٢هـ / ٧٣٩ - ٧٤٠م

ينسب ميسرة المطغرى أو "**المدغرى**" أو "**المذعرى**" إلى قبيلة مطغرة، أو مدغرة ، وهى من القبائل البترية ، ويلقب بعدة ألقاب منها الفقير (٢) نسبه إلى فقره ، والحقير (٣) والسقا (٤) استهانه به ، وتصغير الشأن بدأ حياته بسيطا حيث عمل بسقاية الماء فى سوق القيروان ، وهو سيد قومه رغبة منه فى التستر ، والبعد عن عيون الولاة ، وقد نجح فى نشر دعوته بين البربر التى كانت تقوم على العودة بالإسلام إلى نقائه الأول ، وتحقيق المساواة فى الأعطيات بين العرب والبربر فى الجيش الإفريقى (٥) ، يقول ابن خلدون (٦) "لما سرى دين الخارجية فى البربر أخذ مطغرة هؤلاء برأى الصفرية ، وكان شيخهم يعرف بالحقير ، وكان يبيع الماء فى سوق القيروان" وقد اختار ميسرة القيروان للعمل بها لأنها عاصمة إفريقية ، وبها مركز الاشعاع الدينى حيث الفقهاء ، والعلماء ، وأهل الزهد ، والورع ، والتقوى ، وكان شديد الميل إلى المغامرة ، وحب الإستقلال ، بعيد المطامع ذكيا محبا للعلم ، اعتنق مبادئ الخوارج الصفرية ، وأخذ فى نشرها بين قبيلته ، وعمل على ضم كثير من القبائل ، وظل يحرضهم على العرب حتى رفعوا راية العصيان ، وخاصة قبيلة مكناسة ، وبرغواطة (٧) وكان شيخهم يدعى "صالح بن طريف" (٨) الذى

---

(١) د/ حسين مؤنس : ثورات البربر ، ص ١٦٧.
(٢) ابن عبدالحكم: فتوح مصر والمغرب ، ص ٢١٨.
(٣) ابن عذارى: البيان المغرب ، جـ١ ، ص ٥٢. تاريخ ابن خياط : ، ص ٣٥٣.
- ابن خلدون: العبر ، جـ ٦ ، ص ٤٢٨.
(٤) ابن الأثير: الكامل ، جـ ٤ ، ص ٢٢٢.
(٥) د/ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٢٨٧.
(٦) ابن خلدون: مصدر سابق ، جـ ٦ ، ص ٢٣٩.
(٧) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ١٥٠.
(٨) **صالح بن طريف البرغواطى** : أصله يهودى من برباطة حصن من أعمال شدونه بالأندلس مشعوذ ، وساحر ، نزل بين البربر بقرية تامسنا بالمغرب الأقصى ، أظهر الإسلام ، والزهد والصلاح ، وادعى النبوة فى عهد هشام بن عبدالملك ، فاعترف له البربر بالولاية فقدموه على أنفسهم فهو رئيس قبيلة برغواطة ، وقائدها فى ثورة ميسرة ، وكان من جملة القواد=

ومن هنا نعتقد بأن اعتناق ميسرة لمبادئ الخوارج كان قبل سفره إلى الشام ، فمن غير المحتمل أن يكون رئيسا لفرقة من خوارج البربر دون أن يعتنق مبادئهم ، ومن غير المحتمل أيضا أن تكون الدعوة قد نالت هذا التأييد الكبير خلال هذه المدة القصيرة بين سفر الوفد ورجوعة من الشام.

ويذكر الطبرى: أن أهل إفريقية كانوا "أحسن أمة سلاما ، وطاعة حتى دب إليهم أهل العراق "الخوارج" الذين اجتهدوا فى إثارة البربر ، وحثهم على الثورة ضد العرب ، وكان أهل إفريقية "البربر" يقولون لا نخالف الأئمة بما تجنى العمال ، فقالوا أى دعاة الخوارج الذين كانوا يحرضون البربر على الفتن لهم : إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك ، فخرج ميسرة فى بضعة عشر ، أو بضعة وعشرين إنسانا حتى يقدم على هشام ، فطلبوا الإذن فصعب عليهم ، فأتوا الأبرش (١) "كاتبه" فقالوا : أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزوا بنا ، وبجنده فإذا أصاب نفلهم دوننا ، وقال هم أحق به ، فقلنا هو أخلص لجهادنا ، وقالوا إذا حاصرنا مدينته **قال:** تقدموا ، وآخر جنده ، فقلنا تقدموا فإنه ازدياد فى الجهاد ، ومثلكم كفى إخوانه فوقيناهم بأنفسنا وكفيناهم ... ثم عمدوا إلى ماشيتنا فجعلوا يبقرونها على السخال (٢) يطلبون الفراء فيقتلون ألف شاة فى جلد .. فاحتملنا ذلك .. ثم إنهم ساومونا يأخذون كل جميلة من بناتنا فقلنا لم نجد هذا فى كتاب ، ولا سنة ، ونحن مسلمون" (٣) **ويشكك د/حسين مؤنس فى رواية الطبرى السالفة** ، فيرى أن سفر الوفد ليس مؤكدا ، وأن زعماء البربر قد حاولوا بسط شكواهم أمام الخليفة (٤) لكنه لم يوضح الطريقة التى حاول بها البربر ذلك لكن بعض الباحثين يؤكد سفر الوفد ، وأن ميسرة إعتنق مبادئ

---

(١) **الأبرش** : رئيس وزراء هشام بن عبدالملك [د/ السيد سالم: تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص٣٠٢]

(٢) **السخال**: سلخ سلخا الخروف أى كشط جلده [لويس معلوف: المنجد فى اللغة ، ص ٣٤٤]

(٣) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٤ ، ص ٢٥٤ ، ٢٥٥. مجهول: أخبار مجموعة ، ص٣٢، ولا أعتقد أن هذه سياسة عامة للأمويين ، وإنما هو تصرف من بعض الولاة لا يدل على أية حكمه ، ولا وعى ، ولا يخدم مصلحة الاسلام ، ولا الأمويين أنفسهم ولا نجد هذه السياسة إلا فى الفترة الأخيرة من سياسة عبيدالله بن الحبحاب ، مع أن مدة الحكم الأموى فى إفريقية أكثر من ثمانيين عاما فإن صح هذا ، فإنها لا تعتبر سياسة عامة للدولة الأموية ، بدليل أول ما فعله الثوار قتل عامل طنجة من قبل ابن الحبحاب عبدالله السرادى لسوء سيرته.

(٤) د/ حسين مؤنس : ثورات البربر ، ص ١٥٦.

الخوارج فى الشام أثناء وجوده هناك وهى مبادئ الخوارج الصفرية ، فلما رجع إلى إفريقية وقويت دعوته ، وكثر أنصاره أعلن الثورة فى إقليم طنجة ، واستولى عليها وقتل واليها عمر المرادى ١٢٢هـ / ٧٤٠م (١)

ويبدو أن د/ حسين مؤنس محقا فى شكه لأن ما ذكره الطبرى بشأن الوفد يعتبر فى فترة سابقة على حكم الخليفة هشام بن عبدالملك ، بالإضافة إلى أن معظم المصادر التى تناولت هذا الموضوع لا تذكر سوى ميسرة ، ومن غير المشكوك فيه أن وفدا كالذى سبق ، لابد وأن يكون أعضاءه من زعماء القوم ، وأن يكون معروفا لدى الناس ومن هنا لابد أن يثور تساؤل عن سبب إغفال أسماء بقية أعضاء الوفد ، خاصة وقد سجلوا أسماءهم وأنسابهم فى رقاع تركوها عند الأبرش كاتب هشام ، كما تشير رواية الطبرى السالفة ، وربما أرسلت بهذا المعنى رسالة إلى البلاط الأموى ولم يلتفت لها إلا بعد قيام الثورة .

ويذكر الدكتور حسين مؤنس (٢) أن لثورة البربر على الحكم الأموى أسبابا سياسية قبل أن تكون دينية ، ويسمى الثوار خوارج سياسيين ، لا دينيين، ويدلل على رأيه بأن مبادئ الخوارج الصفرية (٣)، تميل إلى المسالمة، والتسامح مع المخالفين لكن الثوار كانوا متطرفين لا يعرفون حلا وسطا.

ويعد رأى د/ حسين مؤنس مقبولا ما دام الأمر يتعلق بالمبادئ الدينية نظريا ، وإن كان من المستبعد أن يتمكن قائد جيش مثل ميسرة ، وغيره من الرؤساء أن يسيطروا على أتباعهم من رجال القبائل ، وقد دفعهم نشوة النصر إلى مزيد من الإنتقام ، وسفك الدماء ، واستباحة الأعراض ، حتى أنهم قتلوا الصبيان عند احتلالهم طنجة (٤)

---

(١) د/ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٢٥٥.
(٢) د/ حسين مؤنس : ثورات البربر، ص ١٥٥.
(٣) من مبادئ الخوارج الصفرية : لم يكفروا القاعدة عن القتال إذا كانوا موافقين فى الدين والإعتقاد ، ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين ، لكن الخوارج اتباع ميسرة قتلوا كل من قابلهم حتى الصبيان عند إحتلالهم طنجة [الشهر ستانى: الملل والنحل ، جـ ١ ، ص ١٨٤]
(٤) مجهول: أخبار مجموعة ، ص ٣٢.

ومن الجدير بالذكر أن الخوارج أقنعوا البربر بمبادئهم ، وخاصة مبدأ أن الأمامة ليست مقصورة على العرب وحدهم ، بل هى حق لكل مسلم صالح، وأن الحكام العرب حادوا عن الطريق السليم ، وأنهم أى البربر لهم الحق فى الثورة عليهم ، وعلى ذلك فقد أعلن ميسرة نفسه إماما ، وتسمى بالخلافة ، وأمر أصحابه برفع المصاحف على الأسنة كما كان خوارج المشرق يفعلون (١)

قيام الثورة وغزوة الأشراف (*) ١٢٢هـ / ٧٣٩- ٧٤٠م

وجد البربر رئيسا يقودهم وهو ميسرة ، وأخذوا يتحينون الفرصة المناسبة للخروج على الوالى ، وعماله ، وجاءت الفرصة عندما أرسل عبيدالله بن الحبحاب ، قائده حبيب بن أبى عبيدة فى حملة إلى صقلية سنه١٢٢هـ / ٧٣٩-٧٤٠م (٢) أدت هذه الفرصة إلى قيام الثورة من جهة ، وصعوبة السيطرة عليها من جهة أخرى ، ومن الجدير بالذكر أن معظم المصادر تذكر أن الثورة بدأت فى إقليم طنجة فى المغرب الأقصى بسبب أن عاملها عمر بن عبدالله المرادى أساء السيرة ، وتعدى الصدقات ، وأراد تخميس البربر وزعم أنهم فئ المسلمين ، وذلك ما لم يفعله عامل قبله ، وإنما كان الولاة يخمسون من لم يدخل الإسلام ، فكان فعله الذميم سببا لنقص البلاد ووقوع الفتن العظيمة (٣)

وهناك رواية تخالف ما إجتمعت عليه المصادر السالفة ، وتقول إن الثورة قامت فى إقليمى طنجة ، والسوس الأقصى فى وقت واحد ، فقد ثار

---

(١) مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٣٢.

(*) **غزوة الأشراف** : سميت بذلك لمقتل عدد كبير من حماده العرب ، وفرسانهم من قريش والأنصار وغيرهم [ابن عبدالحكم: فتوح مصر والمغرب ، ص ٢١٨]

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٥١ : ٥٢.
- د/ السيد سالم: تاريخ المغرب الكبير، جـ ٢ ، ص ٣٠٥.
- د/ مؤنس: ثورات البربر ، ص ١٦٩.
- د/ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٢٨٨.
- د/ زيتون: القيروان ، ص ١٠٨.

(٣) ابن عذارى: مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٥١ : ٥٢.
- ابن عبدالحكم: مصدر سابق ، ص ٢١٧.
- ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٣٩.

عبدالأعلى بن جريح الأفريقى فى إقليم طنجة ، وقتل واليها عمر المرادى ، وثار ميسرة فى إقليم السوس الأقصى ، وقتل واليها اسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب ، وتذكر هذه الرواية أن ثورتا عبد الأعلى ، وميسرة كانت فى آن واحد للنصف من رمضان سنه اثنين وعشرين ومائة ، وأن ميسرة أرسل قائدا فقتل عبدالأعلى بن جريح (١) وعلى ما يبدو فإن رواية خليفة بن خياط السالفة غير مؤكدة، وذلك أنها لا تقدم أى تفسير لمقتل عبدالأعلى ، وهو من قادة الثورة ، ونرى أن تفسير هذا يرجع إلى محاولة ميسرة الإنفراد بالزعامة دون مشاركة من أحد ، أو خوف ميسرة من انضمام عبدالأعلى إلى العرب وخاصة أن عبدالأعلى ليس بربريا.

ومن الراجح أن ميسرة قاد الثورة فى إقليم طنجة ، ولما نجح فى قتل واليها استخلف عبدالأعلى على طنجة (٢) ثم توجد على رأس جيش من الثوار إلى السوس الأقصى لقتال اسماعيل بن عبيدالله بن الحبحاب فقتله ، وبهذا خرج المغرب الأقصى كله من يد المسلمين ، وتحّرج مركز عبيدالله بن الحبحاب فى إفريقية (٣)

"وصف المعركة"

وهناك عدة نصوص تصف اتساع المعركة:

الأول: قول ابن عذارى: "ثارت البرابر كلها مع أميرهم ميسرة الحقير" (٤)

الثانى: قول ابن الأثير ".. تداعت البربر مسلمها وكافرها"(٥)

الثالث: قول مؤلف مجهول: إن الثورة شملت كل إفريقية فقد "... وثب كل قوم من البربر على من يليهم"

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط: ، ص ٣٥٣.
(٢) د/ حسين مؤنس: ثورات البربر ، ص ١٦٩. د / سعد زغلول: تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٢٥٧. د/ السيد سالم: تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٣٠٥.
(٣) د/ حسين مؤنس: مرجع سابق ، ص ١٦٩.
(٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٥٢ . نخب تاريخية : ليفى بروفنسال ، ص ١٥.
(٥) ابن الاثير: الكامل ، جـ ٤ ، ص ٢٢٢.

الرابع: قول الرقيق إن البربر "... تداعت بأسرها "(١)

وبالرغم مما تحويه هذه النصوص السالفه من مبالغة ، إلا أنه يبدوا أن الثورة كانت بين عامة السكان ، وأن قبيلة مطغرة وبرغواطة فى المغرب كانتا من أهم القبائل البادئة بالثورة (٢) ابتدأت الثورة فى إقليم طنجة كما أسلفنا، وقتل عاملها ، وكان ذلك فى رمضان سنه ١٢٢هـ / ٧٤٠م (٣) وبهذه النتيجة يكون البربر بقيادة ميسرة المطغرى قد اقتطعوا أول جزء من بلاد المغرب الموجودة تحت أيدى الأمويين ، وهى طنجة ، وعين ميسرة عبدالأعلى بن جريح عاملا عليها من قبله ، توافد البربر على ميسرة من كل اتجاه ، واعتنقوا مذهبه ، وكثر جمعه ، وأشتد أمره بطنجة ، ونواحيها ، ولقب ، وخوطب بين البربر "بأمير المؤمنين". (٤) اتجه ميسرة بعد ذلك إلى السوس الأقصى فدانت له بعد أن قتل اسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب (٥) عندما علم ابن الحبحاب بوقوع طنجة فى أيدى الثوار فاستنجد بوليه فى الأندلس عقبة بن الحجاج السلولى (٦) ليقضى على الثورة ، فعبر إلى إفريقية، وقاتل البربر ، لكنه لم ينجح فى إخماد الثورة فقد دارت عليه الدائرة، وثار أتباعه عليه وخلعوه ، واختاروا مكانه عبدالملك بن قطن الفهرى. (٧)

---

(١) الرقيق: تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ١٠٩.

(٢) ابن عبدالحكم: فتوح مصر والمغرب ، ص ٢١٨. ابن عذارى: البيان المغرب ،جـ ١ ، ص٥٢.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط: ، ص ٣٥٣. ابن الأثير: الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢١٧.
- ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٣٦.
- دائرة المعارف الإسلامية : جـ ٣ ، ص ٥٠٥.

(٤) ابن الأثير: مصدر سابق ، جـ ٤ ، ص ٢٢٢ . ليفى بروفنسال ، نخب تاريخية ، ص ١٦.

(٥) تاريخ بن خياط: ، ص ٣٥٣ . ليفى بروفنسال : مرجع سابق ، ص ١٥.

(٦) أخبار مجموعة ، ص ٢٧ ، ٢٨ .
عقبة بن الحجاج السلولى ١٢٣هـ / ٧٤١م من أشراف بنى سلول ، ولاه عبيد الله بن الحبحاب أمير إفريقية والمغرب ، وما ولاهما على الأندلس سنه ١١٦ هـ ، سنة ٧٣٤م ، أو ١١٧ هـ ، سنة٧٣٥م ، وكانت ولايته حسنه السيرة ، اختلف فى مدة ولايته فهى ما بين خمسة أعوام وشهرين أو سته أعوام وأربعة أشهر ما بين سنه ١٢١ - ١٢٣هـ / ٧٣٩-٧٤١م [الزركلى: الأعلام ، جـ ٤ ، ص ٢٤٠ ، الطبعة السابعة ، سنة١٩٨٦م ، بيروت ، لبنان]

(٧) د/ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٢٥٧ .
عبدالملك بن قطن الفهرى (٣٣- ١٢٣ هـ / ٦٥٣- ٧٤١م) عبد الملك بن قطن بن نهشل بن عبدالله الفهرى ، تولى امارة الأندلس ١١٤هـ / ٧٣٢م ، بعد مقتل عبدالحمن الغافقى ، عزله ابن الحبحاب ، سنه١١٧هـ / ٧٣٥م ، ولكنه لم يخرج منها ، وبقى إلى أن توفى =

من ناحية أخرى ، جهز عبيدالله بن الحبحاب جيشا بالقيروان ، ضم معظم جنوده ، ثم كتب إلى قائده حبيب بن أبى عبيدة بالرجوع من صقلية بجيشه حتى يستطيع أن يوحد كل قواته فى مواجهة ثوار البربر المتجهين نحو القيروان (١) تحرج موقف عبيدالله بن الحبحاب بعد انتصارات البربر السابقة، وغضب لزوال هيبة العرب فقتل عامله على طنجة ، وولده فى السوس الأقصى ، ولما كان الوقت لا يسمح بانتظار جيش حبيب بن أبى عبيدة ، فقد أسرع ابن الحبحاب بإرسال خالد بن أبى حبيب الفهرى على رأس جيش ضم أشراف العرب ، وحماتهم للقضاء على الثورة. (٢)

تقدم جيش حبيب ... من فوره حتى لقى ميسرة دون طنجة ، فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع بمثله ، ثم انصرف ميسرة إلى طنجة ، وأنكرت البربر عليه سوء سيرته ، وتغيره (٣) عما كانوا بايعوه عليه ، وقد بويع بالخلافة فقتلوه. (٤)

ويرى د/ حسين مؤنس أن معركة قد دارت قبل هذه بين العرب والبربر قرب طنجة إنتصر فيها البربر ، بقيادة ميسرة ، وقد أفقده النصر صوابه فأساء السيرة ، فقتله اتباعه (٥) ولا يذكر د/حسين مؤنس اسم قائد الجيش العربى فى هذه المعركة ، لكن الأستاذ سيد أمير على (٦) يذكر أنه

=عقبة بن الحجاج السلولى فنادى فى أهل الاندلس أميرا عليهم ولكنه قتل فى نفس السنه التى تولى فيها سنه ١٢٣هـ / ٧٤١م [الزركلى : الأعلام ، جـ ٤ ، ص ١٦٢]

(١) ابن عذارى: البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٥٣.

(٢) ابن عذارى: مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٥٣. القيروانى : تاريخ إفريقية والمغرب ،ص١٠٩.

(٣) **مظاهر التغير:**

١- ذهب النصر بصواب ميسرة ، فأساء السيرة ، فقتلوه.

٢- تلاقى جيش العرب ، وميسرة قرب طنجة ، فاقتتل ، وتراجع ميسرة فثار عليه البربر، وقتلوه.

٣- انسحب ميسرة دون استماتته فى القتال وانتهى الأمر بأن قتلوه فعلى مذهب الخوارج يمكن التخلص من الإمام اذا انحرف عن طريق الجماعة [د/ حسين مؤنس: ثورات البربر ، ص ١٦٩ . د/ السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٣٠٦ . د/ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٢٩٠]

(٤) ابن الأثير: الكامل ، جـ ٤ ، ص ٢٢٣. ابن عذارى: مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٥٣.

(٥) لم يذكر د/ مؤنس اسم المعركة ويقول "التقى العرب مع ميسرة على مقربه من طنجة ، فانهزموا ، وقتل منهم نفر عظيم ، وعاد ميسرة إلى مركزه فى طنجة منصورا [د/ حسين مؤنس : مرجع سابق ، ص ١٦٩]

(٦) سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب ، ص ١٤٣.

خالد بن حبيب ، وربما أراد د/حسين مؤنس وسيد أمير على بذلك أمرين الأول أن يتخلصا من اللبس فى تحديد مواقع المعارك التالية التى سنتعرض لها ، وربما إلتبس عليهما الأمر أيضا نتيجة لإضطراب الروايات فى بعض المصادر ، فإن المعركة التى وقعت قرب طنجة بقيادة ميسرة ، وقتل على أثرها ، كان قائد الجيش العربى فيها خالد بن حبيب الفهرى على ما تقدم .

أما د/سعد زغلول ، فيرى أن المعركة وقعت ، قرب وادى شلف "**نهر الشليف**" بمقربة من تاهرت (١) وانسحب ميسرة على أثرها فى ظروف غامضة لا نعرفها ، وحصل انشقاق بين ميسرة ، وأتباعه الذين أخذوا عليه انسحابه من المعركة ، وانتهى الأمر بقتله (٢) وربما أراد د/سعد زغلول أيضا أن يتخلص من اللبس حول تحديد أمكن بعض المعارك التالية ، فإستنتج أن المعركة السالفة وقعت قرب وادى شلف ليوضح أن المعركة التى وقعت بعد وادى شلف حسب رأيه ، والتى لا تشير المصادر إلى موقعها ، هى التى وقعت قرب طنجة ، على خلاف ما تذكره المصادر ، من أن المعركة التى قادها ميسرة هى التى وقعت قرب طنجة ، على ما سبق ذكره ، لم تكن المعركة فى صالح أحد الجيشين ، ويذكر أن الجيشيين قد تحاجزا ، فانصرف ميسرة إلى طنجة (٣) وربما تحصن بها ، ولم يرضى أتباعه عما حدث فقتلوه، وقد تولى قيادة البربر بعد ميسرة خالد بن حميد الزناتى (٤) فتجمعوا حوله، فقادهم ، ولم ينتظر حتى يدخل العرب طنجة ، بل دعم قواته ، واستأنف القتال ، وقد فاجأ خالد بن حميد الزناتى ، وأصحابه من الصفرية ، العرب من الخلف وتكاثروا عليهم فلم يستطع العرب الصمود أمام جيوش البربر الكثيفة ،

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٥٣.
(٢) د/ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٢٥٨ : ٢٥٩.
(٣) الناصرى السلاوى: الإستصقا ، جـ ١ ، ص ٤٩.
(٤) ابن الأثير: الكامل: جـ ٤ ، ص ٢٢٣. ابن عذارى: مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٥٣.
خالد بن حميد الهتورى الزناتى: هو أحد قواد البربر البتر من قبيلة زناته اعتنق مبادئ الخوارج الصفرية ، تولى قيادة البربر فى ثورتها على العرب بعد مقتل ميسرة المطغرى ، وتمكن من هزيمة العرب هزيمه منكرة قتل فيها كثير من أشراف العرب عام ١٢٢هـ/٧٤٠م. [ابن الأثير: مصدر سابق ، جـ ٤ ، ص ٢٢٣ ، ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص٢١٨. ابن عذارى: مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٥٤ . د/ زيتون : المسلمون فى المغرب والأندلس ، جـ ١ ، ص ٦٨. د/ حسين مؤنس معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٦٤ . د/ سعد زغلول: مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ٢٩١]

فانهزموا هزيمة منكرة لم يسمع بمثلها ، وقتل حبيب ، ومن معه ، وقد عبر ابن الأثير (١) عن هذه الموقعة بقوله "ولم يبق من أصحابه رجل واحد ، فقتل فى تلك الموقعة حماه العرب ، ورؤسائها ، وسادتها وأبطالها فسميت غزوة الأشراف" وكان ذلك فى أواخر عام ١٢٢هـ أو فى محرم عام ١٢٣هـ / ٧٤٠م (٢) ويذكر عدد من الباحثين أن ابن الحبحاب ، قد طلب من واليه على الأندلس عقبه بن الحجاج السلولى ، أن يقضى على الثورة ، فعبر إلى إفريقية، وقاتل البربر ، لكنه لم ينجح فى إخماد الثورة ، فقد ثار عليه اتباعه فخلعوه ، واختاروا عبدالملك بن قطن الفهرى (٣)

على الجانب الآخر وصل جيش حبيب بن أبى عبيدة من صقلية ، فأرسله ابن الحبحاب فى أثر جيش خالد ، لكن حبيب عسكر عند وادى شلف ولم يتقدم (٤) ويرى د/ سعد زغلول أن وصول حبيب من صقلية ، كان بعد وصول نبأ غزوة الأشراف ، وقد اعتمد فى ذلك على روايةابن عبدالحكم (٥) التى تبدو مضطربة ، وقد اختلفت الأمور على عبيد الله بن الحبحاب ، فإجتمع الناس وعزلوه (٦) بعد أن أصبح لا حول له ، ولا قوة ، ولا يدرى ماذا يفعل ، ويبدو أنه فقد السيطرة على البلاد ، وفى هذه الحالة ، ربما يكون من الأفضل أن يبقى ابن الحبحاب جيش حبيب فى القيروان ، ومن المستبعد أن يجازف بإرساله ، **وعلى الأرجح** فإن ابن الحبحاب أرسل جيش حبيب فى أثر جيش خالد قبل وصول خبر موقعة الأشراف ، لكن حبيبا لم يشأ أن يسر بقواته للحاق بخالد فقد فضل أن يعسكر عند وادى شلف (٧) عندما سمع بواقعة الأشراف . **أما عن رد فعل الخلافة الأموية تجاه هذه الأحداث** ، فقد غضب الخليفة هشام بن عبدالملك غضبا شديدا عندما سمع بهذه الأنباء المؤسفة ، وقال قولته المشهورة "والله لأغضبن لهم غضبة عربية ، ولأبعثن اليهم جيشا

---

(١) ابن الأثير: الكامل ، جـ ٤ ، ص ٢٢٣. ابن عذارى: البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٥٣.
(٢) تاريخ ابن خياط ، ص ٣٥٣.
(٣) د/ حسين مؤنس: ثورات البربر ، ص ١٧٠.
– د/ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٢٥٧.
(٤) القيروانى: تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ١١٠. ابن عذارى: مصدر سابق ، جـ ١، ص ٥٣.
(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢١٧ ، ٢١٨.
(٦) ابن عذارى: مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٥٤. القيروانى: مصدر سابق ، ص ١١١.
(٧) ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٥٣.

أوله عندهم ، وأخره عندى ، ثم لا تركت حصن بربرى إلا جعلت إلى جانبه خيمة قيسى ، أو تميمى ، ثم كتب إلى ابن الحبحاب يأمره بالحضور إلى مقر الخلافة فى جمادى الأولى سنه ١٢٣هـ / ٧٤١م (١)

كلثوم بن عياض القشيرى وموقعة بقدورة (*)

وفعلا بر الخليفة هشام بقسمه ، وأرسل جيشا عربيا بقيادة كلثوم بن عياض القشيرى ، ويظهر أن إعداد جيش كلثوم ، وقدومه إلى القيروان قد تم بسرعة كبيرة ، حيث إنه تحرك من الشام فى شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٣هـ / ٧٤١م (٢) فوصل إلى مدينة القيروان فى شهر رمضان من نفس السنة (٣) وهذا يدل على أن الخلافة الأموية كانت تريد القضاء بمنتهى السرعة على الثورة قبل إنتشار أمرها ، وإمتدادها إلى مناطق أخرى فيتعذر القضاء عليها.

وقد اختلفت الروايات فى تحديد عدد هذا الجيش ، فيذكر صاحب أخبار مجموعة أنه بلغ نحو سبعين ألفا من العرب ، عبارة عن سبعة وعشرين ألفا من الشام ، وثلاثة آلاف من مصر ، فبلغ ثلاثين ألفا ، بالإضافة إلى أهل إفريقية الذين انضموا إلى جيش كلثوم فيقول "خرج إليه منها – أى إفريقية – فيما يقال بشر كثير من أهل إفريقية ، ومن كان معه من أهل طنجة من العرب حتى تم جيشه سبعين ألفا" (٤)

أما ابن عذارى ، والقيروانى فلا يشيران إلى العدد الكامل للجيش ، حيث أنهما يذكران فقط أن كلثوم خرج من الشام باثنى عشر ألف جندى فقط(٥) وفى رواية أخرى لابن عذارى أن عدد جيش كلثوم كان ثلاثين ألفا

(١) ابن الأثير: الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢٢٣. ابن عذارى: البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٥٤.
(*) **بقدورة** : تسمى هكذا عن صاحب أخبار مجموعة ، ص ٣٢ ، وفى موضع آخر يسميها نقدورة ، ص ٣٩. أما ابن القوطية "تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٤١" فيسميها نفدورة بالفاء ، وتقع على واد سبو "نهر مدينة فاس" بالقرب من مدينة تاهرت [د/ السيد سالم: تاريخ المغرب الكبير جـ ٢ ، ص ٣١٠ . د/ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٢٩٥]
(٢) ابن عبدالحكم: فتوح مصر ، والمغرب ، ص ٢١٨.
(٣) القيروانى: تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ١١٣، ابن عذارى: مصدر سابق ، جـ ١،ص ٥٤.
(٤) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة ، ص ٣١.
(٥) ابن عذارى: مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٥٤. القيروانى: مصدر سابق ، ص ١١٣.

عند وصوله إلى وادى سبو (١) وتعد رواية صاحب أخبار مجموعة أوثق هذه الروايات لأنها تقدم وصفا دقيقا لجيش كلثوم ، كما أن كلثوم كان يأخذ جندا ، ومتطوعين من الأقاليم التى يمر بها كمصر ، وطرابلس ، والقيروان ، إضافة إلى جيش حبيب بن أبى عبيدة فى تلمسان (٢) ولما كانت تلمسان غير وادى شلف فمن المرجع أن يدخلها حبيب ، ويتحصن بها بانتظار جيوش الخلافة (٣)

موقعة بقدورة : ١٢٤هـ / ٧٤٢م

بدأ كلثوم ينظم جيشه ، فجعل مغيث على رجاله إفريقية ، وعلى خليها هارون القرنى ، وكان بلج بن بشر على خيل أهل الشام ، ويبدو أن عدد البربر كان كبيرا ، فأشار مغيث ، وهارون على كلثوم أن يحفر خندقا حول معسكره ، ولكن بلج كان له رأى آخر ، وظن أنه إذا جال بخيله يكون الموقف فى صالحه ، وغاب عنه أن البربر قوم متفوقون فى هذا النوع من الحروب ، بالإضافة إلى الحيلة التى قاموا بها ، حيث صنعوا أكياسا من الجلد ملأوها بالحجارة ، وأخذوا يهزونها بشدة ، ويقذفونها على رؤوس الخيل فكان هذا سببا فى نفور الخيل (٤) ولم يتمكن الفرسان العرب من القتال عليها ، فما كان من كلثوم إلا أنه أمر جنوده بالحرب مترجلين ، ولم يكن البربر يرجون خيرا من ذلك ، فانقضوا على العرب ، وأحاطوا بهم ، وأعملوا فيهم السيف(٥) وعندما أحس كلثوم بخطورة الموقف وبدت أعراض الهزيمة ، أراد أن يتخلص من المسئولية ونتيجة المعركة ، فخاطب حبيب بن أبى عبيدة فقال : إن أمير المؤمنين أمرنى أن أوليك القتال ، وأعقد لك على الناس ، إلا أن كلثوم لو كان صادقا لولاه المسئولية قبل أن تبدأ المعركة ، فقال حبيب : قد فات الأمر ، وزحف رجاله البربر على أثر الخيل حتى خالطوا كلثوما وأصحابه وأكثروا فى جيشه القتل ، وجرح كلثوم وصمد ، لكنه قتل وهو يقرأ

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٥٥.
(٢) د/ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٢٦٢.
(٣) يذكر ابن الأثير فى الكامل ، جـ ٤ ، ص ٢٢٣ "أن حبيب بن أبى عبيدة كان يقف فى مواجهة البربر عندما وصلت جيوش الخلافة إلى إفريقية".
(٤) مجهول: أخبار مجموعة ، ص ٣٤.
(٥) د/ حسين مؤنس: ثورات البربر ، ص ١٧٧.

القرآن (١) وقتل عدد كبير من العرب وإنهزم جيش كلثوم ، وأخذ البربر يأسرون ، ويقتلون حتى أصبح معظم الجيش ما بين مقتول ومأسور وعاد معظم الفارون إلى إفريقية عام ١٢٤ / ٧٤٢م (٢) أما عن **موقف بلج** الذى بقى معه نحو عشرة آلاف من جنود المعركة ، فقد خالطه البربر ، وتكاثروا عليه، فحالوا بينه وبين الرجوع إلى عسكره ، وصار فى دبر عسكر البربر يقاتل طوائف منهم قد كاثروه (٣) فلم يستطيع مقاومتهم فهرب إلى طنجة ثم إتجه إلى سبته ، وأقبل البربر وراءه يحاصرون المدينة ، ويهاجمونها ، ولكنهم لم يستطيعوا اقتحامها لحصانة أسوارها ، ومناعتها ، فعمدوا إلى تخريب مزارعها حتى دمروها ، مما صعب على العرب الإقامة بها ، فجاعوا حتى أكلوا دوابهم وأشرفوا على الهلاك (٤) فاضطر بلج إلى طلب النجدة من والى الأندلس عبدالملك بن قطن فأرسل اليهم السفن ، والأطعمة (٥)

أما عن سبب هزيمة كلثوم فيذكر **صاحب أخبار مجموعة** (٦) أن البربر وضعوا الحجارة فى جلود اليابسة ، وعلقوها بأذناب خيولهم فنفرت خيل العرب منها ، هذا بالإضافة إلى النزاع الذى قام بين حبيب بن أبى عبيدة أحد قواد جيش كلثوم من جهة ، وبين كلثوم ، وبلج بن بشر من جهة أخرى بسبب إستهانه بلج بحبيب عندما لقيه ، كما طعن كلثوم فيه وشتمه وأهل بيته (٧) هذا إلى جانب قيادة كلثوم الغير حكيمة حيث لم يأخذ بآراء مستشاريه ، فقد رفض رأى حبيب عندما قال لكلثوم قاتلهم الرجاله بالرجاله ، والخيل بالخيل (٨) وأطاع بلجا المغتر بنفسه حين أشار على كلثوم أن يصدم البربر بالخيل " ليدرسهم بها، وكانت الخيل أوثق فى نفس كلثوم من الرجاله (٩) ويشير

---

(١) مجهول : أخبار مجموعة، ص ٣٢.
(٢) مجهول : المصدر السابق، ص ٣٥ ، د/ حسين مؤنس : ثورات البربر ، ص ١٧٨.
(٣) ابن عبدالحكم: فتوح مصر والمغرب ، ص ٢١٩ ، مجهول: مصدر سابق ، ص ٣٣.
د/ مؤنس: مرجع سابق ، ص ١٧٨. د/ السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير، جـ ٢،ص٣١١.
(٤) مجهول: مصدر سابق ، ص ٣٧ . ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٤٢.
(٥) د/ السيد سالم: مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ٣١٢.
(٦) مجهول : مصدر سابق ، ص ٣٤.
(٧-٨) ابن عبدالحكم: مصدر سابق ، ص ٢١٩.
(٩) ابن عبدالحكم: مصدر سابق ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠.

ابن عذارى إلى هذا بقوله "كان الإختلاف سبب هلاكهم مع سوء رأى كلثوم ، وبلج" (١)

كانت انتصارات البربر الكبيرة على جيوش الخلافة الأموية نذيرا باشتعال نار الثورة فى المغرب ، فهبت فى كل ناحية ثورة يقودها زعيم من البربر ضد العرب.

حنظلة بن صفوان وموقعتا والقرن والأصنام سنه ١٢٥هـ/٧٤٣م:

هكذا نرى أن العرب قد هزموا فى معركتين متتاليتين وهما: الأشراف، وبقدورة ، مما جعل الخلافة الأموية تستشعر الخطر الحقيقى من جانب البربر ، حيث أنه إذا استمر الوضع هكذا ، فيمثل تهديدا كبيرا لمركز الخلافة الأموية فى المغرب ، والأندلس ، وفى هذه الظروف الصعبة عجل الخليفة هشام بتعيين والى مصر حنظلة بن صفوان واليا على المغرب خرج حنظلة من مصر بجيش كبير يقدر بثلاثين ألف رجل ، ثم أمده هشام بعد ذلك بعشرين ألف رجل (٢) ولم يكتف هشام بهذا ، ولكنه كان دائم التعرف والإطمئنان على الوضع فى المغرب ، وعلى حنظلة ، وجيشه أولا بأول ، وقد رسم خطة عمل لحنظلة للقضاء على هؤلاء الثوار ، وهى عبارة عن عدم إنتظار حنظلة إلى أن يتحد جيش البربر (٣) خرج حنظلة بأهل القيروان إلى عكاشه بن أيوب الفزارى لأنه أقرب إلى القيروَان من عبدالواحد (٤) ويذكر ابن الأثير أن العلماء قاموا فى أهل القيروان يحثونهم على الجهاد وقتال الخوارج ويذكرونهم ما يفعلون بالنساء من السبى ، وبالأبناء من الإسترقاق ، ومن الرجال بالقتل". (٥) التقى حنظلة بعكاشه بعد قتال شديد فى معركة القرن ، وهزمه هزيمه منكره "... هزم الله عكاشه وأصحابه" (٦) وقد أسرع حنظلة بعد هزيمه عكاشة فى القرن بالرجوع إلى القيروان خوفا عليها

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٥٥.
(٢) مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٣٦.
(٣) مجهول: المصدر السابق ، ص ٣٧. د/ حسين مؤنس: ثورات البربر ، ص ١٧٩.
(٤) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٣.
(٥) ابن الأثير: الكامل ، جـ ٤ ، ص ٢٢٣.
(٦) القيروانى: تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ١١٦.
- ابن الأثير: مصدر سابق ، جـ ٤ ، ص ١٢٢.

من عبدالواحد ، وقضى ليلتة فى الإستعداد لمقاتلة عبدالواحد (١) فسار إليه، والتقى الجيشان عند الصباح وبجميع ما حمله النصر على عكاشه من الحماس، هاجم العرب البربر فهزموهم عند منطقة الأصنام ، وقتل عبدالواحد، وكانت المعركة يوم الثلاثاء سنه ١٢٥هـ/ ٧٤٣م ولم يعرفوا بمقتله إلا يوم الخميس (٢) أما عكاشه فجئ به أسيرا ، وكان قد هرب من المعركة فى القرن فأمر به حنظلة فقتله (٣) ويرى أحد الباحثين (٤) أن حنظلة بدأ المعركة مع عبدالواحد ، فلما قضى على جيشه اتجه لحرب عكاشه ، معتمدا على رواية ابن عبدالحكم التى تبدو مضطربة فى نصها القائل" وكان عكاشه أقرب إلى حنظلة فصبح عبدالواحد الأصنام بجموعة ، وزحف حنظلة إلى الفزارى لقربه منه وخرج معه بأهل القيروان ... فلقيهم باللأصنام فهزم الله عبدالواحد وجمعه ".(٥)

ومن الجدير بالذكر أن النصوص التى تناولت معركة القرن والأصنام تبدو مضطربة ، وربما كان السبب فى ذلك أن المعركتين فى زمن متقارب ، بالإضافة إلى مقتل عكاشه بعد هزيمة عبدالواحد ، مما أوقع بعض المؤرخين فى شئ من اللبس.

ويظهر أن حنظلة اتجه إلى أقرب عدويه وهو عكاشه ، فلما هزمه اتجه إلى عبدالواحد ، ودارت المعركة فتمكن العرب من دحر البربر ، وهزيمتهم ، ووجدوا عبدالواحد قتيلا بعد يومين من المعركة كما ذكرنا ، وتم أسر عكاشه وجئ به إلى حنظلة فقتله ، فكان ذلك مدعاة إلى الخلط بين المعركتين على الأرجح (٦) ويبدو أن متاعب حنظلة لم تنته بهزيمة البربر

---

(١) القيروانى: تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ١١٦.
- ابن الأثير: الكامل ، جـ ٤ ، ص ٢٢٣.
(٢) القيروانى: مصدر سابق ، ص ١٢٢.
(٣) ابن عذارى: البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٥٤. القيروانى: مصدر سابق ، ص ١٢٢.
- ابن الأثير: مصدر سابق ، جـ ٤ ، ص ٢٢٣.
(٤) د/ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٣٠٥.
(٥) ابن عبدالحكم: فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٢.
(٦) ابن عبدالحكم: المصدر السابق ، ص ٢٢١ : ٢٢٤. القيروانى: مصدر سابق، ص١١٢:١١٥. ابن الأثير: مصدر سابق ، جـ ٤ ، ص ٢٢٣ : ٢٢٤. ابن عذارى: مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٥٨ : ٥٩. مجهول: أخبار مجموعة ، ص ٣٦ . د/ سعد زغلول: مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ٢٧٤ : ٢٧٦. د/ حسين مؤنس : ثورات البربر ، ص ١٧٩.

حول أسوار القيروان ، فبعد انتهاء المعركتين تتبع حنظلة فلول البربر الخوارج الفارين للقضاء عليهم ، فأمر قائده على طرابلس معاوية بن صفوان(١) بالخروج لحرب نفر من صفرية أقليم نفزاوة الواقع ما بين صبره ، وقابس ، فسار معاوية إليهم ، ونجح فى هزيمتهم لكنه دفع حيادته ثمنا لهذا النصر. (٢) انتصر العرب على البربر ، وشتتوا شملهم ، ولكنهم لم يقضوا عليهم القضاء الكامل ، وبعد هذه الإنتصارات التى حققها حنظلة على البربر فى إفريقية "كتب إلى هشام بالفتوح ، واستشاره فى الإقدام على بلد البربر ، فأتى كتابه هشام وهو يجود بأنفساسه الأخيرة "(٣)

عبدالرحمن بن حبيب وقضائه على ثورات البربر:

تولى خلافة الدولة الأموية بعد هشام بن عبدالملك ، الوليد بن يزيد بن عبدالملك (٤) فى جمادى الآخرة سنه ١٢٦ هـ / مارس ٧٤٤م ، وحاول عبدالرحمن بن عبدالرحمن بن حبيب انتهاز الفرصة ، وفرض سيطرته على القيروان خاصة ، وأن زعمائها قد وافقوا على مبايعته على إفريقية بعد مقتل الوليد بن يزيد ، وإضطراب أمور الخلافة فى الشام ، فلما استقر الأمر لمروان بن محمد آخر خلفاء الدولة الأموية (٥) إعترفوا بخلافته ورجعوا عما كانوا اتفقوا عليه مع عبدالرحمن ، وفى ذلك يقول ابن عبدالحكم "ووجد

---

(١) **معاوية بن صفوان** : كان عامل حنظلة على طرابلس ، كتب إليه حنظلة يستنجده ، فأنجده بأهل طرابلس ، ولما وصل إلى قابس بلغه خبر هزيمة عكاشه ، وعبدالواحد ، فأمره حنظلة أن يتقدم بجيشه إلى حرب البربر بنفزاوة فذهب إليهم ، وقاتلهم حتى قتل ١٢٤هـ / ٧٤٢م ، [الزاوى: تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ١١٣ ، ١١٤]

(٢) ابن عبدالحكم: فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٣ .

(٣) مجهول: أخبار مجموعة ، ص ٣٧.

(٤) **الوليد بن يزيد بن عبدالملك:** هو الخليفة الحادى عشر من خلفاء بنى أمية ، تولى الخلافة فى ربيع الآخر، سنة ١٢٥هـ / ٧٤٣م ، وكان أبوه يزيد بن عبدالملك حين عهد بالخلافة من بعده لاخيه هشام بن عبدالملك جعل ابنه هذا ولى للعهد له فلما مات هشام سنة ١٢٥/٧٤٣م ، صلى عليه الوليد بن يزيد ، ثم بويع له بالخلافة بعد عمه فى نفس اليوم [أبو الفداء : تاريخ أبو الفداء ، جـ ١ ، ص ٢١٩ : ٢٢٢ . الأربلى: خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٤٤ . د/ عبدالشافى عبداللطيف: تاريخ العالم الإسلامى فى العصر الأموى ، ص ١٩٦]

(٥) **مروان بن محمد** بن الحكم بن العاص بن أميه بن شمس بن عبد مناف ، آخر خلفاء بنى أمية، وفرسانهم ، تولى الخلافة سنه ١٢٧هـ /٧٤٥م ، وقتل سنه ١٣٢هـ /٧٥٠م ، فى بوصير من أعمال مصر ، بعد أن فر من موقعة الزاب [أبو الفداء: مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص٢١٩. ٢٢٢ . د/ السيد سالم: تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٣٢٣ . د/ عبدالشافى عبداللطيف : مرجع سابق ، ص ٢٠٨]

عبدالرحمن عليهم لخروجهم إليه ، وكانوا قد كاتبوه قبل ذلك سرا من حنظلة ، فلما بلغهم ولاية مروان نزعوا عنه ذلك" (١) بعد أن فرض عبدالرحمن بن حبيب نفسه على إفريقية ، ما كان من الخلافة الأموية ، إلا أن أقرته عليها سنة ١٢٧هـ/ ٧٤٥م (٢) فعمل منذ اللحظة الأولى على تثبت أقدامه فى المغرب ، وتكوين أمارة له ، ولكن تكوين الإمارة ليس بالأمر السهل (٣) فنجد عبدالرحمن أصبح أميرا شبه مستقل عن الخلافة الأموية ، لأنه إغتصب هذه الأمارة بعد أن رحل حنظلة إلى الشام مفضلا عدم الصدام مع عبدالرحمن خوفا على مصلحة المسلمين ، على الجانب الأخر أراد عبدالرحمن أن يكون موقفه أمام البربر موقفا شرعيا يدعم به سلطانه ، لكن البربر كانوا يتطلعون للقضاء على أى نفوذ يحد من سلطانه ، وظلوا يترقبون الفرص المواتية للإستقلال ببلادهم (٤) وقد اتبع عبدالرحمن بن حبيب فى إخضاع أولئك الذين راودتهم فكرة إقتطاع إمارات لهم فى البلاد ، والإستقلال بها – سياسة العنف والخديعة فكان "يؤتى بالأسير من البربر فيأمر من يتهمه بتحريم دمه بقتله فيقتله"(٥) وبالرغم من الإنتصارات الكبيرة التى حققها حنظلة إلا أنه لم يستطيع أن يقضى على البربر نهائيا فالبلاد مضطربة بسبب ثوراتهم ، فإذا أراد عبدالرحمن تكوين إمارة خاصة به فعليه أن يقضى على معظم البربر الثائرين فى مختلف بلاد المغرب ، وخاصة فى المناطق الجبلية الصعبة وقد حدثت عدة ثورات منها:

أولا: فى مدينة باجة إلتف البربر حول زعيم منهم يدعى ثابت الصنهاجى(٦)

---

(١) ابن عبدالحكم: فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٣.
(٢) ابن الأثير: الكامل ، جـ ٤ ، ص ٢٧٩.
(٣) ابن عذارى: البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٦٠، ٦١ .
– د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى، جـ ١ ، ص ٣١٧.
(٤) د/ السيد سالم: تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٣٢٣ ، ٣٢٤.
(٥) ابن عذارى: مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٦١.
(٦) **ثابت "بن زيدون" الصنهاجى وعبدالله بن سكرديد** : من أمراء قبيلة صنهاجة ، وهى عمدة قبائل البربر البرانس ، فى البداية استغل ثابت حالة عدم الإستقرار فى القيروان ، واستقل بمدينة باجه ، ثم انضم إليه عبدالله أحد أمراء القبيلة ، وهو ما دعم موقف ثابت من الإستقلال بباجة ، ولكن إلياس بن حبيب قضى على طموحها ، وتمكن من قتلهم سنه١٣٠هـ/٧٤٨م [ابن الأثير: مصدر سابق ، جـ ٤ ، ص ٢٧٩ . د/ حسين مؤنس: ثورات البربر، ص ١٨٢ ، ١٨٣. د/ سعد زغلول : مرجع سابق ، ص ٣١٧ ، ٣١٨]

ثانيا: فى مدينة طرابلس ثار كل من الحارث بن تليد الهوارى ، وعبدالجبار ابن قيس الهوارى.

ثالثا: فى مدينة قابس ثار بربر قبيلة نفوسه بقيادة اسماعيل بن زياد النفوسى الإباضى (١) فرضت هذه الثورات على عبدالرحمن بن حبيب أن يخمدها إذا أراد أن تكون إفريقية إمارة خاصة به ، فبدأ بثابت الصنهاجى فى مدينة باجة، فعندما علم بثورتهم جهز سرية من ستمائه فارس بقيادة أخيه الياس بن حبيب(٢) واتفق معه على أعمال الحيلة بالتظاهر بعدم التوجه إلى باجه ، ثم ينقض عليهم دون أن ينهك قواه ، واتبع نفس الطريقة بمفاجأة مدينة تونس وقتل عروة بن الوليد ، وأقام الياس فى المدينة سنه ١٣٠هـ / ٧٤٨م (٣) وفى مدينة طرابلس إستعمل عبدالرحمن دهاءه فى القضاء على ثورة طرابلس ، والتى قويت بإنضمام بربر هوارة ، فعمد أولا إلى التغلب عليها بقوة السلاح بتوليه أخيه الياس على طرابلس حتى يقضى على الثورة قبل أن تستفحل ، ولما رأى عبدالرحمن عدم جدوى هذا ، لجأ إلى أسلوب الخديعة بدلا من قوة السلاح حتى يستطيع التغلب على خصيمه ، فدس عليهما عصابة من أتباعه فى طرابلس فقتلوها سنه ١٣١هـ / ٧٤٩م ثم أدخلوا على كل منهما سيفا وجعلوا مقبضة إلى جهة الآخر ليوهموا الناس بأنهما تنازعا فتقاتلا ، فقتل كل منهما الآخر (٤) ثم تصدى عبدالرحمن بن حبيب إلى اسماعيل بن زياد الإباضى الثائر ببربر نفوسه فى قابس ، وتمكن من هزيمته هو ، وأتباعه ،

---

(١) **اسماعيل بن زياد النفوسى الإباضى:** تولى إمامه الخوارج الإباضية فى طرابلس بعد مقتل عبدالجبار ، والحارث وكثر أتباعه واستولى على مدينة قابس وزاده خطره ، مما جعل عبدالرحمن بن حبيب يخرج له بنفسه ، وتمكن من قتله وتشتيت البربر اتباعه سنه ١٣١ ، ١٣٢هـ / ٧٤٩- ٧٥٠م [ابن عبدالحكم: فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٤. د/ السيد سالم: تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٣٢٧ . د/ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربى، جـ ١، ص ٣٣٢ : ٣٣٣]

(٢) **إلياس بن حبيب** : ١٣٨هـ / ٧٥٥م الياس بن حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع الفهرى استطاع بجهوده اخضاع من ثار على أخيه عبدالرحمن ، ولكنه عندما أحس بنية أخيه فى الغدر به تمكن من قتله ، وإستولى على إمارة إفريقية التى استمرت عاما ، وستة أشهر ، وقتل على يد حبيب بن عبدالرحمن الذى ثأر لمقتل أبيه [الزركلى : الأعلام ، جـ ٢ ، ص٩]

(٣) د/ سعد زغلول: مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ٣١٨.

(٤) د/ السيد سالم: مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ٣٢٤.

وأخذ من الأسرى الكثير ، وتوجه بهم إلى سوق طرابلس ، فضرب أعناقهم وصلبهم سنه ١٣١هـ / ٧٤٩م (١)

وهكذا فى خلال أربع سنوات تمكن عبدالرحمن بن حبيب من القضاء على ثورات البربر ، وكتب إلى الخليفة الأموى مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية يخبره بذلك فأقره بالأمر الواقع ، وكتب إليه بالولاية على إفريقية والمغرب (٢) وبهذا يعتبر عبدالرحمن بن حبيب آخر ولاة الأمويين فى المغرب ، وعندما انتهت الخلافة الأموية ، وتأكد من انتصار العباسيين ، ومبايعة أبو العباس "السفاح" بادر بالإعتراف بخلافته فوافق أبو العباس من جهته على إقراره فى ولايته (٣) وقد أحدثت ثورات البربر نتائج بعيدة الأثر على الأمويين ، وعلى عرب إفريقية بصفة عامة.

أولا: كانت هذه الثورات بداية لإنفصال بعض أجزاء من إفريقية عن المشرق، حيث كانت كل منطقة تتحين الفرصة ، وتنفض يدها من التبعية للأمويين ، ثم العباسيين بعد ذلك حتى خرجت معظم هذه البلاد عن طاعة العرب وتكونت فيها دويلات مستقلة أو شبه مستقلة.

ثانيا: كان للخوارج دور كبير فى قيادة ثورات البربر ضد الأمويين بسبب كراهيتهم لبنى أمية فعملوا على دخول بلاد المغرب فى بداية القرن الثانى الهجرى ، وبث مبادئهم التى وجدت آذانا صاغية لدى الكثير منهم ، وخاصة مبدأ الإمامة ، وعدم اقتصارها على فئة معينة بذاتها.

ثالثا: ضعف تأثير الخلافة الأموية على بلاد المغرب بعد موت هشام بن عبدالملك سنه ١٢٥هـ / ٧٤٣م بدليل اغتصاب عبدالرحمن بن حبيب ولاية إفريقية من حنظلة بن صفوان الكلبى فى سنه ١٢٧هـ / ٧٤٥م ولم يستطع أن يفعل معه شيئا بل رحل إلى المشرق ، وتركها.

---

(١) ابن عبدالحكم: فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٥.
(٢) البلاذرى: فتوح البلدان ، ص ٢٧٤.
(٣) ابن عذارى: البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٦١.

رابعا: تمكنت هذه الثورات من تفريق وحدة بلاد المغرب ، مما جعل انتشار الإسلام داخل القارة واقفا على ما هو عليه فى هذه الفترة ، ولم يمتد جنوبا حتى يشمل أجزاء أخرى داخلها.

خامسا: لم يقف امتداد نشاط الثورة فى أنحاء بلاد المغرب فقط ، ولكنها امتدت أيضا إلى بلاد الأندلس على أثر علم البربر فى الأندلس بثورة أخوانهم فى المغرب على العرب.

سادسا: توجيه أنظار الخلافة الأموية إلى بلاد المغرب ، وسوء إدارة عمالهم هناك جعل عدم الإستقرار يسود هذا الجزء ، ويضيف عبء آخر كان لابد للخلافة الأموية أن تسارع بحله قبل فوات الأوان ، وإذا أرادت أن يكون بقائها طويلا ، وإلا فالنهاية سريعة.

سابعا: إن قيام أى ثورة من الثورات تقوم بهدف إصلاح شئ ما ، أو أى خلل ترى الثورة إصلاحه ، ولكن ثورات البربر فى إفريقية لم تصلح الأحوال التى قامت من أجلها ، ولا حتى ظل الوضع كما هو عليه ، ولكنه ازداد سوء ، وانفرط زمام الأمور فى إفريقية والمغرب ، وأصبحت كل منطقة فى وادى بعيدا عن الخلافة ، وخاصة فى نهاية العصر الأموى ، وبدأت تتضح بصورة جلية فى الفترة التى تلت هذا البحث.

ملخص رسالة البربر فى إفريقية فى العصر الأموى

بعد المقدمة ، والتمهيد ، استعرضت فى الفصل الأول "فتح العرب للمغرب" وقد استغرق هذا الفتح مدة طويلة بلغت أكثر من سبعين عاما ، وإنقسمت هذه الفترة إلى ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى: وهى مرحلة الإعداد للفتح ، والتمهيد له ، وتمتد من سنه ٢١هـ / ٦٤١م وحتى سنه ٥٠هـ/ ٦٧٠م بتوليه عقبه بن نافع ، وقد اتسمت هذه المرحلة بغزوات متعددة لكل من عمرو بن العاص ، وعبدالله بن سعد بن أبى سرح، ومعاوية بن جريح ، وكانت بمثابة مقدمة ، وتمهيد للفتح والإستقرار الدائم ، وتم فيها فتح بلاد كثيرة ، ولكن لم يستقر المسلمون فيها بل كانت الجيوش تعود مرة أخرى.

المرحلة الثانية: وتبدأ من تأسيس عقبة بن نافع لمدينة القيروان، وحتى قتله فى تهوذه سنه ٦٣هـ / ٦٨٢م وأنقسمت هذه المرحلة من الفتح الإسلامى لإفريقية فى العصر الأموى بالتوسع ، والإستقرار ، حيث تمكن عقبة من تأسيس مدينة القيروان التى أصبحت مقرا دائما ، ونقطة ارتكاز للمسلمين لمواصلة الفتوحات ، والإحتماء بها أثناء الخطر واتسمت أيضا هذه المرحلة بدخول أعداد كبيرة من البربر فى الإسلام ، ووصول عقبة أقصى بلاد البربر.

المرحلة الثالثة: وتبدأ من وفاه عقبة إلى نهاية ولاية حسان بن النعمان سنه ٨٦هـ/ ٧٠٥م وقد اتسمت هذه المرحلة بسمتين الأولى: سيطرة البربر بقيادة كسيلة على القيروان فى ولاية زهير بن قيس البلوى، السمة الثانية: فرض حسان بن النعمان سيطرته على الروم والبربر ، وقضائه على الكاهنة زعيمة البربر، ونشر الإسلام، والأمان بين البربر.

أما الفصل الثانى: "حالة البربر الساسية فى عصر ولاة بنى أمية" ، فقد اتسمت حالة البربر فى عصر ولاة بنى أمية بالتوسع ، والإستقرار نتيجة لاختلاف عقلية الولاة ، وبدأت بموسى بن نصير الذى كانت له اليد العليا، واستطاع إخضاع جميع قبائل المغرب الأقصى ، ودخل معظم البربر فى الإسلام ، واتجه جزء كبير

منهم إلى الأندلس مع جيش العرب ، ثم استمرت العلاقة الحسنة بين البربر ، وكل من محمد بن يزيد القرشى ، واسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر الذى أمده الخليفة عمر بن عبدالعزيز بمجموعة كبيرة من الفقهاء أثروا كثيرا فى قبائل البربر ، وغيروا كثيرا من المفاهيم الخاطئة لديهم ، ثم جاءت فترة أخرى اتسمت بعدم الإستقرار، وسوء العلاقة بين العرب ، والبربر بسبب قلة خبرة الوالى يزيد ابن أبى مسلم الذى ارتكب عدة أفعال أثارت البربر فقتلوه ، وهذه أول مرة يتجرأ فيها البربر على ولاة بنى أمية ، ثم استقرت الأمورفى ظل ولاية كل من بشر بن صفوان ، وعبيدة بن عبدالرحمن السلمى ، ثم ما لبثت أن تبدلت الأحوال فى ولاية عبيد الله بن الحبحاب ، وقام البربر بأول ثورة لهم على الحكم الأموى ، وتمكنوا من هزيمة العرب فى موقعة الأشراف سنة ١٢٢هـ/ ٧٣٩م ، وقد تمكن حنظلة بن صفوان من هزيمة البربر فى موقعة "القرن والأصنام" سنه ١٢٤هـ / ٧٤١م ثم أكمل عبدالرحمن بن حبيب الفهرى القضاء ، والسيطرة على هذه المناطق التى ثارت.

أما الفصل الثالث: "الحالة الإقتصادية لدى البربر فى العصر الأموى" ، فقد بينت أنه كان للبربر نشاطات اقتصادية متعددة منها: الزراعة الدائمة ، والزراعة الموسمية التى تعتمد على مياه الأمطار ، وكانت أهم زرعاتهم القمح ، والشعير، والزيتون ثم الحرفة الأولى للبربر الرعى ، حيث كان معظم إعتمادهم على صوف ، ولحوم ، وألبان الحيوانات ، وعلى رأسها الإبل ، والغنم ، كذلك بعض الصناعات سواء كانت معتمدة على الإنتاج الحيوانى ، أوالنباتى ، أو المعدنى ، وهذا النشاط أدى إلى نمو النشاط التجارى ، ونشأة الأسواق فى كل مكان ، وما يلزم هذه الأسواق من مقومات ، واحتياجات.

الفصل الرابع: "الحالة الإجتماعية لدى البربر فى العصر الأموى" ، كانت السمة المميزة للبربر فى حياتهم الإجتماعية النظام القبلى الذى يعتمد على تماسك القبيلة ، واتسمت الحالة الإجتماعية عند البربر بالتعدد ، حيث كان يوجد إلى جانب القبائل الكبرى ، والصغرى عدد من الأقليات مثل الروم ، والأفارقة ، والنصارى وغيرهم ، وقد لعبت العصبية دورا كبيرا فى تماسك النظام القبلى ، وساعد العرب

فى نشر العادات ، والتقاليد الإسلامية داخل هذا المجتمع ، كما استطاع المسلمون نشر معظم مبادئ الدين الإسلامى بين مجتمع البربر فى العصر الأموى.

الفصل الخامس: "انتشار الإسلام ، واللغة العربية بين البربر" وقد اتضح فى هذا الفصل الدور الكبير الذى قام به المسلمون الفاتحون فى نشر مبادئ الإسلام ، وقواعد اللغة العربية بين قبائل البربر المختلفة، وقد سلك المسلمون عدة طرق كانت جديرة بإقبال قبائل البربر على الدين الإسلامى منها المعاملة الحسنة، والقول اللين هذا إلى جانب استخدام الكتاب ، والخيمة ، والرباط ، والزاوية فى التعليم.

الفصل السادس: "ثورات البربر فى العصر الأموى": وقد تبين فى هذا الفصل أسباب هذه الثورات ، حيث تعددت ما بين أسباب اقتصادية ، واجتماعية ، وعنصرية ، وسياسية ، واتضح فى هذا الفصل دور الخوارج فى هذه الثورات ، وقد ألقت هذه الثورات الضوء على معاملة بعض ولاة إفريقية من قبل الخلافة الأموية للبربر، وأثرها فى قيام هذه الثورات ، ودور بعض زعماء البربر فى هذه الثورات ، وتصميم الخلافة الأموية على التصدى لهذه الثورات مهما كان الثمن حتى تم القضاء عليها ، وإقرار الأمور ، والنظام فى هذه البلاد حتى أصبحت جزءا لا يتجزأ من دولة الإسلام الكبرى.

الخاتمة

الخاتمة

هذا هو شعب البربر فى العصر الأموى ، وأوجز فى النهاية أهم ما توصلت إليه من نتائج فى هذا البحث:

١- نشأت قبائل البربر فى شمال القارة الإفريقية منذ أقدم العصور، وتركز وجودهم بصفة خاصة فى المنطقة الواقعة بين برقة فى دولة ليبيا المجاورة لمصر، وحتى مدينة طنجة فى دولة المغرب، دخلوا هذه المنطقة من حوض البحر المتوسط عن طريق مجموعتين: **الأولى** استقرت فى الساحل الشمالى حيث مال لونها إلى البياض ، **الثانية** استقرت فى الجنوب حيث مال لونها إلى السواد.

٢- إن لفظ البربر أطلقه الإغريق ، والرومان على من لا يتكلم لغتهم ، وقد أخذها العرب عنهم، وتطلق فى الوقت الحالى على أى شعب يقوم بأعمال متوحشة ، أو همجية ، لكن البربر لا يطلقون هذه التسمية على أنفسهم ، بل يعرفون بأسماء شعوبهم ، وقبائلهم.

٣- إن البربر لهم أصول حامية ، وسامية ، وقد ساعد موقعهم الجغرافى على كثرة عدد الوافدين عليهم على مر التاريخ كالوندال ، والفنيقيين ، والرومان ، ثم العرب الذين استقروا ، وامتزجوا بشعب البربر فنتج عن ذلك شعب عربى بربرى مسلم بصفة عامة ، وكثر عنصر المولدين من الجنسيين.

٤-بالرغم من أن قبائل البربر تعتبر جنسا واحدا ، إلا أنها تنقسم اجتماعيا إلى قسميين رئيسيين برانس ، وبتر ، ويتفرع منهما قبائل عديدة، وقد تصل القبيلة فى بعض الأحيان إلى أكثر من عشرين فرعا.

٥- انتشر بين البربر عبادة النار ، والمجوسية ، والوثنية ، هذا إلى جانب المسيحية ، واليهودية إلا أن إنتشارهما كان ضعيفا ، بسبب عدم اهتمام القائمين عليها ، وعلى الرغم من انتشار المسيحية بصورة أوسع من اليهودية ، إلا أنها لم تصل إلى حد القوة التى تعوق نشر الإسلام ، حيث أنها لم يبقى لها أثر يذكر فى هذه المنطقة بعد دخول الإسلام.

١٤- أن العرب قد ركزوا جهودهم فى نشر الإسلام ، فلما نجحوا فى ذلك طلب البربر المزيد من المعرفة من العرب عن بقية شئون حياتهم اليومية ، وقد أدت هذه السياسة إلى دخول كثير من البربر فى الإسلام ، حيث وجدوا ما ينشدون من حرية ومساواة ، وهذا يفسر سر إقبال البربر على الجهاد فى سبيل الله ، ودورهم الكبير فى فتح الأندلس.

١٥- تم فى عهد خلفاء الدولة الأموية إنشاء عدة مدن عربية إسلامية كالقيروان ، وتونس ، وهى مدن مختلفة فى التكوين والنشأة عن المدن ، الفينيقية والبيزنطية ، مما كان له أثر كبير فى تغير شكل وتكوين المدن التى قامت بعد ذلك.

١٦- إن اتهام كثير من المؤرخين والدارسين لخلفاء بنى أمية بعزل القادة البارزين فى دولتهم خوفا من نفوذهم ، والخليفة سليمان بن عبدالملك الذى عزل أشهر قواده فى المغرب والأندلس ، وهو موسى بن نصير بعد أن اتهم بعدة تهم منها الخيانة وجمع الثروات الطائلة ، هذا إلى جانب اضمار الخليفة سليمان الحقد والكراهية لموسى ، لا تثبت أمام النقد والتحليل ، ولا تتفق مع أقدار هؤلاء الخلفاء والقادة العظام الذين ساهموا فى نشر الإسلام فى كثير من أرجاء العالم.

١٧- استطاع موسى بن نصير فى وقت قصير من أن يضع الثقة فى البربر، فبدأ بخطوة تعتبر فريدة من نوعها فى العصر الأموى ، وهى تعيين أحد البربر قائدا عاما للجيش الفاتح للأندلس ، "وهو طارق بن زياد".

١٨- إن التهم الموجهة إلى عبيد الله بن الحبحاب ، ومنها قتل النعاج ، واستخراج أجنتها لأخذ جلودها العسلية ، وإهدائها للخليفة الأموى هشام بن عبدالملك ، قد تناقضت فيها أقوال المؤرخين، وأنه على فرض حدوث مثل هذا التصرف ، فهو تصرف فردى لا يمكن أن نعممه على جميع الولاة الذين ولوا إفريقية ، ولا على جميع خلفاء بنى أمية.

١٩- أن طبيعة بلاد البربر كان لها تأثيرها على المجتمع البربرى من حيث ، وجود الجبال ، وتسببها فى سقوط المطر الذى يستخدم فى عملية الزراعة ، والرعى ، وأنواع التربة الزراعية، وملكية الأرض ، وأوضاع الفلاحين.

٢٠- أن النشاط الصناعى كان محدودا لدى البربر أثناء ، وقبل دخول الأمويين نظرا لطبيعة بلادهم ، وأن كثيرا من الصناعات التى وجدت لديهم كانت محدودة.

٢١- كان للأمويين اهتمام بالأسواق ، وتنظيمها وخاصة الخليفة هشام بن عبدالملك الذى أمر عامله ابن الحبحاب بتنظيم ، وتوسيع الأسواق فى إفريقية.

٢٢- حاول حسان بن النعمان فرض هيبة الدولة الأموية ، وإشعار البربر بقوتها ، فقام بإصلاحات كبيرة ، منها تعديل فى العملة ، وتغير الشعار الموجود عليها بما يتناسب مع قوة الدولة الأموية.

٢٣- أن العصبية القبلية الموجودة لدى البربر قد أدت إلى عدم اتحادهم أمام العرب ، مما سهل على العرب فتح بلادهم ، واستقرارهم فيها ، وبالرغم من ذلك فقد مكث العرب أكبر مدة من الزمن استغرقها فتح بلد من البلدان، وضمها إلى الدولة الإسلامية ، نظرا لطبيعة البربر وطبيعة بلادهم.

٢٤- كانت هناك مظاهر كثيرة للتشابه بين العرب والبربر، وكان لهذا دوره فى الاندماج السريع بين الشعبين ، مما سهل مهمة الولاة فى العصر الأموى ، وسهل نقل كثير من العادات والتقاليد العربية، ومظاهر الحياة الإجتماعية الإسلامية إلى قبائل البربر فى وقت قصير.

٢٥- لعب الصحابة ، والتابعون الذين دخلوا إفريقية دورا هاما فى نشر الإسلام ، وتعليمهم اللغة العربية عند قبائل البربر خلال مرحلة الفتح الطويلة ، وبعد اتمام الفتح من خلال عدة مؤسسات منها المكاتب ، والأربطة ، والزوايا وغيرها.

٢٦- أن دخول الإسلام إلى البربر ألغى نظام القبيلة بينهم، كما ألغى تقسيم البربر إلى برانس وبتر ، فأصبح للبربر كيان متحد داخل نظام حكومى موحد داخل الإمة الإسلامية.

٢٧- أصبح للبربر بعد دخولهم الإسلام دور ، وتأثير فى كثير من مناحى الحياة فى الدولة الإسلامية فى العصر الأموى ، وغيره ، بعد أن كانوا أمة تتداعى عليها كل من اليونان ، والرومان وغيرهم من الذين احتلوهم.

٢٨- أن ضغط الخلافة الأموية على الخوارج فى المشرق قد أدى إلى لجوء عدد كبير منهم إلى إفريقية ، فتوغلوا داخل الصحراء، وفى الأماكن البعيدة ، وكان لهم دورهم فى نشر الإسلام ، واللغة العربية إلى جانب الدعوة لمذهبهم.

٢٩- أدت ثورات البربر فى العصر الأموى إلى جذب اهتمام الخلفاء إلى هذا الجزء من الدولة الإسلامية ، وما يحدث فيه ، مما أدى إلى استقرار الأمور فيه شيئا فشيئا ، وزيادة انتشار الإسلام ، واللغة العربية.

٣٠- رفض البربر المعاملة السيئة التى لاقوها من بعض ولاة بنى أمية عليهم مثل يزيد بن أبى مسلم، وعبيد الله بن الحبحاب ، بعد ما نعموا بنسيم الحرية ، ومبادئ المساواة ، والحق والعدل ، وهذا يوضح نتيجة هامة لثورة البربر، أن هذه الثورة ليست على مبادئ الدين الإسلامى ، لكن على بعض الولاة الذين يطبقوا مبادئ هذا الدين الحنيف فى حكم هذا الشعب.

المصادر والمراجع والدوريات

الباحث

المخطوطات المصادر القديمة

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات

١- **التمادتمرى:** طيبفا الجركلمش التمادتمرى. *الفلاحة المنتخبة* - مخطوطة بدار الكتب القومية ، رقم ٢٢ ، زراعة ، ميكروفيلم ٤٥٠٣٦.

٢- **الحكيم غسطوس:** *الفلاحة الرومية* ، مخطوطة بدار الكتب القومية ، رقم ٣٣ ، ميكرو فيلم ٤٢١٧٤.

٣- **الغزى:** رضى الدين رضى الدين الغزى. *كتاب الفلاحة* ، مخطوطة بدار الكتب القومية ، رقم ٢٤٢ زراعة خليل أغا ، ميكروفيلم ٤٢١٩.

٤- ابن فضل العمرى : أحمد محيي بن فضل الله بن المجلى بن دعجان بن خلف ابن نصر القرشي العدوى ، العمرى ، الدمشقى . ت ٧٠٠- ٧٤٩هـ / ١٢٩٩/١٣٤٩م ، *مسالك الأبصار فى أخبار ملوك الأمصار* ، مخطوطة *بدار الكتب المصرية ، الرمز معارف عامة ٥٦٠ ميكروفيلم رقم ٥٢٦٥٠.*

٥- **مجهول:** *ذكر من أسس مدينة فاس* ، مخطوطة بدار الكتب القومية ، الرمزح ميكروفيلم ١٠٩٨٨.

٦- **مجهول:** *رسالة فى الجغرافيا*، مخطوطة بدار الكتب القومية ، رقم ١٩٤٩ الرمز ، ط ، ميكروفيلم ٤٢٨٠٥.

٧- **مجهول:** *عقد الجواهر فى نسب البربر*، مخطوطةبدار الكتب القومية ، رقم ٥٦٦ تاريخ تيمور، ميكروفيلم ٢٧٤١٧.

٨- **المغربى:** محمد الشطبى المغربى. *الجمان فى أخبار الزمان* ، مخطوطة بدار الكتب القومية ، رقم ١٤١٦ تاريخ ميكروفيلم ١٤١٩٧.

٩- **ابن الوردى:** أبو عبدالله عمر بن مظفر بن عمر المصرى الشهير بابن الوردى ت.٧٥هـ/١٣٤٩م ، *خريدة العجائب وفريدة الغرائب* ، مخطوطة بدار الكتب القومية ، رقم ٤٧٥ جغرافيا طلعت ، ميكروفيلم ١٩٥٢١.

ثانياً: المصادر القديمة

١- **ابن الآبار:** أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبى بكر القضاعى، المعروف "بابن الآبار" ت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م: ***"الحلة السيراء"*** ، الجزء الأول ، تحقيق حسين مؤنس ، الطبعة الأولى عام ١٩٦٣م.

٢- **الباجى:** أبو عبدالله محمد الباجى السعودى ت ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م : ***الخلاصة النقية فى أمراء إفريقية***،الطبعة الثانية سنة ١٢٨٣هـ ، تونس.

٣-**البغدادى:** أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادى ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م:
الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناحية منهم ، تحقيق محمد بدر، مطبعة المعارف الفجالة بدون تاريخ ، بمصر .

٤- **البكرى:** أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكرى ت ٤٨٧هـ/ ٩٨٩م: ***المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب*** ، وهو جزء من الكتاب المعروف بالمسالك والممالك ، عام ١٩١١م طبعة الجزائر.

٥- **البلاذرى:** أحمد بن يحيى بن جابر المعروف "بالبلاذرى" ت ٢٧٩هـ/ ٨٨٩م:
"فتوح البلدان ، القسم الأول ، تحقيق د/ صلاح الدين المنجد ، مطبعة لجنة البيان العربى لاظوغلى.
*- ***أنساب الأشراف*** ، الجزء الأول ، تحقيق د/ محمد حميدالله، سنة١٩٥٩م دار المعارف ، مصر.

٦- **التجانى:** أبو محمد عبدالله بن محمد بن أحمد التجانى ، قام بالرحلة ٦٧٠-٦٧٥هـ / ١٢٧٢- ١٢٧٦م: ***رحلة التجانى*** ، قدم لها حسن حسنى عبدالوهاب ، سنة ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م المطبعة الرسمية ، تونس.

٧- **ابن تغرى بردى:** جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى ألاتابكى ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م: ***النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة*** ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م.

٨- **التميمى:** أبو حاتم محمد حبان بن أحمد التميمى ت ٣٥٤هـ / ٩٦٥م: ***مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الاقطار***، حققه مرزوق على ابراهيم ، الطبعة الأولى سنة١٤١١هـ/١٩٩١م ، دار الوفاء للطباعة ، المنصورة.

٩- **ابن الأثير:** أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيبانى "المعروف بابن الأثير" ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م: ***الكامل فى التاريخ*** ،الجزء الثالث،الطبعة السادسة ، سنة١٤٠٦ هـ/١٩٨٦م، بيروت.

*- ***أسد الغابة فى معرفة الصحابة*** ، الجزء الرابع ، تحقيق محمد ابراهيم البنا ، محمد أحمد عاشور، محمود فايد ، كتاب الشعب بدون تاريخ ، القاهرة.

١٠-**الجربى:** محمد أبو راس الجربى (ت بعد سنه١٢٢٢هـ/ ١٨٠٦م): ***مؤنس الأحبة فى جربه*** تحقيق محمد الرزوقى،سنة١٩٦٠م،تونس.

١١- **الجزنائى:**أبو الحسن على الجزنائى ت أواخر القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى.

زهرة الآس فى بناء مدينة فاس سنة١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م الجزائر.

١٢- **ابن حزم:** أبو محمد على بن سعيد بن حزم الأندلسى ت ٤٥٦هـ/ ٨٦٣م: ***جمهرة أنساب العرب*** ،الطبعة الخامسة ، سنة ١٩٨٢م ، دار المعارف ، مصر.

١٣- **الحسن الوزان:** جان ليون الإفريقى "الحسن بن محمد الوزان الزياني" ***وصف إفريقية*** ، ترجمة د/ عبدالرحمن حميدة ، مراجعة د/ على عبدالواحد ، سنة ١٣٩٩م، طبعة الرياض.

١٤- **الحميرى:** محمد بن عبدالمنعم الحميرى ت ٨٦٦هـ / ١٤٦٣م: ***الروض المعطار فى خبر الأقطار*** ، تحقيق إحسان عباس ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٤م، لبنان.

١٥ **ابن حوقل:** أبو القاسم محمد بن على بن حوقل النصيبى البغدادى ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م: ***صورة الأرض*** ، بدون تاريخ ، بيروت .

١٦- **ابن الخطيب:** لسان الدين محمد بن عبدالله بن الخطيب ٧١٣- ٧٧٦هـ/ ١٣١٣- ١٣٧٤م: ***تاريخ المغرب العربى*** "أحوال المسلمين الخارجين من الأندلس" سنة١٩٩٠م، باريس.

١٧- **الخطيب البغدادى:** ***تاريخ بغداد أو مدينة السلام*** ، الجزء الثالث عشر ، الطبعة الأولى، سنة١٩٣١م، القاهرة.

١٨- **ابن خلدون:** عبدالرحمن بن خلدون المغربى ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م: ***المقدمة*** المطبعة التجارية الكبرى ، بدون تاريخ.
****- العبر وديوان المبتدأ والخبر ، فى أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر*** الجزء السادس ، القسم الأول ، دار الكتاب اللبنانى، سنة١٩٨١م ، بيروت.

١٩- **خليفه بن خياط:** ***تاريخ خليفه بن خياط*** ، تحقيق د/ اكرم ضياء العمرى ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ ، بيروت .

٢٠- **ابن خرداذبه:** أبو القاسم عبدالله بن أحمد بن خردابه ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م: ***المسالك والممالك*** ، بدون تاريخ ، طبعة ليدن .

٢١- **ابن خلكان:** شمس الدين أبى العباسى أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان ت ٦٨١هـ- ١٢٨٢م: ***وفيات الأعيان وأبناء ابناء الزمان*** ، الجزء الأول ، سنة ١٢٧٥هـ القاهرة.

٢٢- **الدباغ:** عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله الأنصارى "المعروف بالدباغ" ت ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م أو ٨٣٧هـ/ ٣٣- ١٤٣٤م
معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان ، الجزء الأول، سنة١٩٦٨م، مصر.

٢٣- **أبو عبدالله محمد بن محمد بن ادريس الحمودى المعروف "بالشريف الإدريسى"** من علماء القرن السادس الهجرى :
صفه المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق ، سنة ١٨٩٤م ليدن
*- ***نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق*** ، مكتبة الثقافة الدينية ، بدون تاريخ ، القاهرة .

٢٤- **ابن أبى دينار:** محمد بن أبى القسم الرعينى القيروانى المعروف "بابن أبى دينار" ت ١١١٠هـ/ ١٧٠٧م؛١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م
المونس فى أخبار لإفريقية وتونس ، سنة١٣٥٠هـ مطبعة النهضة، تونس.

٢٥- **الذهبى:** الحافظ شمس الدين الذهبى ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م:
دول الإسلام ، الجزء الأول ، والثانى ، طبعة قطر، سنة١٩٨٨م، قطر.

٢٦- **الإربلى:** عبدالرحمن سنبط فينتو الإربلى ت ٧١٧هـ/ ١٣١٤م:
خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ، علق عليه وضبطه ، مكى السيد جاسم ، بدون تاريخ ، بغداد .

٢٧- **الرقيق القيروانى:** أبو اسحاق ابراهيم بن القاسم "ت فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى الحادى عشر الميلادى"

تاريخ إفريقية والمغرب ، قطعة من أواسط القرن الأول الهجرى، إلى أواخر القرن الثانى الهجرى ، تحقيق المنجى الكعبى ، سنة ١٩٦٨م ، تونس.

٢٨- **ابن أبى زرع:** أبو الحسن على بن عبدالله بن أبى زرع الفاسى ت ٧٢٠هـ/١٣١٤م:
الأنيس المطرب روض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، تحقيق محمد الهاشمى الفيلالى ، سنة١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م ، الرباط ، المغرب.

٢٩- **الزركلى:** خير الدين الزركلى:
الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين ، الطبعة السابعة ، سنة ١٩٨٦م، دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان.

٣٠- **الزهرى:** أبو عبدالله محمد بن أبى بكر الزهرى "أواسط القرن السادس الهجرى"
كتاب الجغرافيا ، تحقيق محمد حاج صادق ، بدون تاريخ.

٣١- **السقطى:** أبو عبدالله محمد بن أبى محمد المالقى الأندلس :
كتاب فى آداب الحسبة ، نشر كولان ، وليفى بروفنسال ، بدون تاريخ.

٣٢- **السيوطى:** الحافظ جلال الدين بن عبدالرحمن ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م
حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، الجزء الثانى ، سنة١٢٩٩هـ مطبعة ادارة الوطن ، مصر.
*- ***تاريخ الخلفاء*** ، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ، سنة١٩٨٩م، بيروت.

٣٣- **الشهرستانى:** أبو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستانى ت ٥٤٨هـ/ ١١٤٧م:

الملل والنحل ، هامش كتاب الفصل فى الملك والنحل والأهواء ، لأبى حزم ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣١٧هـ القاهرة.

٣٤- **أبو طالب الأنصارى:** شمس الدين أبى عبدالله محمد أبى طالب الأنصارى ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م: ***نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر*** ، سنة١٢٨١هـ/ ١٨٦٥م مطبعة الأكادمية الأمبراطورية.

٣٥- **الطبرى:** أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م: ***جامع البيان عن تأويل آل القرآن*** ، حققه وخرج أحاديثه محمود محمد شاكر، راجع أحاديثه أحمد محمد شاكر ،سنة١٩٥٧م، دار المعارف، مصر.
*- **تاريخ الرسل والمملوك** ، الجزء الرابع ، والخامس ، والسادس ، الطبعة الرابعة ، سنة ١٩٧٩مدار المعارف ، مصر.

٣٦- **ابن عبدالحكم:** أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم بن أعين القرشى المصرى ت ٢٥٧هـ/ ٨٧١م:
فتوح مصر وأخبارها ، طبعة ليدن ، سنة١٩٢٠م.
*- فتوح مصر والمغرب ، بدون تاريخ ، طبعة ليدن.

٣٧-**العبدرى:** أبو عبدالله محمد بن محمد بن على بن أحمد بن مسعود البنسلى ، قام برحلته ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م رحلته المسماه ***بالرحلة المغربية*** ، تحقيق محمد الفاسى سنة١٩٦١م، الرباط.

٣٨- **ابن عبدون:** محمد بن أحمد بن عبدون التجيبى: ***رسالة ابن عبدون فى القضاء والحسبة*** ، نشرها ليفى بروفنسال، ضمن ثلاث رسائل أندلسية سنة١٩٥٥م مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للأثار الشرقية ، القاهرة.

٣٩- **أبو العرب:** أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم القيروانى ت ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م:

طبقات علماء إفريقية وتونس ، تحقيق على الشابى ، نعيم حسن اليافى ، سنة ١٩٦٨م، تونس.

٤٠- **عبدالواحد المراكشي:** مجي الدين بن محمد بن علـى ت ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م:
المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان، ومحمد العربى ، سنة ١٩٤٩م، مطبعة الإستقامة ، القاهرة.

٤١- **ابن عذارى:** أبو عبدالله محمد المراكشى (ت فى أواخر القرن السابع الهجرى):
البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق كولان ، ليفى بروفنسال ، سنة ١٩٤٨م بيروت ، لبنان.

٤٢- **ابن عطية:** أبو محمد عبدالحق بن عطية الأندلسى:
المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ، الجزء الخامس ، تحقيق عبدالله بن ابراهيم الأنصارى والسيد عبدالعال السيد ابراهيم ، الطبعة الأولى ، رجب ١٤٠٣هـ/ أبريل ١٩٨٣م ، الدوحة.

٤٣- **أبو الفداء:** الملك المؤيد أبو الفدا اسماعيل صاحب حماه ت ٧٣٤هـ/ ١٣٢٧م:
تاريخ أبو الفداء د.م ، د.ن ، سنه ١٩٣٥م.
*- ***تقويم البلدان*** ، سنة ١٨٥٠م طبعة باريس ، مكتبة المثنى بغداد، ومؤسسة الخارجى مصر.

٤٤- **ابن الفقيه:** أبو بكر أحمد بن محمد الهمدانى "المعروف بابن الفقيه" أواخر القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى:
مختصر *كتاب البلدان* ، سنة ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م ، طبعة ليدن.

٤٥- **ابن قتيبة الدينورى:** أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م:
الإمامة والسياسة ، تحقيق محمد الزينى ، سنة ١٩٦٧م، القاهرة.

٤٦- **القلقشندى:** أبو العباس أحمد بن على القلقشندى ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م:
صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء ، الجزء الخامس ، سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م ، طبع بالمطبعة الأميرية ، القاهرة.

٤٧- **ابن قنفذ:** أبو العباس أحمد بن حسن بن على بن الخطيب "الشهير بابن قنفذ القسنطيني" ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٧م:
الوفيات ، تحقيق عادل نويهض ، الطبعة الأولى سنة١٩٧١م، بيروت.

٤٨- **ابن القوطية:** أبو بكر محمد بن عمر "المعروف بابن القوطية" ت ٣٦٧هـ/ ٩٨٠م: ***تاريخ افتتاح الأندلس*** ، تحقيق ابراهيم الإبيارى ، سنة١٩٨١م، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة.

٤٩- **الكرخى:** أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفاسى الإصطخرى "المعروف بالكرخى" ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٩م:
مسالك الممالك ، سنة ١٩٦٧م، ليدن.

٥٠- **الكندى:** أبو عمر محمد بن يوسف الكندى المصرى ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م:
الولاة وكتاب القضاة ، تحقيق رفن كست ، طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين، سنه ١٩٠٨م بيروت.

٥١- **الكوفى:** أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفى (ت ٣١٤هـ/ ٩٢٦م):
كتاب الفتوح ، الجزء الثانى ، الطبعة الأولى ، مطبعة دار الندوة، بدون تاريخ ، بيروت.

٥٢- **مجهول:** ***أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم*** ، مكتبة المثنى ، بدون تاريخ ، بغداد .

٥٣- **مجهول:** ***الإستبصار فى عجائب الأمصار***، تحقيق سعد زغلول عبدالحميد ، سنة١٩٥٨م جامعة الإسكندرية.

٥٤- **المالكى:** أبو بكر عبدالله بن أبى عبدالله المالكى ت فى منتصف القرن الخامس الهجرى: الحادى عشر الميلادى :
رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وإفريقية، تحقيق حسين مؤنس ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٥١م القاهرة.

٥٥- **الماوردى:** على بن محمد بن حبيب ت ٤٥٠هـ/ ١٠٩٨م
الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، سنة ١٩٧٨م القاهرة.

٥٦- **المراكشى:** عبدالواحد بن على ت ٦٦٩هـ/ ١٢٧١م:
المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، حققه وعلق على حواشيه محمد سعيد العريان ، ومحمد العربى العلمى،الطبعة الأولى ، سنة١٩٤٩م، القاهرة.

٥٧- **المسعودى:** أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م:
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، سنة١٣٤٦هـ ، مصر.

٥٨- **المقدسى:** شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبى بكر البشارى ت ٣٨٧هـ أو ٣٩٠هـ/ ٩٩٧م أو ١٠٠٠م:
أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، الطبعة الثانية ،سنة١٩٠٦م، القاهرة.

٥٩- **المقرى:** أحمد بن محمد المقرى التلمسانى ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م:
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، الجزء الثالث ، نشر أحمد رفاعى ، سنة ١٩٣٦م القاهرة.

٦٠- **الناصرى:** أبو عباس أحمد بن خالد الناصرى السلاوى ت ١٣١٥هـ/ ١٨٩٨م:
الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر الناصر ومحمد الناصر ، الجزء الاول ، سنة١٩٥٤م، الدار البيضاء.

٦١- **النويرى:** شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويرى ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م: ***نهاية الأرب فى فنون العرب*** ، الجزء الرابع والعشرين ، تحقيق د/ حسين نصار ، مراجعه د/ عبدالعزيز الاهوائى ، سنة١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، إصدار المجلس الأعلى للثقافة ، بالإشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٦٢- **الونشريسى:** أحمد بن يحى الونشريسى: ت ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م ***المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب***، تحقيق محمد هجى ، وآخرون سنة١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، دار الغرب الاسلامى ، بيروت.

٦٣- **ياقوت:** شهاب الدين أبى عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى الرومى البغدادى ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م:
معجم البلدان ، تحقيق فريد عبدالحميد الجندى ، الطبعة الأولى ، سنة١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م ، بيروت.

٦٤- **اليعقوبى:** أحمد بن أبى يعقوب بن واضح "المعروف باليعقوبى" ت ٢٨٤هـ/ ١٨٩٧م: ***كتاب البلدان*** ، سنة١٨٩٥م، ليدن.

ثالثاً: المراجع الحديثة العربية والمترجمة

١- **ابراهيم حركات:** المغرب عبر التاريخ ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م ، دار السلمى ، الدار البيضاء.

٢- **د/ ابراهيم زرقان:** العائلة البشرية ، مكتبة الآداب بالجماميز، بدون تاريخ.

٣- **د/ ابراهيم شعوط:** أباطيل يجب أن تحمى من التاريخ ، بدون تاريخ.

٤-**د/ ابراهيم على طرخان:** امبراطورية البرنو الإسلامية ، سنة ١٩٧٥م، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة.

٥- د/ **أحمد السعيد سليمان:** تاريخ الدول الإسلامية ، ومعجم الأسر الحاكمة ، دار المعارف ، بدون تاريخ ، مصر .

٦- **أحمد أمين:** ظهر الإسلام ، الجزء الأول ، سنة ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م القاهرة.

٧- د/ **أحمد سوسه:** العرب واليهود فى التاريخ ، الطبعة السادسة ، بدون تاريخ، دمشق .

٨- د/ **أحمد سويلم العمرى:** الإفريقيون والعرب ، سنة ١٩٦٧م مكتبة الأنجلو المصرية.

٩- د/ **أحمد شلبى:** تاريخ التربية الإسلامية ، الطبعة الثانية سنة ١٩٦٠م ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة.

*- موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، الجزء الرابع ، الطبعة الخامسة ، سنة١٩٧٩م ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة.

*- موسوعة النظم والحضارة الإسلامية والمجتمع الإسلامى، الطبعة الرابعة ، سنة ١٩٧٤م ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة.

١٠- **أحمد صقر:** مدينة المغرب العربى فى التاريخ ، الجزء الأول ، سنة ١٩٥٩م، تونس .

١١- **أحمد فكرى:** مسجد القيروان ، سنة ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م ، مطبعة المعارف ، مصر.

١٢- **أحمد عطية الله:** القاموس الإسلامى سنه ١٩٦٣م ، الناشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة.

١٣- د/ **أحمد مختار العبادى:** دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، بدون تاريخ ، اسكندرية .

١٤- **د/ السيد عبدالعزيز سالم:** تاريخ المغرب الكبير ، الجزء الثانى ، ١٩٦٦م، ملتزم الطبع والنشر ، الدار القومية للطباعة والنشر.

*- التاريخ السياسى والحضارة للدولة العربية ، بدون تاريخ، بيروت .

*- تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، "من الفتح العربى حتى سقوط الخلاف بقرطبة" ، بدون تاريخ ، اسكندرية .

*- تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ ، اسكندرية .

١٥- **أمين سامى باشا:** تقويم النيل ، سنة ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م ، القاهرة.

١٦- **انتونى سلاوى:** الجغرافيا الإجتماعية لإفريقية ، ترجمة د/ ابراهيم أحمد رزقانه ، محمد جمال الدين رزقانه ، الناشر دار النهضة العربية ، بدون تاريخ ، مصر .

١٧- **باذل دافدس:** إفريقية تحت أضواء جديدة ، ترجمة جمال محمد ، دار الثقافة، بدون تاريخ ، بيروت .

١٨- **د/ بدوى عبداللطيف:** النظام المالى الإسلامى المقارن ، سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ، مطابع الأهرام التجارية ، مصر.

١٩- **توماس أرنولد:** الدعوة إلى الاسلام ، الطبعة الثالثة ، بدون تاريخ.

٢٠- **د/ جلال يحيى وآخر:** مشكلات الأقليات فى الوطن العربى ، سنة١٩٨٠م، دار المعارف ، مصر.

٢١- **جورج يعقوب:** أثر الشرق فى الغرب فى العصور الوسطى ، ترجمة د/ فؤاد حسنين على ، سنة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م ، القاهرة.

٢٢- **جوستان لوبون:** حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، مطبعة عيسى الحلبى ، بدون تاريخ، القاهرة .

٢٣- **د/ حسن ابراهيم حسن:** تاريخ الإسلام السياسى ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة عشر ، سنة ١٩٩١م ، بيروت والقاهرة.
*- النظم الإسلامية بالإشتراك مع على ابراهيم حسن، سنة١٩٧٠م مطبعة النهضة المصرية ١٩٩١م بيروت ، القاهرة.
*- انتشار الاسلام فى القارة الإفريقية ، الطبعة الثانية، سنة١٩٦٤م، مطبعة النهضة العربية، مصر.

٢٤- **د/ حسن أحمد محمود:** الإسلام والثقافة العربية بإفريقية، الجزء الأول ، سنة ١٩٦٣م ، دار النهضة العربية.

*- قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب فى العصور الوسطى ، سنة١٩٥٧م، القاهرة.

٢٥- **د/ حسن الباشا:** دراسات فى الحضارة الإسلامية ، سنة ١٩٧٥م، دار النهضة العربية ، القاهرة.

*- الفنون الإسلامية ، الجزء الثانى ، سنة١٩٧٥م، القاهرة.

٢٦- **د/ حسن سليمان محمود:** ليبيا بين الماضى والحاضر ، الناشر مؤسسة سجل العرب ، بدون تاريخ، القاهرة .

٢٧- **حسن حسنى عبدالوهاب:** ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية ، الجزء الأول سنة١٩٦٤م،الجزء الثانى سنة١٩٦٦م،مكتبة المنار، تونس.
*- شهيرات التونسيات ، بحث تاريخى أدبى من الفتح الإسلامى إلى الزمان الحاضر سنة ١٣٥٣، تونس.
*- بساط العقيق فى حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق ، الطبعة الثانية ، سنة١٣٣٠هـ/ ١٩٧٠م تونس.

٢٨- **د/ حسين مؤنس:** عالم الإسلام ، سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م ، الزهراء للإعلام العربى.

*- فتح العرب للمغرب ، الناشر مكتبة الآداب بالجماميز، بدون تاريخ،مصر.
*- معالم تاريخ المغرب والأندلس ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٠م، مصر.

٢٩- **خيولو كولاى:** دراسة سلالات إفريقية ، ترجمة نجيب أبو ملهم ، سنة١٩٤٨م، تطون.

٣٠- **د/ رشيد الناضورى:** تاريخ المغرب الكبير ، الجزء الأول ، سنة ١٩٦٦م، ملتزم الطبع ، والنشر ، الدار القومية للطباعة والنشر.

٣١- **رينهات دوزى:** تاريخ مسلمى أسبانيا ، الجزء الأول ، ترجمة د/ حسن حبشى ، مراجعة د/جمال محرز ، د/مختار العبادى ، سنة١٩٦٣م، دار المعارف ، مصر.

٣٢- **زامباور:** معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى ، الجزء الأول ، ترجمة زكى حسن ، وحسن محمود ، سنة١٩٥١م، القاهرة.

٣٣- **د/ زاهر رياض:** شمال إفريقية فى العصور الوسطى ، سنة١٩٨١م، القاهرة.

٣٤- **د/ سعد زغلول عبدالحميد:** تاريخ المغرب العربى من الفتح إلى بداية عصور الإستقلال ، الجزء الأول سنة ١٩٦٥م ، اسكندرية.

٣٥- **د/ سنوسى يوسف ابراهيم:** زنانه والخلافة الفاطمية ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٦م ، مطبعة سعيد رأفت ، جامعة عين شمس.

٣٦- **سيد أمير على:** مختصر تاريخ العرب ، ترجمة عفيفى البعلبكى ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٦١م، بيروت.

٣٧- **د/ شكرى فيصل:** المجتمعات الإسلامية فى القرن الهجرى نشأتها مقومات تطورها اللغوى الأولى ، سنة ١٣٣١هـ / ١٩٥٢م ، القاهرة.

*- حركة الفتح الإسلامى فى القرن الأول الهجرى ، الطبعة الأولى ، سنه١٩٥٢م ، دار العلم للملايين ، بيروت.

٣٨- **د/ ضياء الدين الريس:** عبدالملك بن مروان موحد الدولة العربية حياته عصره ، بدون تاريخ.

٣٩- **الطاهر الزاوى:** الطاهر أحمد الزاوى الطرابلسى..تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٦٣م، دار المعارف ، مصر.

٤٠- **الأطلس العربى:** وزارة التربية والتعليم طبعة سنة ١٩٨٩مالقاهرة.

٤١- **د/ طه عبدالعليم رضوان:** جغرافيا العالم الإسلامى ، سنة١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، بدون مكان.

٤٢- **د/ عبدالشافى عبداللطيف:** العالم الإسلامى فى العصر الأموى ، الطبعة الأولى ، سنة١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، دار الوفاء للطباعة ، القاهرة .

٤٣- **عبدالعزيز الثعالبى:** تاريخ شمال لإفريقية ، تحقيق د/ أحمد بن ميلاد ، محمد ادريس ، مراجعة حمادى الساحلى،الطبعة الثانية ، سنة١٤١٠هـ/١٩٩٠م ، لبنان.

٤٤- **عبدالعزيز بنعبد الله:** مظاهر الحضارة العربية ،الطبعة الأولى،سنة١٩٥٧م،الدار البيضاء.

*- الآثار الإسلامية فى المغرب من أبحاث المؤتمر الثالث للآثار العربية ، سنة ١٩٥٧م، فاس.

٤٥- **عبدالله كنون:** مدخل إلى تاريخ المغرب ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م ، تطوان ، المغرب.

٤٦- د/ **عبدالمنعم سيد عبدالعال:** لهجة شمال المغرب ، سنة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة.

٤٧- د/ **عبدالمنعم ماجد:** التاريخ السياسى للدولة العربية ، الطبعة الرابعة ، سنة١٩٧١م ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة.

٤٨- **عثمان الكعاك:** المجتمع التونسى على عهد الأغالبة، مطبعة العرب ، بدون تاريخ ، تونس.

*- الحضارة العربية فى حوض البحر الأبيض ، سنة١٩٦٥م.

*- البربر ، الطبعة الأولى ، بدون تاريخ ، تونس .

٤٩- د/ **عطية القوصى:** الحضارة الإسلامية ، سنة ١٩٨٥م ، مطبعة الجبلاوى ، الناشر دار الثقافة العربية ، القاهرة.

٥٠- **على بهجت:** قاموس الأمكنة والبقاع التى يرد ذكرها فى كتب الفتوح ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م ، القاهرة.

٥١- د/ **على حسنى الخربوطلى:** البحر المتوسط بحيرة عربية ، سلسلة إقرا ٢٤٧، سنه١٩٦٣م، القاهرة.

٥٢- **على عبدالواحد وافى:** حقوق الإنسان فى الإسلام ، سنة ١٩٥٦م، نشر إدارة الثقافة بوزارة الأوقاف ، دار النيل للطباعة.

٥٣- **عمرو أبو النصر:** الخوارج فى الإسلام ، سنة ١٩٥٦م ، بيروت.

٥٤- **لويس معلوف:** المنجد فى اللغة ، الطبعة السابعة عشر، بدون تاريخ ، بيروت .

٥٥- **ليفى بروفنسال:** نخب تاريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى ، سنة ١٣٤٣هـ/١٩٢٣م ، المغرب.

٥٦- **كارل بروكلمان:** تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه أمين فارس ، منير البعلبكى ، الطبعة الأولى ، بدون تاريخ ، بيروت

٥٧- **كوثر عبدالرسول ومحمد رياض:** إفريقيا ، سنة١٩٦٦م ، دار النهضة العربية ، بيروت.

٥٨-**كولان:** الأندلس ، ترجمة ابراهيم خورشيد ، حسن عثمان ، د/ عبدالحميد يونس ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٠م ، بيروت.

٥٩- **كولين ماكيفيدى:** أطلس التاريخ الإفريقى ، ترجمة مختار السويفى ، سنة١٩٨٧م ، بدون مكان.

٦٠- **مبارك بن محمد الهلالى الميلى:** تاريخ الجزائر فى القديم والحديث ، سنه١٣٥٠هـ ، المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة.

٦١- **مارمول كرفجال:** كتاب إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية. محمد هجى ، محمد زنيبر، محمد الأخضر ، سنة ١٩٨٨، ١٩٨٩م ، الرباط.

٦٢- **محمد أحمد حسونه:** أثر العوامل الجغرافية فى الفتوح الإسلامية ، سنة١٩٦٠م ، مصر.

٦٣- **محمد الحجوى:** الفتح العربى لإفريقيا الشمالية ودفع المثالب عنه ، سنة١٣٥٠هـ/ ١٨٣١م ، تونس.

٦٤- **محمد السنوسى:** السبك الحديث فى تاريخ برقة القديم والحديث ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى، مطبعة الإخوان المسلمين ، سنة ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

٦٥- **محمد الفاسى:** التعريف بالمغرب ، سنة١٩٦١م ، مطبوعات جامعة الدول العربية ، القاهرة.

٦٦-**د/ محمد المعتصم سيد:** القاهرة والحضارة والإسلام فى إفريقية ، سنة١٩٦٥م ، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٦٧- **محمد بن تاويت وآخر:** الأدب المغربى ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٦٠م ، بيروت.

٦٨- **محمد دياب بك:** تاريخ العرب فى أسبانيا ، سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م ، طبع بالمطبعة الجمالية بمصر.

٦٩- **د/ محمد زيتون:** المسلمون فى المغرب والأندلس ، الجزء الأول ، سنة١٩٨٣م ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، مصر.
*- القيروان ودورها فى الحضارة الإسلامية ، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٨م، دار المنار.

٧٠- **محمد شفيق غربال:** الموسوعة العربية الميسرة، دار احياء التراث العربى، بدون تاريخ ، بيروت.

٧١- **محمد عبدالفتاح ابراهيم:** إفريقية الأرض والناس ، مكتبة الأنجلو المصرية، بدون تاريخ، القاهرة

٧٢- **محمد عبدالله عنان:** عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس ، القسم الأول ، الطبعة الأولى ، سنة١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م ، القاهرة.

٧٣- **محمد على دبوز:** تاريخ المغرب الكبير ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى سنة١٩٦٤م ، الجزء الثانى ، سنة ١٩٦٣م ، القاهرة.

٧٤- **محمود اسماعيل عبدالرازق:** الخوارج فى المغرب سنة ١٩٧٦م ، بيروت.

٧٥- **محمود شيت خطاب:** عقبة بن نافع الفهرى ، الطبعة الثالثة ، سنة١٩٧١م ، القاهرة.

*- قادة فتح الشام ومصر ، الطبعة الأولى ، سنة١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م ، دار الفتح بيروت.

٧٦- **محمود داود:** تاريخ تطوان ، المجلد الأول ، بدون تاريخ ، طبعة تطوان .

٧٧- **محمود ناجى:** تاريخ طرابلس الغرب ، ترجمة عبدالسلام أدهم ، محمد الأسطى ، بدون تاريخ ، منشورات الجامعة الليبية كلية الآداب.

٧٨- **مصطفى عبدالله بعيو:** المجمل فى تاريخ لوبيا من أقدم العصور إلى العصر الحاضر، بدون تاريخ ، اسكندرية .

٧٩- **المؤتمر السادس للآثار العربية** فى الفترة من ١٨- ١٩٧١/٩/٢٧م ، طرابلس ليبيا ، طبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، سنه ١٩٧٣م ، القاهرة.

٨٠- **د/ نازلى أحمد معوض:** العلاقات بين فرنسا والجزائر، سنة ١٩٧٨م ، طبع الهيئة العامة للكتاب بالإشتراك مع مركز الأهرام للدراسات السياسية.

٨١- **نقولا زيادة:** ليبيا فى العصور الحديثة ، سنة ١٩٦٦م ، القاهرة.

٨٢- **د/ يسرى الجوهرى:** جغرافية العالم العربى ، سنة ١٩٨١م ، منشأه المعارف ، اسكندرية.

٨٣- **يوليوس فلهوزن:** تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، ترجمة محمد عبدالهادى أبو ريده سنة ١٩٠٨م القاهرة.

رابعا: الرسائل الجامعية

١-**اقبال موسى:** الحسبة فى المغرب،رسالة ماجستير بآداب عين شمس رقم ٩٦٤ ل.م-٣٦٨.

٢- **السيد حمور:** السيد أحمد ابراهيم حمور ، بين الدولة الأموية والعباسية ، رسالة دكتوراه بمكتبة بجامعة الأزهر رقم ١١٩٨/ ٩٢٢،١.

٣- **السيد يونس:** **السيد محمد يونس:** الحضارة الإسلامية فى مصر فى العصر الأموى ٣٨هـ:١٣٢هـ ، رسالة دكتوراه بمكتبة بجامعة الأزهر ميكروفيلم ١/٩١/٤.

٤- **عبدالباقى كبير: عبدالباقى محمد أحمد كبير:** المرابطون ودورهم فى نشر الإسلام فى غرب إفريقية ، رسالة ماجستير بمكتبة جامعة الأزهر رقم ٩٥٣،٧٢٤.

٥- **على اليمنى دردير:** الحياة الأدبية والنقدية فى الفسطاط ومسجدها الجامع رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية بالقاهرة رقم ٢١٧٩.

٦- **على عبدالسلام:** عقبة بن نافع ، رسالة دكتوراه بمكتبة بجامعة الأزهر رقم ٩٢٢،١/١١٩٨.

٧- **محسن محمد حسن سليم:** سليمان بن عبدالملك وسياسة الداخلية والخارجية فى الشرق ، رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية بالقاهرة ديسمبر سنة ١٩٧٨م.

٨- **محمد بركات البيلى:** البربر فى الأندلس منذ الفتح وحتى عصر الإمارة سنة٩٢- ٣١٦هـ/ ٧١١- ٩٢٩م رسالة دكتوراه بآداب القاهرة سنة ١٩٨٢م ميكروفيلم رقم (CO2 - 0649)

٩- **مغاورى منصور: مغاورى عبيد منصور:** العلاقة بين العرب والبربر فى شمال إفريقية ، رسالة دكتوراة بمكتبة بجامعة الأزهر ميكروفيلم ١/٨٢٤/٣.

سادسا: الدوريات والمجلات والصحف

١- **دائرة المعارف الإسلامية:** ترجمة عباس محمود ، عبدالحميد يونس ، أحمد الشنتناوى ، ابراهيم خورشيد ، مراجعة محمد أحمد جاد المولى بك ، سنة ١٩٣٣م ، دار الشعب القاهرة.

٢- **مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد:**

أ- **أبو الحسن الحكيم** "أبو الحسن على بن يوسف الحكيم" عاش فى النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى ، الرابع عشر الميلادى: الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة ، تحقيق حسين مؤنس ، منشورات معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، المجلد السادس سنة ١٩٥٨م ، طبعة مدريد.

ب- **عبيدالله بن صالح:** نص جديد عن فتح العرب للمغرب ، نشر ليفى بروفنسال ، تعليق د/ حسين مؤنس ، منشورات معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، المجلد التانى سنة ١٩٥٤م ، طبعة مدريد.

جـ-**مجهول:** عاش فى عصر الموحدين: الطبيخ فى المغرب والأندلس فى عصر الموحدين ، نشر وتحقيق أمبروزيو أو بنى ميراندا ، منشورات معهد الدراسات الإسلامية بمدريد المجلد التاسع ، والعاشر سنة١٩٦١- ١٩٦٢م ، طبعة مدريد.

٣- **مجلة كلية الآداب** : جامعة الإمام محمد بن سعود ، سنة ١٩٧٨م ، الرياض ، السعودية.

د/ **محمد شتا زيتون:** تحليل تاريخى لما يذكره المؤرخون عن موسى بن نصير فى فتح الأندلس، العدد الثانى ، سنة١٩٧٨م ، طبعة الناصرية ، الرياض ، السعودية.

٤- **مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول** ، سنة ١٩٤٨م ، مطبعة جامعة فؤاد الأول:

د/ **حسين مؤنس:** ثورات البربر فى المغرب والأندلس بين سنتى ١٠٢-١٣٦هـ/ ٧٢١- ٧٥٣م ، المجلد العاشر ، الجزء الأول ، مايو ، سنة ١٩٤٨م.

٥- **جريدة الأهرام:** أ: العدد رقم ٣٩٧٥٢ بتاريخ ٢٦/ ٩/ ١٩٩٥م :

مقال بعنوان : البعض يسعى لتجميع شظايا لغوية متناثرة لتفتيت شعب بأكمله.

ب: العدد رقم ٣٩٧٥٦ بتاريخ ٣٠/ ٩/ ١٩٩٥م :

مقال بعنوان: سياسة الإستعمار أثارت الأحقاد بين العرب والبربر.

المقالان للدكتور/ محيى الدين عميمور كاتب جزائرى.

الفهرس

الفهرس

الموضوع	*رقم الصفحة*

الموضوع	*رقم الصفحة*